جامع المسائل الحديثية (٥)

بدء الخلق

والملائكة والجن والأنبياء

جمع وترتيب وتعليق

أبي معاذ طارق بن عوض الله بن محمد

دار ابن القيم

دار ابن عفان

جامع المسائل الحديثية

العنوان ورقمه	عدد مجلداته	تسلسل المجلدات
١- كتاب القرآن	مجلد	١
٢- الإيمان	٢ مجلد	٢، ٣
٣- التوحيد	مجلد	٤
٤- القضاء والقدر	مجلد	٥
٥- بدء الخلق والملائكة والجن والأنبياء	مجلد	٦
٦- الجنائز وأحوال الموتىٰ وأمور الآخرة	٣ مجلد	٧-٩
٧- الاعتصام بالكتاب والسنة	مجلد	١٠
٨- العلم	مجلد	١١
٩- الطهارة	مجلد	١٢
١٠- الصلاة	٥ مجلد	١٣-١٧
١١- الزكاة والحج	مجلد	١٨
١٢- الصيام	مجلد	١٩
١٣- البيوع والمعاملات المادية	مجلد	٢٠
١٤- النكاح	مجلد	٢١
١٥- الطلاق والأطعمة والأشربة	مجلد	٢٢
١٦- الطب والرقىٰ	مجلد	٢٣
١٧- الحدود والأقضية	مجلد	٢٤
١٨- اللباس والزينة	مجلد	٢٥
١٩- الأدب	٢ مجلد	٢٦، ٢٧
٢٠- الزهد والرقائق	مجلد	٢٨
٢١- الذكر والدعاء	مجلد	٢٩
٢٢- وظائف الأوقات والمواسم سننها وبدعها	مجلد	٣٠
٢٣- الفضائل	مجلد	٣١
٢٤- السير والمغازي	٢ مجلد	٣٢، ٣٣
٢٥- الفتن والملاحم	مجلد	٣٤
٢٦- الأحاديث المشاهير	٢ مجلد	٣٥، ٣٦
٢٧- القواعد الحديثية	٢ مجلد	٣٧، ٣٨
٢٨- قواعد الجرح والتعديل	٢ مجلد	٣٩، ٤٠
٢٩- تاريخ الرجال	مجلد	٤١
٣٠- الكتب الحديثية	٢ مجلد	٤٢، ٤٣
٣١- الفهارس العلمية	٣ مجلد	٤٤، ٤٦

بَدْءُ الخَلْقِ

وَالمَلَائِكَةِ وَالجِنِّ وَالأَنْبِيَاءِ

الطبعة الأولى

١٤٢٧ هـ ـ ٢٠٠٦ م

رقم الإيداع	٢٢٣٨٩ / ٢٠٠٥
الترقيم الدولي	977 - 375 - 065 - 5



دار ابن القيم للنشر والتوزيع
هاتف : ٤٣١٥٨٨٢ . فاكس : ٤٣١٨٨٩١
الرياض : ص . ب : ١٥٦٤٧١
الرمز البريدى : ١١٧٧٨
المملكة العربية السعودية

دار ابن عفان
للنشر والتوزيع
القاهرة : ١١ درب الأتراك خلف الجامع الأزهر
ت : ٥٠٦٦٤٢٠ - محمول : ٠١٠١٥٨٣٦٢٦
الإدارة . الجيزة برج الأطباء أول ش فيصل
ت : ٥٦٩٣٦١٥ - تليفاكس : ٥٦٩٢٨٥٠ - ٣٢٥٥٨٢٠
ص . ب ٨ بين السرايات
جمهورية مصر العربية
E-mail:ebnaffan@hotmail. com

مُقَدِّمَة

هذا مجلد مسائل «بدء الخلق والملائكة والجن والأنبياء» ضمن «جامع المسائل الحديثية»، يشتمل علىٰ مسائل متنوعة حول ما جاء في أول المخلوقات، وما يتعلق بها من المسائل، وعن الأحاديث الواردة في ذلك.

ثم مسائل حول اسم ملك الموت، وهل ورد أن اسمه عزرائيل أو إسماعيل؟ ثم استطرادات حول مسائل أخرىٰ. ثم مسألة جامعة لابن حجر الهيتمي حول الملائكة هل خلقوا دفعة واحدة؟

ثم بحث في وجود الجن، وهل الجن يموتون كالإنس ويدفنون؟ وهل ثبت أن الرسول ﷺ اجتمع بالجن؟

ثم مسائل حول عدد الأنبياء والرسل، ومن وُلِدَ مختونًا من الأنبياء؟ وهل نبوة آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ ثابتة؟ وما هو طول آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ عند هبوطه من الجنة؟ وحديث: «**كذب النسابون**» من أخرجه من الأئمة؟ وحديث: «**الأنبياء إخوة من علات أمهاتهم شتىٰ ودينهم واحد**» ما معناه؟

ثم مسائل حول الذبيح هل هو: إسماعيل أو إسحاق؟ ومن هو أول الرسل؟ وهل دُفن إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ في «الحطيم» بمكة؟ وفائدة حول تفسير قوله ﷺ عن يوسف: «**أوتي شطر الحسن**».

ثم مسائل في الخضر، وهل ذو القرنين ولقمان وجرجيس ودانيال وحزقيل أنبياء أم لا؟.

ومسائل أخرىٰ حول أصحاب الكهف وأصحاب الصخرة، ومسائل

حول أجساد الأنبياء والأولياء وحفاظ القرآن الكريم هل تأكلها الأرض أم لا؟ وكيفية حياة النبي ﷺ في قبره؟ وهل يسمع كل دعاء ونداء عند قبره الشريف؟ وما معنىٰ قوله ﷺ: «**ما من أحد يسلم علي إلا رد اللّٰه إلي روحي حتىٰ أرد عليه السلام**»؟ وهل خلق النبي ﷺ من نور. وما معنىٰ قوله ﷺ: «**حياتي خير لكم، وموتي خير لكم**»؟ وهل تعرض أعمال الأمة علىٰ النبي ﷺ.

وتجد في غضون ذلك مسائل أخرىٰ مشتملة كغيرها علىٰ كثير من الفوائد العلمية التي لا غنىٰ للباحث عنها.

❊ ❊ ❊

أول المخلوقات

● ومن «فتاوى العثيمين»[١]:

وسئل فضيل الشيخ: كيف يمكن الجمع بين الأحاديث الآتية: «كان اللَّه ولم يك شيء قبله، وكان عرشه علىٰ الماء وكتب بيده كل شيء ثم خلق السماوات والأرض»[٢]. وفي «مسند الإمام أحمد» عن لقيط بن صبرة قلت: يا رسول اللَّه أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه؟ قال: «كان في عماية...»[٣]. وحديث: «أول ما خلق اللَّه القلم»[٤]. فظاهر هذه الأحاديث متعارض في أي المخلوقات أسبق في الخلق، وكذلك ما جاء أن أول المخلوقات هو محمد رسول اللَّه ﷺ؟.

فأجاب بقوله:

هذه الأحاديث متفقة مؤتلفة وليست بمختلفة، فأول ما خلق اللَّه من

(١) «فتاوىٰ ابن عثيمين» (١/ ٦٢، ٦٣).
(٢) البخاري (٤/١٢٨)، (٥/٢١٢، ٢١٩)، (٩/١٥٢)، والترمذي (٣٩٥١) من حديث عمران بن حصين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.
(٣) أخرجه: أحمد (٤/ ١١، ١٢)، والترمذي (٣١٠٩)، وابن ماجه (١٨٢) من حديث لقيط بن عامر أبي رزين العقيلي.
(٤) أخرجه: أبو داود (٤٧٠٠)، وأحمد (٥/٣١٧)، والترمذي (٢١٥٥، ٣٣١٩) من حديث عبادة بن الصامت رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

الأشياء المعلومة لنا هو العرش واستوىٰ عليه بعد خلق السماوات، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود: ٧].

وأما بالنسبة للقلم فليس في الحديث دليل علىٰ أن القلم أول شيء خلق، بل معنىٰ الحديث أنه في حين خلق القلم أمره اللَّه بالكتابة، فكتب مقادير كل شيء.

وأما محمد ﷺ فهو كغيره من البشر، خلق من ماء أبيه عبد اللَّه بن عبد المطلب، ولم يتميز علىٰ البشر من حيث الخلقة، كما قال عن نفسه: «**إنما أنا بشر أنسىٰ كما تنسون**»(١). فهو عليه السلام، يجوع، ويعطش، ويبرد، ويصيبه الحر، ويمرض، ويموت، فكل شيء يعتري البشرية من حيث الطبيعة البشرية فإنه يعتريه، لكنه يتميز بأنه يوحىٰ إليه وأنه أهل للرسالة كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

* * *

خلق الأرض قبل السماء

- **ومن «الفتاوىٰ الحديثية» للهيتمي(٢):**

وسئل رضي الله عنه: هل خلقت الأرض قبل السماء؟

---

(١) أخرجه: أبو داود (١٠٢٢)، والنسائي (٣/ ٢٨، ٢٩)، وأحمد (١/ ٣٧٩، ٤٢٤، ٤٣٨).

(٢) «الفتاوىٰ الحديثية للهيتمي» (ص٢٦).

فأجاب - نفع اللّه بعلومه وبركته:

نعم؛ كما صح في البخاري عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، والقرآن ناطق به، وأجاب عن قوله تعالى: ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَىٰهَا﴾ الآية [النَّازعَات: ٢٧]، بأن الأرض خلقت أولًا كالخبزة وخلقت السماء بعدها ثم هيأ الأرض، ودحاها، والله أعلم.

* * *

خلق الأرواح قبل الأجساد وخلق الأرزاق قبل الأرواح

• ومن «الحاوي للفتاوي» للسيوطي[1]:

مسألة: في خبر ورد عن النبي ﷺ أنه قال: خلق اللّه الأرواح قبل الأجساد بألفي عام، وعن ابن عباس أنه قال: خلق اللّه الأرواح قبل الأجساد بأربعة آلاف سنة، وخلق الأرزاق قبل الأرواح بأربعة آلاف سنة.

وما الجواب عن التعارض بين هذه الأخبار؟

الجواب:

إنما يطلب الجواب عن التعارض بين حديثين ثابتين، وهذان الحديثان غير ثابتين، أما الثاني: فباطل لا أصل له.

وأما الأول: فورد بإسناد ضعيف جدًا فلا نعول عليه، والمعول عليه

(١) «فتاوىٰ السيوطي» (١/ ٣٧٠).

في ذلك الحديث الصحيح: «**إن اللَّه قدر المقادير قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة**»[١] وذلك شامل للأرزاق.

* * *

● ومن «الفتاوى الحديثية» للهيتمي[٢]:

وسئل رضي الله عنه بما لفظه: ما الجمع بين خبر «خلق الأرواح قبل الأجساد بألفي عام»، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: بأربعة آلاف سنة، وخلق الأرزاق قبل الأرواح بأربعة آلاف سنة.

فأجاب بقوله:

ما ذكر عن ابن عباس رضي الله عنهما باطل لا أصل له، والأول ضعيف جدًّا فلا يعول عليه، نعم صح: «**إن اللَّه قدر المقادير قبل أن يخلق السموات، والأرض بخمسين ألف سنة**» وذلك شامل للأرزاق.

* * *

حديث: «خلق الله التربة يوم السبت»

● ومن «الأنوار الكاشفة» للمعلمي[٣]:

قال[٤]: «وروي مسلم عن أبي هريرة: أخذ رسول اللَّه ﷺ بيدي فقال: «خلق اللَّه التربة يوم السبت، وخلق فيها الجبال

(١) أخرجه: مسلم (٨/ ٥١)، وأحمد (٢/ ١٦٩) من حديث عبد اللَّه بن عمرو رضي الله عنهما.
(٢) «الفتاوىٰ الحديثية للهيتمي» (ص١٦١).
(٣) «الأنوار الكاشفة» (١٨٨-١٩٢).
(٤) القائل: هو أبو رية.

يوم الأحد، وخلق الشجر يوم الاثنين، وخلق المكروه يوم الثلاثاء، وخلق النور يوم الأربعاء، وبث فيها الدواب يوم الخميس، وخلق آدم بعد العصر من يوم الجمعة . . .»[١] وقد قال البخاري وابن كثير وغيرهما: إن أبا هريرة قد تلقىٰ هذا الحديث عن كعب الأحبار؛ لأنه يخالف نص القرآن في أنه خلق السماوات والأرض في ستة أيام».

أقول:

هذا الخبر رواه جماعة عن ابن جريج قال: «أخبرني إسماعيل بن أمية عن أيوب بن خالد بن عبد اللّٰه بن رافع مولىٰ أم سلمة عن أبي هريرة قال: أخذ . . .»، وفي الأسماء والصفات للبيهقي (ص: ١٧٦) عن ابن المديني أن هشام بن يوسف رواه عن ابن جريج.

وقد استنكر بعض أهل الحديث هذا الخبر، ويمكن تفصيل سبب الاستنكار بأوجه:

الأول: أنه لم يذكر خلق السماء، وجعل خلق الأرض في ستة أيام.

الثاني: أنه جعل الخلق في سبعة أيام.

والقرآن يبين أن خلق السماوات والأرض كان في ستة أيام، أربعة منها للأرض ويومان للسماء.

والثالث: أنه مخالف للآثار القائلة: إن أول الستة يوم الأحد، وهو

(١) أخرجه: مسلم (٨/ ١٢٧)، وأحمد (٢/ ٣٢٧)، والنسائي في «الكبرىٰ» (١٠/ ١٣٥٥٧- تحفة الأشراف).

الذي تدل عليه أسماء الأيام: الأحد - الاثنان - الثلاثاء - الأربعاء - الخميس.

فلهذا حاولوا إعلاله، فأعله ابن المديني بأن إبراهيم بن أي يحيىٰ قد رواه عن أيوب، قال ابن المديني: «وما أرىٰ إسماعيل بن أمية أخذ هذا إلا عن إبراهيم بن أبي يحيى» انظر «الأسماء والصفات» (ص: ٢٧٦)، يعني: وإبراهيم مرمي بالكذب فلا يثبت الخبر عن أيوب، ولا من فوقه.

ويرد علىٰ هذا أن إسماعيل بن أميه ثقة عندهم غير مدلس، فلهذا - والله أعلم - لم يرتض البخاري قول شيخه ابن المديني، وأعل الخبر بأمر آخر، فإنه ذكر طرفه في ترجمة أيوب من «التاريخ» ١/ ١/ ٤١٣ ثم قال: «وقال بعضهم: عن أبي هريرة عن كعب. وهو أصح» ومؤدىٰ صنيعه أنه يحدس أن أيوب أخطأ، وهذا الحدس مبني علىٰ ثلاثة أمور:

الأول: استنكار الخبر لما مر.

الثاني: أن أيوب ليس بالقوي وهو مقل لم يخرج مسلم إلا هذا الحديث لما يعلم من «الجمع بين رجال الصحيحين»، وتكلم فيه الأزدي، ولم ينقل توثيقه عن أحد من الأئمة إلا أن ابن حبان ذكره في «ثقاته»، وشرط ابن حبان في التوثيق فيه تسامح معروف.

الثالث: الرواية التي أشار إليها بقوله: «وقال بعضهم» وليته ذكر سندها ومتنها فقد تكون ضعيفة في نفسها، وإنما قويت عنده للأمرين الآخرين.

ويدل علىٰ ضعفها أن المحفوظ عن كعب وعبد اللّٰه بن سلام ووهب ابن منبه، ومن يأخذ عنهم أن ابتداء الخلق كان يوم الأحد، وهو قول أهل

الكتاب المذكور في كتبهم، وعليه بنوا قولهم في السبت، انظر «الأسماء الصفات» (ص: ٢٧٢ و٢٧٥)، وأوائل «تاريخ ابن جرير».

وفي «الدر المنثور» (٣: ٩١) «أخرج ابن أبي شيبة عن كعب قال: بدأ اللَّه بخلق السماوات والأرض يوم الأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة، وجعل كل يوم ألف سنة». وأسنده ابن جرير في أوائل «التاريخ» ١: ط - الحسينية» واقتصر علىٰ أوله «بدأ اللَّه بخلق السماوات والأرض يوم الأحد والاثنين» فهذا يدفع أن يكون ما في الحديث من قول كعب.

وأيوب لا بأس به، وصنيع ابن المديني يدل علىٰ قوته عنده، وقد أخرج له مسلم في «صحيحه» كما علمت، وإن لم يكن حده أن يحتج به في الصحيح.

فمدار الشك في هذا الحديث علىٰ الاستنكار، وقد يجاب عنه بما يأتي:

أما الوجه الأول فيجاب عنه: بأن الحديث - وإن لم ينص علىٰ خلق السماء - فقد أشار إليه بذكره في اليوم الخامس النور، وفي السادس الدواب، وحياة الدواب محتاجة إلىٰ الحرارة، والنور والحرارة مصدرهما: الأجرام السماوية. والذي فيه أن خلق الأرض نفسها كان في أربعة أيام كما في القرآن، والقرآن إذ ذكر خلق الأرض في أربعة أيام، لم يذكر ما يدل أن جملة ذلك خلق النور والدواب، وإذ ذكر خلق السماء في يومين لم يذكر ما يدل أنه في أثناء ذلك لم يحدث في الأرض شيئًا،

والمعقول أنها بعد تمام خلقها أخذت في التطور بما أودعه اللَّه تعالىٰ فيها، اللَّه سبحانه لا يشغله شأن عن شأن.

ويجاب عن الوجه الثاني بأنه ليس في هذا الحديث أنه خلق في اليوم السابع غير آدم، وليس في القرآن ما يدل أن خلق آدم كان في الأيام الستة، ولا في القرآن ولا السنة ولا المعقول أن خالقية اللَّه عز وجل وقفت بعد الأيام الستة بل هذا معلوم البطلان.

وفي آيات خلق آدم أوائل البقرة وبعض الآثار ما يؤخذ منه أنه قد كان في الأرض عمار قبل آدم عاشوا فيها دهرًا، فهذا يساعد القول بأن خلق آدم متأخرٌ بمدة عن خلق السماوات والأرض.

فتدبر الآيات والحديث علىٰ ضوء هذا البيان يتضح لك - إن شاء اللَّه - أن دعوىٰ مخالفة هذا الحديث لظاهر القرآن قد اندفعت، ولله الحمد.

وأما الوجه الثالث فالآثار القائلة: إن ابتداء الخلق يوم الأحد ما كان منها مرفوعًا فهو أضعف من هذا الحديث بكثير، وأما غير المرفوع فعامته من قول عبد اللَّه بن سلام وكعب ووهب ومن يأخذ عن الإسرائيليات.

وتسمية الأيام كانت قبل الإسلام تقليدًا لأهل الكتاب، فجاء الإسلام وقد اشتهرت وانتشرت فلم ير ضرورة إلىٰ تغييرها، لأن قرار الأسماء التي قد عرفت واشتهرت وانتشرت لا يعد اعترافًا بمناسبتها لما أخذت منه أو بنيت عليه، إذ قد أصبحت لا تدل علىٰ ذلك، وإنما تدل علىٰ مسمياتها فحسب، ولأن القضية ليست مما يجب اعتقاده أو يتعلق به نفسه حكم شرعي، فلم تستحق أن يحتاط لها بتغيير ما اشتهر وانتشر من تسمية الأيام.

وقد ذكر السهيلي في «الروض الأنف» (١ : ٢٧١) هذه القضية، وانتصر لقول ابن إسحاق وغيره الموافق لهذا الحديث حتىٰ قال: والعجب من الطبري علىٰ تبحره في العلم كيف خالف مقتضىٰ هذا الحديث وأعنق في الرد علىٰ ابن إسحاق وغيره ومال إلىٰ قول اليهود: إن الأحد هو الأول . . . . ».

وفي بقية كلامه لطائفُ: منها: أن تلك التسمية خصت خمسة أيام لم يأت في القرآن منها شيءٌ، وجاء فيه اسما اليومين الباقيين - الجمعة والسبت - لأنه لا تعلق لهما بتلك التسمية المدخولة.

ومنها: أنه علىٰ مقتضىٰ الحديث يكون الجمعة سابعًا، وهو وتر مناسب لفضل الجمعة كما ورد: «**إن اللَّه وتر يحب الوتر**»، ويضاف إلىٰ هذا يوم الاثنين فإنه علىٰ هذا الحديث يكون الثالث وهو المناسب لفضله، وفي الصحيح: «فيه ولدت وفي أنزل علي» فأما الخميس فإنما ورد فضل صومه، وقد يوجه ذلك بأنه لما امتنع صوم اليوم الفاضل وهو الجمعة لأنه عيد الأسبوع عوض عنه بصوم اليوم الذي قبله، وفي ذلك ما يقوي شبه الجمعة بالعيد، وفي «الصحيحين» في حديث الجمعة: «**نحن الآخرون السابقون** . . . » والمناسب أن يكون اليوم الذي للآخرين هو آخر الآيام.

هذا، وفي «البداية» لابن كثير (١ : ١٧) وقد رواه النسائي في «التفسير» عن إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني، عن محمد بن الصباح، عن أبي عبيد الحداد، عن الأخضر بن عجلان، عن ابن جريج، عن عطاء بن أبي رباح، عن أبي هريرة: إن رسول اللَّه ﷺ أخذ بيدي فقال:

«يا أبا هريرة! إن اللَّه خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوىٰ علىٰ العرش يوم السابع، وخلق التربة يوم السبت»، وذكر بتمامه بنحوه. فقد اختلف علىٰ ابن جريج».

أقول: في صحة هذه الرواية عن ابن جريج عن عطاء بن أبي رباح نظر لا أطيل ببيانه، فمن أحب التحقيق فليراجع «تهذيب التهذيب» (٧: ٢١٣)، و«فتح الباري» (٨: ٥١١)، و«مقدمته» (ص: ٣٧٣)، وترجمتي أخضر وعثمان بن عطاء من «الميزان» وغيره. والله الموفق.

* * *

● ومن «فتاوىٰ المنار»(١):

السماء والزرقة التي نراها فوقنا

سؤال: من السيد محمد حسين نصيف (بجدة - الحجاز).

حضرة العلامة الفاضل، والسيد الكامل، من طار صيته حتىٰ ملأ الأقطار، بأعلا المنار، مولانا السيد محمد رشيد رضا، حفظه اللَّه وأدامه.

بعد السلام ورحمة اللَّه وبركاته، أرجوكم حل هذه العقدة التي أبرمها أمامنا أحد طلبة العلم مدعيًا أن الزرقة التي نراها فوقنا ليست بالسماء المرادة بقوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ [ق: ٦]،

(١) «المنار» (١٢/ ٨١٥-٨١٦).

وإنما تلك الزرقة هي الجو محتجًا علينا بالحديث: «ما بين كل سماء خمس مئة عام» وأن تلك المسافة لا يدركها البصر عقلًا.

فهل السماء التي نراها فوقنا هي السماء الحقيقية المذكورة بالقرآن والحديث، أم الجو كما زعم؟

أفيدونا وارونا من بحر علمكم الزاخر، زادكم اللّه علمًا، وفهمًا، والسلام.

الجواب:

الحديث الذي أشار إليه طالب العلم لا يصح، ولا يحتج به، ولفظ السماء قد أطلق في القرآن علىٰ عدة معان.

منها السقف في قوله تعالىٰ من سورة الحج: ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ﴾ الآية [الحَجّ: ١٥].

ومنها «السحاب» في عدة آيات وذلك أن هذا اللفظ من السمو، وهو العلو فكل ما علاك، وكان فوقك جاز لك أن تسميه سماء هذا هو وضع اللغة التي نزل بها القرآن، فهذا الشيء الأزرق الذي نراه فوقنا في النهار سماء، ومجموع هذه النجوم اللامعة التي نراها فوقنا في الليل يسمىٰ سماء، وجهة العلو فوقك تسمىٰ سماء.

بذلك ورد القرآن، وقد اختلف علماء الهيئة الفلكية في هذا اللون الأزرق الذي في السماء وينسب إليه ما يشبهه من ألوان الثياب وغيرها فيقال «سماوي»، وفي لون البحر وليسوا علىٰ يقين مما يقولون فيه، وهو علىٰ كل حال، وكل قول لون لا يقوم بنفسه وإنما يقوم بجسم أو جوهر

وما يقوم به اللون يسمىٰ، سماء، وإن كانت الزرقة حادثة من الفصل بين النور والظلمة في هذه الجهة كما قال بعضهم.

والقرآن لم ينزله اللَّه تعالىٰ لشرح مسائل العلوم والفنون الكونية، كالفلك، والنبات، والحيوان، وإنما تذكر فيه محاسن المخلوقات وعجائبها للتنبيه علىٰ حكمة اللَّه في إبداعها، ونظامها، وعلمه الواسع، وقدرته العظيمة وأن السماء التي ننظر إليها في الليل والنهار ذات زينة بديعة وبناء محكم لا تفاوت في خلقها، ولا فروج، ولا شقوق فيها وهي من آياته سبحانه وتعالىٰ الدالة علىٰ ألوهيته.

وما اكتشفه علماء الفلك من أسرار سننها لا يزيد المؤمن بالقرآن إلا إيمانًا وخشوعًا وليس فيه شيء ينقض كلمة منه، ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢] .

* * *

خلق الخيل

• ومن «فتاوىٰ تقي الدين السبكي»[(١)]:

مسألة: سئل عن الخيل: هل كانت قبل آدم عليه السلام أو خلقت بعده؟ وهل خلق الذكور قبل الإناث أو الإناث قبل الذكور؟ وهل العربيات قبل البراذين أو البراذين قبل العربيات؟ وهل ورد في الحديث أو الأثر أو السير أو الأخبار ما يدل علىٰ ذلك؟

---

(١) «فتاوىٰ السبكي» (٢/ ٥٥١-٥٥٥)، و«المعيار المعرب» (١٢/ ٣٨٠ - ٣٨٣).

أجاب:

إنا نختار أن خلق الخيل قبل خلق آدم بيومين أو نحوه وأن خلق الذكور قبل الإناث وأن العربيات قبل البراذين.

أما قولنا: إن خلقها قبل آدم فلآيات من القرآن سنذكرها آية آية، ونذكر وجه الاستدلال ولمعنًى فيه وهو أن الرجل الكبير يهيأ له ما يحتاج إليه قبل قدومه، وقال اللَّه تعالىٰ: ﴿خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البَقَرَة: ٢٩] فكلها مخلوقة لآدم وذريته إكرامًا لهم.

ومن كمال إكرامهم وجودها قبلهم، فجميع ذلك تقدم خلقه، ثم كان خلق آدم بعد ذلك آخر الخلق، لأنه وذريته أشرف ألا ترىٰ أن النبي ﷺ أشرف من الجميع، فلذلك كان آخرًا، لأن به تم كمال الوجود وما [سوىٰ] آدم مما هيئ له حيوان وجماد، والحيوان أشرف من الجماد؛ والخيل من أشرف الحيوان غير الآدمي أو أشرفها، فكيف يؤخر خلقها عنه، فهذه الحكمة تقتضي خلقها مع غيرها من المنافع.

وإنما قلنا بيومين أو نحوها؛ لحديث ورد فيه يتضمن أن بث الدواب يوم الخميس والحديث في «الصحيح» لكن فيه كلام، ولا شك أن خلق آدم يوم الجمعة والحديث المذكور يتضمن أنه بعد العصر، قلنا: إنه بيومين أو نحوها علىٰ التقريب.

وأما التقدم فلا تردد فيه، والمعنىٰ فيه قد ذكرناه، والآيات التي تدل له منها قوله تعالى: ﴿خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾ [البَقَرَة: ٢٩] ، ووجه الاستدلال أن الآية الكريمة

اقتضت خلق ما في الأرض قبل تسوية السماء، ومن جملة ما في الأرض الخيل، فالخيل مخلوقة قبل تسوية السماء عملًا بالآية، ودلالة «ثم» على الترتيب، فتسوية السماء قبل خلق آدم، لأن تسوية السماء من جملة الستة الأيام، لقوله تعالى: ﴿رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا﴾ [النَّازعَات: ٢٨] إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾ [النَّازعَات: ٣٠] .

دلالة الحديث الصحيح المجمع عليه علىٰ أن خلق آدم يوم الجمعة بعد كمال المخلوقات.

إما آخر الأيام الستة، إن قلنا ابتداء الخلق يوم الأحد كما يقوله المؤرخون، وأهل الكتاب وهو المشهور عند أكثر الناس.

وإما في اليوم السابع خارجًا عن الأيام الستة؛ كما يقتضيه الحديث الذي أشرنا إليه فيما سبق الذي في «صحيح مسلم» الذي صدره «**إن الله خلق التربة يوم السبت**» وإن كان فيه كلام.

وأما تأخر خلق آدم فلا كلام فيه. فثبت بهذا أن خلق الخيل قبل خلق آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهي من جملة المخلوقات في الأيام الستة لا كما يقوله بعض الجهلة الكفرة، فيروي فيه أحاديث موضوعة لا تصدر إلا عن سخف المجانين، لا حاجة بنا إلىٰ ذكرها.

ومن الآيات قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ

﴿وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة: ٣١ - ٣٣] وجه الاستدلال بهذه الآية أن الأسماء كلها إما أن يراد بها نفس الأسماء أو صفات المسميات ومنافعها.

وعلىٰ كلا التقديرين المسميات موجودة في ذلك الوقت للإشارة إليها بقوله: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [البَقَرَة: ٣١] ومن جملة المسميات الخيل فلتكن موجودة حينئذ، والأسماء عام بالألف واللام مؤكدة بقوله: ﴿كُلَّهَا﴾ [البَقَرَة: ٣١] فيقوي العموم فيه.

والمسميات لابد من إرادتها بقوله ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ﴾ [البَقَرَة: ٣١] ، وقوله: ﴿بِأَسْمَآئِهِمْ﴾ الآية [البَقَرَة: ٣٣] فهذا دليل قاطع في ذلك، والعموم شامل للخيل فمن يرىٰ دلالة العموم قطعية يقطع بدخولها ومن لا يرىٰ ذلك مستدل به فيه كما يستدل بما يرىٰ الأدلة الشرعية.

ومن الآيات قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وجه الاستدلال اقتضاؤها خلق ما بينهما من الستة.

وقد قلنا: إن خلق آدم خارج عن الستة بعدها أو حاصل في آخرها بعد خلق غيره كما سبق.

ومن الآيات قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ [ق: ٣٨] وجه الاستدلال بها ما قدمناه فيما قبلها.

فهذه أربع آيات تدل علىٰ ذلك فيها كفاية.

وقد جاء عن وهب بن منبه عن الإسرائيليات أن الخيل خلقت من ريح

الجنوب، وذلك لا ينافي ما قلناه، ولا نلتزم صحته، لأنا لا نصحح إلا ما صح لنا عن اللَّه ورسوله.

وجاء عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن الخيل كانت وحشًا وإن اللَّه تعالىٰ ذللها لإسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ، وذلك لا ينافي ما قلناه فقد تكون كانت مخلوقة قبل آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، واستمرت علىٰ وحشيتها إلىٰ عهد إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ، أو تكون كانت تركب في وقت، ثم توحشت، ثم ذللت لإسماعيل، وليس في ذلك عن النبي ﷺ ولا عن الصحابة دليل، فالمعتمد ما قلناه من دلالة القرآن، والذي قيل في أن إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ أول من ركبها أمر مشهور، ولكنه ليس إسناده صحيحًا حتىٰ نلتزمه. وقد قلنا: إنا لا نلتزم إلا ما صح عن اللَّه ورسوله.

وفي «تفسير القرطبي» من رواية الترمذي الحكيم عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لما أذن اللَّه لإبراهيم وإسماعيل عليهما السلام برفع القواعد قال اللَّه تبارك وتعالىٰ اسمه: إني معطيكما كنزًا ادخرته لكما ثم أوحىٰ لإسماعيل أن أخرج إلىٰ أجياده فادع يأتك الكنز، فخرج إلىٰ أجياد ولا يدري ما الدعاء، ولا الكنز فألهمه فلم يبق علىٰ وجه الأرض فرس بأرض العرب إلا جاءته أمكنته من ناصيتها، وذللها له.

ولو ذكرنا ما قال الناس في ذلك، شرحناه بطوله لطال، فقد تكلم الناس في غير ذلك كثيرًا وذكروا من خواص الخيل ومنافعها شيئًا كثيرًا ليس ذلك كله مما نلتزم صحته، ومطالب القاصد بسرعة الجواب في أسرع وقت يقتضي الاقتصار علىٰ ما قلناه وفي كفاية.

وأما قولنا: إن خلق الذكور قبل الإناث؛ فلأمرين.

أحدهما: شرف الذكر على الأنثى.

والثاني: حرارته، وإذا كان من جنس واحد من مزاج واحد وأحدهما أكثر حرارة من الآخر جرت عادة القدرة الإلهية بتكوين أقواهما حرارة قبل الآخر، والذكر أقوى حرارة من الأنثى فناسب أن يكون وجوده أسبق ولتحصل المنة به أكثر، ولذلك كان خلق آدم قبل حواء، ولأن أعظم ما يقصد له الخيل الجهاد والذكر في الجهاد خير من الأنثى، لأن الذكر أجرى وأجرأ، أعني أشد جريًا، وأقوى جرأة ويقاتل مع راكبه.

الأنثى بخلاف ذلك وقد تقطع بصاحبها رجوع ما يمكن إليها إذا كانت وديقًا ورأت فحلًا، ولا يرد على ذلك ركوب جبريل عليه السلام أنثى لما جاز البحر لموسى؛ لأن ذلك لركوب فروعون فحلًا فقصد طلبه للأنثى، وعجز فرعون عن إمساك رأسه.

وأما قولنا: إن العربيات قبل البراذين، فلما ذكر من حديث إسماعيل عليه السلام، ولأن العربيات أشرف وآصل، والبرذون إنما يكون بعارض أو علة، إما منه، وإما من أمه، ولم تكن البراذين تذكر فيما خلا من الزمان ألا ترى إلى قصة إسماعيل عليه السلام، وقصة سليمان عليه السلام، وإنما البراذين ما انتحس من الخيل، حتى اختلف العلماء هل يسهم له كما يسهم للفرس العربي أو لا، وفي حديث من مراسيل مكحول في بعض ألفاظه: للفرس سهمان وللهجين سهم.

فهذه الرواية تقضي أن الهجين لا يسمى فرسًا، والهجين هو البرذون أو

قريب منه، وبالجملة البراذين حثالة الخيل، وما كان اللَّه ليخلق من الجنس حثالته قبل الأول.

وأما الأحاديث النبوية، والآثار الصحيحة فإنما جاء منها في فضيلة الخيل وسبقها وشياتها وفضيلة اتخاذها وبركتها والنفقة عليها وخدمتها ومسح نواصيها والتماس نسلها، ونمائها، والنهي عن خصائها وجز نواصيها وأذنابها، وفيما يقسم لها ولصاحبها في الغنيمة واختلاف العلماء فيه، وهل يجب فيها زكاة أو لا وغير ذلك، وهذه نبذة يسيرة كتبتها علىٰ سبيل العجلة، وإن اخترتم كتبت فيها كتابًا مستقلًا، إن شاء اللَّه تعالى.

* * *

إذا غابت الشمس أين تذهب؟

• **ومن «الفتاوىٰ الحديثية» للهيتمي**[1]:

وسئل - نفع اللَّه به -: إذا غابت الشمس أين تذهب؟

فأجاب بقوله:

في حديث البخاري: «**إنها تذهب حتىٰ تسجد تحت العرش**» زاد النسائي: «**ثم تستأذن فيؤذن لها، ويوشك أن تستأذن فلا يؤذن لها، وتؤمر بالطلوع من محل غروبها**»[2].

---

(١) «الفتاوىٰ الحديثية للهيتمي» (ص١٨٦).

(٢) أخرجه: البخاري (٤/ ١٣١) (٦/ ١٥٤) (٩/ ١٥٣)، ومسلم (١/ ٩٦)، وأحمد (٥/ ١٤٥، ١٥٢، ١٥٨، ١٧٧)، وأبو داود (٤٠٠٢)، والترمذي (٢١٨٦، ٣٢٢٧)، والنسائي في «الكبرىٰ» (٩/ ١١٩٩٣- تحفة الأشراف) من حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ولا يخالف هذا قوله تعالى: ﴿تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ [الكهف: ٨٦]؛ لأن المراد به نهاية إدراك البصر لها حال الغروب، وسجودها تحت العرش إنما هو بعد الغروب.

وأخرج ابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن ابن عباس: «إنها بمنزلة الساقية تجري بالنهار في السماء بفلكها، وإذا غربت جرت بالليل في فلكها تحت الأرض حتىٰ تطلع من مشرقها، وكذلك القمر».

وأخرج أبو الشيخ عن عكرمة، أنها إذا غربت دخلت نهر تحت العرش فتسبح ربها حتىٰ إذا أصبحت استعفت ربها عن الخروج. قال: ولم؟ قلت: إني إذا خرجت عبدت من دونك.

وقيل: يبتلعها حوت، وقيل: تغيب في عين حمئة كما في الآية، والحمأة بالهمز ذات الطين الأسود وقرئ حامية بالياء: أي حارة ساخنة، وقيل: تطلع من سماء إلىٰ سماء حتىٰ تسجد تحت العرش وتقول: يا رب إن قومًا يعصونك، فيقول لها ارجعي من حيث جئت، فتنزل من سماء إلىٰ سماء حتىٰ تطلع من المشرق، وبنزولها إلىٰ سماء الدنيا يطلع الفجر.

قال إمام الحرمين وغيره: لا خلاف أنها تغرب عند قوم، وتطلع عند قوم آخرين، والليل يطول عند قوم، ويقصر عند آخرين إلا عند خط الاستواء فيستويان أبدًا، وفي بلاد بُلْغَار - بموحدة مضمومة، ثم معجمة - لا تغيب الشمس عندهم إلا بمقدار ما بين المغرب والعشاء، ثم تطلع.

* * *

نفخ الروح

• ومن «فتاوىٰ الألباني»[(١)]:

سؤال: شيخ. بالنسبة لنفخ الروح للجنين متىٰ يكون، خصوصًا أن هناك من يقول: إن هناك أدلة علمية تثبت أن نفخ الروح يكون في الأربعين الأولىٰ من عمر الجنين، وأن هناك حديثًا لمسلم[(٢)] يثبت أن هناك زيادة، أي أنه يكون علقة مثل ذلك، في ذلك؛ في الأربعين يومًا، يستدلون بهذا الحديث: إن الروح تنفخ في الأربعين يومًا الأولى، فما هو تعليقكم؟

الجواب:

في سؤالك ناحيتان. إحداهما: شرعية، والأخرى: طبية.

من الناحية الشرعية: ثبت في حديث ابن مسعود المتفق عليه بين الشيخين أن الروح إنما تنفخ في الجنين بعد أربعة أشهر، أما القول: إنه ثبت علميًّا وطبيًّا: أن الروح تنفخ قبل ذلك فأنا في اعتقادي أن هذا مع أنه مخالف للحديث السابق فهو أيضًا ليس بثابت طبيًّا! لأنني مع أن هذا ليس من اختصاصي، ولكنه من معلوماتي التي يشاركنا فيها كل مثقف. . لو

---

(١) «فتاوىٰ الألباني» (١/ ٣٢٦-٣٣٠).

(٢) أخرجه: البخاري (٤/ ١٣٥، ١٦١) (٨/ ١٥٢) (٩/ ١٦٥)، ومسلم (٨/ ٤٤، ٤٥) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه ولفظه: «**إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا، ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك، ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح . . .**».

مشاركة في الاطلاع علىٰ ما يجرىٰ اليوم من بحوث علمية، وغيرها. . نحن نعلم أن الحوين الصغير هذا الذي يوجد منه الملايين المملينة في مني الرجل. . كلها حوينات ليست ميتة، وإنما فيها الحياة. أليس كذلك؟

وإذا كان كذلك، فهذا الحوين حينما يلقح البويضة في رحم المرأة ينمو وتنموا معه هذه الحياة التي فطرها اللَّه عز وجل في هذا الحوين، وهو في صلب الرجل قبل أن ينتقل إلىٰ رحم المرأة، إذًا هنا حياتان، ولنتسامح في التعبير، ولا بأس من ذلك قليلًا، هنا روحان.

الروح الأولىٰ وجدت مع الحوين وهو في صلب الرجل.

الحياة أو الروح الأخرىٰ نفخت بنص الحديث بعد أربعة أشهر. . يوم يأتي وينفخ فيه الروح، ويسأل سعيد أم شقي؟ ذكر أم أنثى؟ إلىٰ آخر التفاصيل المعروفة في الصحيح.

فهنا إذًا روحان، الروح الثالثة هذه ما هي؟ طبيًا لا توجد روح ثالثة إطلاقًا. بمعنىٰ غير الروح التي بها يحيا هذا الحوين ويكبر وينمو وينمو حتىٰ يصبح يتحرك في بطن الأم. .

والروح التي تنفخ في الجنين هذه بلا شك روح جديدة غير تلك الروح الكمينة في ذلك الحوين، هذه دعوى. مجرد دعوى.

إن هناك حقيقة في علم الطب: أن الروح التي أخبر اللَّه عنها أو أخبرنا نبينا أن اللَّه يأمر الملك بأن ينفخ فيه الروح. لا في الشرع ولا في علم الطب: أن هذا ينفخ بعد أربعين يومًا أو علىٰ الأقل قبل مضي الأربعة أشهر. هذا لا وجود له إطلاقًا.

ثم أخيرًا أنا أريد أن أذكر: لا ينبغي أن نخلط بين العلم التجريبي البشري وبين العلم الإلهي الذي مصدره من كتاب ربنا، ومن حديث نبينا ﷺ؛ لأن كلًّا من العلمين. لكل منهما سبيله، فسبيل العلم الشرعي: هو القرآن والسنة، وسبيل العلم الكسبي: هو البشر. فقد يخطئ وقد يصيب..

كثيرًا ما نسمع ونسأل كثيرًا مع الأسف أن امرأة في بطنها جنين واكتشفوا الآن بواسطة الجهاز الذي يشبه التلفاز: بأن هذا الجنين مشوه، وأنه إذا لم تجهض المرأة وولدت ولادة طبيعية سيكون هذا الولد معوقًا.

آخر سؤال سئلته بأن بعض الأطباء قالوا للحامل: بأن هذا مشوه تشويهًا فظيعًا جدًّا! ربما له أكثر من يدين، وأكثر من رجلين؛ يعني صورة مخيفة جدًّا وخاصة للأم الوالدة، وكان في المجلس حينما سئلت هذا السؤال امرأة حدثتنا وهو صادقة بأن قريبة لها حدثوها بأن الجنين الذي في بطنها إذا ما ولد فإنه سيولد له أربعة أرجل، ولست أذكر كم يد! فالمسكينة خافت جدًّا؛ ولكن قالت: أمري إلىٰ اللَّه عز وجل.. فلما ولدت وإذا بالجنين.. بشر سوى. سبحان اللَّه! راجعت بعد ذلك. عللوا أن التلفاز.. يمكن كان مشوشًا وكان كذا وكذا، وهذه حقيقة.. كثير ما يقع مثل هذا، غرضي أن أقول: لا نربط هذا بهذا؛ لأن الحقيقة: أننا سنقع في تناقضات مع الحكم الشرعي، كلنا يعلم أن إسقاط الجنين بعد نفخ الروح - لا أقول علىٰ الزعم الطبي لأن هذا إسقاطه بعد أربعين يومًا - يعني: يكون

محرمًا، بينما نحن ما نقول إلا بعد أربعة أشهر. هذا الإسقاط يكون محرمًا لأنه يسقط حيًّا، أما إذا كان الإسقاط أو الإجهاض قبل ذلك فهنا لنا تفصيل مذكور أكثر من مرة.. هو كالعزل. وهو إسقاط الماء خارج الرحم حينما يجامع الرجل زوجته. هذا اسمه عزل، وهو شرعًا مكروه كراهة تنزيهيه لما فيه من تقليل نسل الأمة المحمدية، ولكن إذا اقترن مع العزل.. وهو قبل أن يتكون.. قبل أن يدخل الماء إلىٰ فرج المرأة.. هذا مكروه.. فإذا ما دخل وأوىٰ إلىٰ مأواه فهناك يمكن أن يتكون، وأن يتخلق، ويصبح جنينًا ثم يولد ويصبح بشرًا سويًّا إلىٰ آخره. فتتضاعف الكراهية، لكن ما تصل إلىٰ حد التحريم إلا بشرطين اثنين:

الشرط الأول: الذي ذكرته آنفًا: أن يكون قد نفخت الروح فيه.

والشرط الآخر: ولو قبل نفخ الروح: أن يكون الدافع علىٰ الإجهاض قبل نفخ الروح فكر غير شرعي.

مثلاً في القرآن الكريم النهي عن قتل الأطفال ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ﴾ [الإسراء: ٣١] ، فإذا كان الدافع علىٰ إسقاط الجنين قبل تكونه هو خشية الإملاق؛ فيكون هذا محرمًا، صحيح، ليس فيه قتل لنفس نفخت فيها الروح لكن الدافع عليه تلك العقيدة الجاهلية الأولىٰ كما جاء في بعض الأحاديث لما سئل ﷺ عن العزل؟ قال: «**أأنت ترزقه؟**». أأنت ترزقه. من ماذا خائف؟! فإذا كان العزل ليس لهذا السبب فهو مكروه، أما إذا اقترن معه هذا السبب فيكون محرمًا، لذلك لما هذا الطبيب يقول: والله جنينك في بطنك مشوه، وإذا كمل وضعه جاء معوقًا. أسرعي

بإجراء عملية الإجهاض واستريحي منه . . وإذا بالولد ليس فيه شيء وإنما الخطأ من الطبيب!!.

خلاصة القول: نحن ننصح المسلمين جميعًا أن يبتعدوا عن العزل بكل أشكاله وأنواعه: لأن أدناه الكراهة لما فيه من مخالفة بغية الرسول ﷺ حينما قال: «**تزوجوا الولود والودود فإني مباهٍ بكم الإمم يوم القيامة**»[(١)]، هذا أدناه: تقليل نسل أمة الرسول عليه السلام. وأعلاه وأسوأه هو: إسقاط الجنين بعد أن نفخت فيه الروح.

نسأل اللَّه عز وجل أن ينفخ في المسلمين روحًا طيبة تحضهم علىٰ فهمهم أولًا لإسلامهم فهمًا صحيحًا وأن يطبقوه في أنفسهم، وبين الإخوة المتحابين في اللَّه عز وجل، ثم ما تزال تتسع دائرتهم حتىٰ تشمل البعدين عنهم. وبهذا القدر كفاية.

والحمد للَّه رب العالمين وسبحانك اللَّهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

* * *

• **ومن «الفتاوىٰ الفقهية» للهيتمي[(٢)]:**

وسئل - فسح اللَّه في مدته - بما لفظه: «ما ميت مات، ولم تطلع روحه» كما صح به الخبر.

---

(١) أخرجه: أحمد (٣/ ١٥٨، ٢٤٥) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) «فتاوىٰ ابن حجر الهيتمي» (٢/ ٣١).

فأجاب بقوله:

المراد بذلك النطف في الأصلاب، سماها اللَّه أمواتًا مع أنه لم يكن فيها روح فقال: ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ﴾ [البَقَرَة: ٢٨].

* * *

المسخ

- ومن «فتاوى الألباني»[١]:

السائل: ما صحة حديث «ما جعل اللَّه للمسخ من نسل» وما معناه؟

الشيخ:

هذا حديث صحيح، أخرجه الإمام مسلم في «صحيحه».

لما مسخ اللَّه عز وجل اليهود قردة وخنازير، هؤلاء مكثوا ثلاثة أيام ممسوخين ثم أبيدوا، فالممسوخون هؤلاء لم يجعل اللَّه لهم نسلًا.

فأي قوم يمسخهم اللَّه ببعض الحيوانات، فهذه الحيوانات لا يجعل اللَّه لها نسلًا، إنما يبيدهم ويفنيهم.

* * *

(١) «فتاوى الألباني» (٢/ ٣٩٠).

• ومن «الفتاوى الفقهية» للهيتمي[١]:

وسئل – رحمه اللَّه تعالىٰ – عن خبر «إن للَّه تعالىٰ ملائكة سياحين عبادتهم كل دار فيها اسم محمد»، وهل ثابت، وما معناه؟

فأجاب – نفعنا اللَّه تعالىٰ بعلومه – بقوله:

ليس بثابت، وإنما ذكره في «الشفاء»، ومعناه بالباء الموحدة حفظ أو رؤية كل دار فيها ذلك الاسم الشريف، والله سبحانه تعالىٰ أعلم.

* * *

أيهما أفضل جبريل أو إسرافيل؟

• ومن «الحبائك في أخبار الملائك»[٢]:

وسئلت: أيهما أفضل جبريل أو إسرافيل؟

والجواب:

لم أقف علىٰ نقل في ذلك لأحد من العلماء والآثار المتقدمة متعارضة، فحديث الطبراني عن ابن عباس مرفوعًا، «**ألا أخبركم بأفضل الملائكة جبريل**»[٣]. وأثر وهب: «إن أدنىٰ الملائكة من اللَّه جبريل، ثم ميكائيل» يدل علىٰ تفضيل جبريل.

---

(١) فتاوىٰ ابن حجر الهيتمي (٤/ ٢٥٩).
(٢) «الحبائك في أخبار الملائك» (ص٢٢٩).
(٣) راجع: «الضعيفة» (٤٤٦).

وحديث ابن مسعود مرفوعًا: «**إن أقرب الخلق من اللّه إسرافيل**»[١] وحديث ابن مسعود مرفوعًا: «**إسرافيل صاحب الصور وجبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره**»[٢] وحديث عائشة مرفوعًا «**إسرافيل ملك اللّه ليس دونه شيء**» وأثر كعب: إن أقرب الملائكة إلىٰ اللّه إسرافيل، إلىٰ آخره، وأثر أبي بكر الهذلي ليس شيء من الخلق أقرب إلى الله من إسرافيل - إلى آخره. وحديث ابن أبي جبلة بسنده: «**أول من يدعىٰ يوم القيامة إسرافيل**»، إلىٰ آخره، وأثر ابن سابط: يدبر أمر الدنيا أربعة جبريل وميكائيل وإسرافيل - إلىٰ أن قال -: وأما إسرافيل فهو ينزل بالأمر عليهم، وحديث عكرمة بن خالد مرفوعًا: «**وأما إسرافيل فأمين اللّه بينه وبينهم**» أي بين اللّه وبين جبريل وميكائيل، وملك الموت. وأثر خالد بن أبي عمران: وإسرافيل بمنزلة الحاجب، وما شاكل ذلك؛ يدل علىٰ تفضيل إسرافيل.

* * *

تمثل جبريل للنبي ﷺ في صورة دحية

- **ومن «المعيار المعرب»**[٣]:

وكتب إليه[٤] **عبد الحق يسأله عن معنىٰ تمثل جبريل عليه السلام للنبي ﷺ في صورة دحية ورآه مرة أو مرتين علىٰ خلقته في**

---

(١) راجع: «الفوائد المجموعة» (١/ ٤٤٢).

(٢) راجع: «ضعيف الجامع» (٣٤٦٢) وهو بدون ذكر إسرافيل.

(٣) «المعيار المعرب» (١١/ ٢٤٧-٣٠٨).

(٤) ينظر من المكتوب إليه.

صورة هائلة، فتلك الأجزاء هل تفنىٰ ثم تعاد أم تصير بعض الأجزاء علىٰ صفة رجل، وتبقىٰ الأجزاء الأخرىٰ فيرجع إليها الملك بعد ذلك، أم كونه رجلًا إنما تخيل فيما يرىٰ النبي والملك علىٰ صورته؟ فما عنده في هذا؟ والسلام.

فكتب إليه:

حرس اللَّه عزت قدرته، وجلت عظمته علىٰ المسلمين - أنفاس الشيخ الجليل الأوحد، أدام اللَّه تأبيده، وأجزل من كل خير مزيده. وما تضمنه شريف خطابه من أسئلة السالمين، الصائرين إلىٰ تجويز ثبوت الشيء علىٰ الصفة ونقيضها.

ولا وجه لتثبيت التخيل في حق الرسول، لا سيما في أوقات تبليغ الوحي إليه وتقبله إياه بالأصول يطول تتبعها؛ فلا يبقىٰ بعد امتناع هذا المسلك إلا أحد الوجهين الذين احتوىٰ عليهم كلام الشيخ الأوحد - أدام اللَّه تأييده - وقد صار إلىٰ أحدهما طائفة، وإلىٰ الأخرىٰ آخرون.

والسديد عندي في ذلك والعلم عند اللَّه أن يزيل عن شخص جبريل عليه السلام ما هو به أعلم من أجزائه، وهذا ما تشهد له الأخبار، إذ قد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن منكبي إسرافيل يملآن الخافقين، وإنه ليتضاءل من خشية اللَّه حتىٰ يعود كالوضع**» وفي بعض الأخبار المسندة «إن جبريل كان عند النبي ﷺ فأمات وانداب حتىٰ عاد إلىٰ حجم عدسة، فلما راجعه عليه السلام قال: إنه فتح باب من أبواب السماء لم تفتح قط، وإنه لحادث أمر في قصة طويلة».

وعقد القول في ذلك أنه يبعد تقدير انفصال أجزائه ملكًا. ويلزم من رد

ذلك أن يكون جبريل مستقرًا علىٰ مقامه في الأفق، وإنما جاء محمدًا منه بعض أجزائه، ثم الأخرىٰ التي يقدر زوالها في شخصه، يجوز أن اللَّه يعدهما ويفنيها، ثم يعيدها كما يعدم أجزاء من جسد من ينحل وينحف، ويجوز أن يزيلها عنه ولا يعدهما، بل تبقىٰ غير متصفة بصفات الملائكة، ثم يؤلفها اللَّه ويجمعها، والله القادر علىٰ كل ممكن جائز، والحمد للَّه رب العالمين، وصلواته علىٰ نبيه الكريم.

* * *

هل تنام الملائكة؟

● ومن «الحاوي للفتاوي» للسيوطي[1]:

مسألة: هل تنام الملائكة؟

الجواب:

ظاهر قوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٠] أنهم لا ينامون، رأيت في الحديث ما يشهد لذلك؛ قال ابن عساكر في «تاريخه»: أنا أبو الحسن علي بن الحسن بن الحسين، وأبو طاهر محمد ابن الحسين قالا: أنا أبو علي الأهوازي، ثنا عبد الوهاب بن عبد اللَّه بن عمر، ثنا أبو الفتح المظفر بن أحمد بن برهان المقري، ثنا أبو بكر محمد ابن أيوب الداراني، ثنا الحسن بن علي بن خلف الصيدلاني، ثنا سليمان ابن عبد الرحمن، حدثني عثمان بن حسن بن عبيدة بن علاق: قال

(١) فتاوىٰ السيوطي (١/ ٣٨٦-٣٨٧)

سمعت عروة بن رويم اللخمي يقول: حدثني أنس بن مالك، عن رسول اللَّه ﷺ «**إن الملائكة قالوا: ربنا خلقتنا وخلقت بني آدم فجعلتهم يأكلون الطعام ويشربون الشراب ويلبسون الثياب ويأتون النساء ويركبون الدواب وينامون ويستريحون، ولم تجعل لنا من ذلك شيئًا، فاجعل لهم الدنيا ولنا الآخرة، فقال عز وجل: لا أجعل من خلقته بيدي ونفخت فيه من روحي كمن قلت له كن فكان**».

* * *

● ومن «الفتاوىٰ الحديثية» للهيتمي[١]:

وسئل - نفع اللَّه به -: هل تنام الملائكة؟

فأجاب بقوله:

ظاهر قوله تعالىٰ ﴿لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٠] أنهم لا ينامون بالفعل، وقد أخرج ابن عساكر أنه ﷺ قال: «**إن الملائكة قالوا ربنا خلقتنا وخلقت بني آدم فجعلتهم يأكلون الطعام ويشربون الشراب، ويلبسون الثياب، ويأتون النساء، ويركبون الدواب، وينامون ويستريحون، ولم تجعل لنا من ذلك شيئًا، فاجعل اللَّهم الدنيا لهم ولنا الآخرة؟ فقال عز وجل: لا أجعل من خلقت بيدي، ونفخت فيه من روحي كمن قلت له كن فكان**»[٢].

وهذا الحديث من الأدلة الصريحة علىٰ تفضيل جنس البشر علىٰ جنس الملك، كما هو مذهب أهل السنة.

* * *

(١) الفتاوي الحديثية للهيتمي (ص١٦٦).

(٢) أخرجه: ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥٢/ ١٣٩).

● ومن «الحاوي للفتاوي» للسيوطي[1]:

لبس اليلب في الجواب عن إيراد حلب

بسم الله الرحمن الرحيم

وصل كتاب الأعلام إلىٰ حلب، فوقف عليه واقف، فرأىٰ قولي في أن جبريل هو السفير بين اللَّه وبين أنبيائه لا يعرف ذلك لغيره من الملائكة، فكتب علىٰ الهامش بخطه ما نصه:

بل قد عرف ذلك لغيره من الملائكة قال الحافظ برهان الدين الحلبي في «شرح البخاري»: اعلم أن في كيفية نزول الوحي علىٰ رسول اللَّه ﷺ سبع صور ذكرها السهيلي في «روضه» - إلىٰ أن قال -: «سابعها: «وحي إسرافيل» كما ثبت عن الشعبي أن النبي ﷺ وكل إسرافيل فكان يتراءىٰ له ويأتيه بالكلمة والشيء، ثم وكل به جبريل قال ابن عبد البر في أول «الاستيعاب» وساق سندًا إلىٰ الشعبي: قال: أنزلت عليه النبوة وهو ابن أربعين سنة، فقرن بنبوته إسرافيل ثلاث سنين، ثم نقل عن شيخه ابن الملقن، أن المشهور أن جبريل ابتدأه بالوحي. انتهىٰ ما كتبه المعترض.

وأقول:

الجواب عن ذلك من وجوه:

أحدها: ما نقله المعترض نفسه في آخر كلامه عن ابن الملقن أن

(١) فتاوىٰ السيوطي (٢/ ١٦٨-١٦٩).

المشهور أن جبريل ابتدأه بالوحي، وإنما قال ابن الملقن ذلك: لأنه الثابت في أحاديث «الصحيحين» وغيرهما، وأثر الشعبي مرسل أو معضل، فكيف يعتمد عليه مع ثبوت خلافه في «الصحيحين» وغيرهما، والعجب من المعترض كيف اعترض بما لم يثبت مع نقله في آخر كلامه أن المشهور خلاف ما اعترض به؟

والوجه الثاني: أن المراد بالسفير الذي هو مرصد لذلك وذلك لا يعرف لغير جبريل، ولا ينافي ذلك مجيء غيره من الملائكة إلىٰ النبي ﷺ في بعض الأحيان، كما أن كاتب السر مرصد للتوقيع عن السلطان، ولا ينافي ذلك أن يوقع عنه غيره في بعض الأحيان، فلا يسلب كاتب السر الاختصاص بهذا الاسم، ولا يشاركه فيه من وقع مرة أو مرتين، فكذلك لا يسلب جبريل الاختصاص باسم السفير ولا يشاركه فيه أحد من الملائكة الذين جاءوا إلىٰ الأنبياء في وقت ما، وكم من ملك غير إسرافيل جاء إلىٰ النبي ﷺ في قضايا متعددة كما هو في كثير من الأحاديث، وجاء ملك الموت إلىٰ إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ فبشره بالخلة، فعجب من المعترض كيف اقتصر علىٰ إسرافيل دون مجيء غيره من الملائكة؟

الوجه الثالث: إن العبارة التي أوردتها وهو السفير بين اللّه وبين أنبيائه بصيغة الجمع، وإسرافيل لم ينزل علىٰ أحد غير النبي ﷺ، كما ورد في الحديث، وذكر بعض العلماء في حكمته أنه الموكل بالنفخ في الصور والنبي ﷺ بعث قرب الساعة، وكانت بعثته من أشراطها، فبعث إليه إسرافيل بهذه المناسبة ولم يبعث إلىٰ نبي قبله، وحينئذ فالمبعوث إلىٰ النبي ﷺ فقط لا يصدق عليه أنه سفير بين اللّه وبين أنبيائه بصفة الجمع،

لأنه لم يكن سفيرًا إلا بين اللَّه وبين نبي واحد، والحكم أنه المنفي عن المجموع لا يلزم نفيه عن فرد من أفراد المجموع، فلا يصح النقض به.

الوجه الرابع: أنه قد ورد في الحديث ما يوهي أثر الشعبي، وهو ما أخرجه مسلم والنسائي والحاكم عن ابن عباس قال: «بينما رسول اللَّه ﷺ جالس وعنده جبريل إذ سمع نقيضًا من السماء من فوق فرفع جبريل بصره إلىٰ السماء فقال: يا محمد هذا ملك قد نزل لم ينزل إلىٰ الأرض قط، قال فأتي النبي ﷺ فسلم عليه، فقال: أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتيهما نبي من قبلك: فاتحة الكتاب، خواتيم سورة البقرة لن تقرأ حرفًا منها إلا أوتيتهما»(١).

قال جماعة من العلماء: هذا الملك هو إسرافيل.

وأخرج الطبراني عن ابن عمر قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: **«لقد هبط علي ملك من السماء ما هبط علىٰ نبي قبلي، ولا يهبط علىٰ أحد بعدي وهو إسرافيل، فقال: أنا رسول ربك إليك أمرني أخبرك إن شئت نبيًا عبدًا وإن شئت نبيًا ملكًا؛ فنظرت إلىٰ جبريل فأومأ إلي أن تواضع فلو أني قلت نبيًا ملكًا لسارت الجبال معي ذهبا»**(٢).

وهاتان الفضيلتان بعد ابتداء الوحي بسنين كما يعرف من سائر طرق الأحاديث، وهما ظاهران أن في إسرافيل لم ينزل إليه قبل ذلك، فكيف يصح قول الشعبي أنه أتاه في ابتداء الوحي؟

(١) أخرجه: مسلم (٢/ ١٩٨)، والنسائي (٢/ ١٣٨).
(٢) أخرجه: الطبراني في «الكبير» (١٢/ ٣٤٨).

الوجه الخامس: أنه قد أقمنا في الأعلام الدليل علىٰ ذلك عقبه، وهو قول ورقة: «جبريل أمين اللَّه بينه وبين رسوله» وقول ابن سابط: فوكل جبريل بالكتب والوحي إلىٰ الأنبياء، وقال عطاء بن السائب: أول من يحاسب جبريل لأنه أمين اللَّه إلىٰ رسله، وميكائيل يتلقىٰ الكتب وإسرافيل بمنزلة الحاجب، وقوله ﷺ: «**فأما جبريل فصاحب الحرب وصاحب المرسلين**» الحديث، وآثار أخر.

وقلنا في آخر الكلام: فعرف بمجموع هذه الآثار اختصاص جبريل من بين سائر الملائكة بالوحي إلىٰ الأنبياء، أفما كان عند المعترض من الفطنة ما يهتدي به لصحة هذا الكلام أخذًا من هذه الأدلة؟ هذا آخر الجواب، والله أعلم.

* * *

● **ومن «فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم»[1]:**

س: هل قوله «لا تدخل الملائكة بيتًا فيه صورة ولا كلب» عام تدخل فيه الحفظة أم لا؟

الجواب:

الظاهر أنهم لا يدخلون فيه.

* * *

(١) فتاوىٰ محمد بن إبراهيم (١/ ١٩٤).

كتابة الحافظين بماذا؟

• ومن «الفتاوى الحديثية» للهيتمي[١]:

وسئل - نفع اللّٰه به -: عن كتابة الحافظين بماذا؟

فأجاب بقوله:

ورد أن مدادهما الريق وأقلامهما ألسنة الخلق، لم يرد تعيين البطاقة التي يكتبان فيها.

* * *

ملك الموت

• ومن «أجوبة ابن حجر العسقلاني»[٢]:

سؤال: وهل ورد لملك الموت اسم غير ما هو مشهور في ألسنة الناس عزرائيل؟ وقد ذكر ابن كثير في «البداية والنهاية» أنه لم يقف له علىٰ اسم.

ورأيت في السنن للشافعي - رضي اللّٰه تعالىٰ عنه - رواية المزني في باب صدقة الفطر، في أثناء حديث طويل، ولفظه «ثم جاء - يعني جبريل - اليوم الثالث فقال له كما قال أول يوم، فرد عليه كما رد عليه، وجاء معه ملك يقال له إسماعيل، علىٰ مائة ألف ملك، كل ملك منهم علىٰ مائة ألف ملك

(١) الفتاوىٰ الحديثية للهيتمي (ص١٦٣).
(٢) أجوبة ابن حجر (٩٧-١٠٩).

فاستأذن عليه فسأل عنه ثم قال جبريل: هذا ملك الموت يستأذن عليك، ما استأذن علىٰ آدمي قبلك، ولا يستأذن علىٰ آدمي بعدك، فقال رسول اللَّه ﷺ «ائذن له فسلم عليه»[١] الحديث

فهل الضمير في ذلك عائد إلىٰ أن إسماعيل اسم لملك الموت أم لا؟ وما المعنىٰ الذي تسمىٰ به ملك الموت عزرائيل؟

الجواب:

اسم ملك الموت سبق الجواب عنه أيضًا فيه. وكان فيه ما يقتضي أن اسم ملك الموت إسماعيل علىٰ ظاهر الحديث المذكور، فأوضحت في الجواب أنه ليس نصًا، وبينه بيانًا شافيًا فتضمن هذا السؤال جعل ما أوضحته احتمالًا، وأعيد السؤال ولا حاجة لذلك[٢].

* * *

- ومن «أجوبة ابن حجر العسقلاني»[٣]:

سؤال: وهل ورد أن لملك الموت اسمًا؟

ففي السنن للإمام الشافعي رضي الله عنه - رواية المزني - في باب: صدقة الفطر أن اسمه: إسماعيل، فهل لذلك صحة أم لا؟ ولم سمي ملك الموت عزرائيل؟

---

(١) أخرجه: الطبراني في «الكبير» (٢/ ١٥٩).
(٢) انظر الفتوىٰ الآتية.
(٣) أجوبة ابن حجر (٨٣-٩٤)

الجواب:

الذي وقع في السنن المروية عن الشافعي، من طريق الطحاوي، عن المزني عنه:

فقد أخبرني به الشيخ الثقة المسند القدوة، أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن المبارك بن حماد الغزي، بقراءتي عليه بمنزلة ظاهر القاهرة، في أواخر ذي القعدة سنة ست وتسعين وسبعمائة، أنا أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إبراهيم بن قريس، سماعًا عليه في شعبان سنة ثمان وعشرين وسبعمائة، وهو آخر من حدث عنه بالسماع، أنا أبو محمد عبد المحسن ابن عبد العزيز بن علي الصيرفي، سماعًا عليه في سنة ست وخمسين وستمائة، وهو آخر من حدث عنه بالسماع، أنا أبو عبد اللَّه محمد بن حمد بن حامد الأرتاحي، سماعًا عليه سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة، أنا أبو الحسن علي بن عمر الفراء الموصلي إجازة، أنا أبو الحسن عبد الباقي ابن فارس بن أحمد المقرئ، أنا الميمون بن حمزة الحسيني، أنا أبو جعفر الطحاوي:

ثنا أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيىٰ بن إسماعيل المزني، ثنا أبو عبد اللَّه محمد بن إدريس بن العباس الشافعي، عن القاسم بن عبد اللَّه بن عمر بن حفص، عن جعفر بن محمد - يعني ابن علي بن الحسين بن علي -، عن أبيه: «أن رجالًا من قريش دخلوا عل أبيه علي بن الحسين، فقال: ألا أحدثكم عن رسول اللَّه ﷺ؟ قالوا: بلىٰ حدثنا عن أبي القاسم ﷺ قال: لما مرض النبي ﷺ جاءه جبريل فقال: يا محمد، أرسلني اللَّه عز وجل

إليك تكريمًا لك، وتشريفًا لك، وخاصة لك، أسألك عما هو أعلم به منك، يقول: كيف تجدك؟ قال: «**أجدني يا جبريل مغمومًا، وأجدني يا جبريل مكروبًا**» ثم جاءه اليوم الثاني، فقال له ذلك: فرد النبي ﷺ كما رد أول اليوم، ثم جاءه اليوم الثالث، فقال له كما قال أول اليوم ورد عليه ما رد عليه، وجاء معه ملك يقال له: إسماعيل، علىٰ مائة ألف ملك، كل ملك منهم علىٰ مائة ألف ملك، فاستأذن عليه، فسأل عنه، ثم قال جبريل: هذا ملك الموت يستأذن عليك، ما استأذن علىٰ آدمي قبلك، ولا يستأذن علىٰ آدمي بعدك، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**ائذن له**»، فسلم عليه، ثم قال: يا محمد إن اللَّه عز وجل أرسلني إليك، فإن أمرتني أن أقبض روحك قبضته، وإن أمرتني أن أتركه تركته، فقال: «**أوتفعل يا ملك الموت؟**» قال: نعم، وبذلك أمرت، وأمرت أن أطيعك، قال: فنظر النبي ﷺ إلى جبريل عليه السلام، فقال جبريل: يا محمد، إن اللَّه عز وجل اشتاق إلىٰ لقائك، فقال النبي ﷺ لملك الموت: «**امض لما أمرت به فقبض روحه ﷺ**»[1] **فذكر بقية الحديث**.

وهو مرسل؛ لأن علي بن الحسين ولد بعد النبي ﷺ بنحو ثلاثين سنة.

والقاسم الذي روىٰ عنه الشافعي هذا الحديث ضعيف. كذبه أحمد بن حنبل، وصرح أنه كان يضع الحديث وضعفه غيره جدًا. ولعل الشافعي لم يخبر أمره؛ لأنه كان من صغار شيوخه.

---

(١) راجع: «البداية والنهاية» (٥/ ٢٧٧).

وقال فيه أبو حاتم، وأبو زرعة، والنسائي، ويعقوب بن سفيان، والعجلي، والأزدي، وآخرون: «متروك». ولم أر فيه توثيقًا لأحد.

وقد اغتر جماعة بظاهر ما وقع في هذا السياق، وجزموا بأن اسم ملك: «إسماعيل» وليس كما ظنوا، فإن في السياق حذفًا تقديره بعد قوله: «كل ملك منهم علىٰ مائة ألف، فاستأذن عليه فسأل عنه، فأذن له، ثم قال جبريل . .» إلىٰ آخره، فسقط من السياق هذه اللفظة: «فأذن له» وقد تبين ذلك من الرواية التي رويناها في «معجم الطبراني» قال:

حدثنا العباس بن حمدان الأصبهاني، وإسحاق بن أحمد الخزاعي، قالا: نا عبد الجبار بن العلاء، نا عبد اللّٰه بن ميمون القداح، نا جعفر بن محمد، عن أبيه، عن علي بن الحسين، قال: سمعت أبي يقول: «لما كان قبل وفاة رسول اللّٰه ﷺ بثلاثة أيام، هبط عليه جبريل عليه السلام، فقال: يا محمد، إن اللّٰه أرسلني إليك إكرامًا لك، وتفضيلًا لك، وخاصة لك . .» فذكر الحديث، وفيه: «فلما كان اليوم الثالث، هبط جبريل معه ملك الموت، وهبط معهما في العراء ملك يقال له: إسماعيل علىٰ سبعين ألف ملك، ليس فيهم ملك إلا علىٰ سبعين ألف ملك، منهم جبريل، فقال: يا محمد، إن اللّٰه أرسلني إليك إكرامًا لك، وتفضيلًا لك، وخاصة لك، أسألك عما هو أعلم به منك، يقول: كيف تجدك» الحديث بطوله.

ورجال هذا الإسناد ثقات، إلا عبد اللّٰه بن ميمون القداح، وهو متروك. قال البخاري: «ذاهب الحديث». وقال أبو زرعة: «واه». وقال

أبو حاتم والترمذي: «منكر الحديث». وقال ابن حبان: «يروي الملزوقات عن الأثبات». وقال الحاكم: «روىٰ أحاديث موضوعة».

قلت: ولم أر فيه توثيقًا لأحد.

وقد خالف في زيادة الحسين بن علي في سنده، وعلىٰ ذلك عول الطبراني، فأخرجه في مسند الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما من «معجمه الكبير» فأفادت هذه الرواية أن الملك الذي اسمه إسماعيل هو ملك الهواء، وأنه غير ملك الموت، وأنه هبط مع جبريل وملك الموت، فكانوا ثلاثة.

وذلك صريح في قوله: «وهبط معهما» وموافق لما قدرته أنه حذف من السياق الأول: «فأذن له» أي لملك الهواء، ثم استأذن جبريل لملك الموت، وذلك بين في الرواية الأولى، حيث عبر بقوله: «ثم قال جبريل: هذا ملك الموت يستأذن» إلىٰ آخره.

ووقع لي من وجه ثالث: رويناه في دلائل النبوة للبيهقي، من طريق سيار بن حاتم، ثنا عبد الواحد بن سليمان الحارثي، ثنا الحسين بن علي، عن محمد بن علي قال: «لما كان قبل وفاة رسول الله ﷺ بثلاث، هبط جبريل عليه السلام، فقال: يا محمد، إن الله أرسلني إليك إكرامًا لك، وتفضيلًا لك، وخاصة لك، يسألك عما هو أعلم به منك، كيف تجدك؟ . . .» فذكر الحديث، وفيه: «فلما كان اليوم، هبط جبريل ومعه ملك الموت، ومعهما ملك في الهواء يقال: إسماعيل، علىٰ سبعين ألف ملك، كل ملك علىٰ سبعين ألف ملك، قال: فشيعهم جبريل فقال: يا محمد، إن اللّٰه أرسلني إليك - فذكره كالأول إلىٰ قوله: «**وأجدني**

يا جبريل مكروبًا». قال: واستأذن ملك الموت علىٰ الباب، فقال جبريل: يا محمد، هذا ملك الموت يستأذن عليك» الحديث.

وسياقه شبيه بسياق القاسم بن عبد اللَّه بن عمر، إلا أنه خالف في قوله: «مائة ألف ملك» في الموضعين فقال: «سبعين ألف ملك» وخرج بمعنىٰ ما جاءت من الرواية الأولى، حيث قال هنا: «وهبط معهما ملك في الهواء» ولكن حذف منه قوله: «فاستأذن عليه فسأل عنه».

ومما يدل علىٰ أن إسماعيل هو ملك الهواء لا ملك الموت:

ما رويناه في كتاب «العظمة» لأبي الشيخ الأصبهاني، والطبراني في «المعجم الصغير» من طريق أبي هارون العبدي، عن أبي سعيد الخدري: «أن النبي ﷺ حين عرج به قال: إن في السماء لملكًا يقال له: إسماعيل، علىٰ سبعين ألف ملك، كل ملك منهم علىٰ سبعين الف ملك»(١).

وهذا موافق لرواية البيهقي، وأبو هارون هو عمارة بن جوين، ضعيف جدًّا.

وإذا ضمت بعض هذه الطرق إلىٰ بعض عرف أن للحديث أصلًا.

وأما تسميته ملك الموت إسماعيل: فقد اشتهر ذلك بين الناس.

راجعت «مبهمات القرآن» لأبي القاسم السهيلي، فلم أجد ذلك فيه. ثم راجعت «تفسير القرطبي» فوجدته ذكر أن اسم ملك الموت عزرائيل، ولم ينسبه لقائل، ولا ذكر فيه أثرًا.

---

(١) أخرجه: الطبراني (٩٥٨).

ثم راجعت «تفسير الثعلبي» فوجدته حكى: أن اسمه عزرائيل، وعزاه «لتفسير مقاتل» و«تفسير ابن الكلبي» ثم تتبعت الآثار في ذلك فوجدت في كتاب «العظمة» لأبي الشيخ قال:

ثنا أحمد بن محمد بن عمر، ثنا عبد اللَّه بن محمد بين عبيد، هو أبو بكر بن أبي الدنيا، ثنا داود بن رشيد، ثنا حكام - هو ابن سلم الرازي - عن عنبسة - هو ابن سعيد بن الضريس الرازي - عن أشعث قال: «سأل إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ ملك الموت - واسمه عزرائيل وله عينان عين في وجهه وعين في قفاه -، فقال يا ملك الموت: ما تصنع إذا كان نفس بالمشرق ونفس بالمغرب، ووقع الوباء بأرض أو التقىٰ الزحفان، كيف تصنع؟ قال: أدعو الأرواح بإذن اللَّه فتكون بين أصبعي هاتين. قال: فدحيت له الأرض فتركت مثل الطست، يتناول منها حيث شاء».

ورجال هذا السند موثقون، ولكن أشعث شيخ عنبسة هو ابن جابر الحداني لا بأس به، وهو تابعي صغير؛ فالحديث معضل.

وذكر أبو الشيخ في كتاب العظمة أيضًا من طريق إسماعيل بن عبد الكريم، حدثني عبد الصمد - هو ابن معقل - عن وهب بن منبه في المبتدأ، فذكر خلق جبريل، ثم ميكائيل ثم قال:

«كن فكان عزرائيل ثم قال للموت ابرز فبرز الموت لعزرائيل فذلك قوله تعالىٰ ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾ [السَّجدَة: ١١]. قال

فهؤلاء الأملاك الأربعة جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت هم أول من خلق اللَّه من الخلق، وآخر من يميتهم اللَّه عز وجل».

أما قول السائل: لم سمي عزرائيل؟

فجمهور المفسرين علىٰ أن هذه الأسماء كجبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل باللغة السريانية، وقال بعضهم: هي عبرانية.

ومنهم من يدل كلامه علىٰ أن بعضها عربية، كجبرائيل وعزرائيل.

واختلفوا في معنىٰ «إيل».

فقيل: هو من أسماء والأربعة بمعنىٰ عبد. وقيل: بالعكس، وهو أشبه بلغة غير العرب؛ لأنهم يقدمون المضاف إليه علىٰ المضاف؛ ولأن لفظ عبد واحد، وأسماء الله كثيرة.

ووقع في «تهذيب الأسماء» للشيخ محيي الدين:

«قال جماعة من المفسرين، وصاحب المحكم، والجوهري وغيرهما من أهل اللغة: إن (جبر) و (ميك) اسمان أضيفا إلىٰ (إيل) و (آل) وهما اسمان للَّه تعالى».

ومعنىٰ (جبر) و (ميك) بالسريانية «عبد» فتقديره عبد اللَّه، قال: وقال أبو علي الفارسي: هذا الذي قالوه خطأ من وجهين:

أحدهما: أن (إيل) و(آل) لا يعرفا في أسماء اللَّه تعالى.

والثاني: أن لو كان ذلك لم يضف آخر الاسم في وجوه العربية، ولكان آخره مصروفًا أبدًا كعبد اللَّه.

قال النووي: «وهذا الذي قاله أبو علي هو الصواب؛ فإن الذي زعموه باطل لا أصل له». انتهىٰ كلامه.

وفي إطلاقه البطلان نظر؛ فإنه قول ترجمان القرآن عبد اللَّه بن عباس ومن تبعه؛ بل جاء ذلك مرفوعًا.

قال البخاري في «الصحيح» في تفسير سورة البقرة: «وقال عكرمة: جبر، وميك، وسراف: عبد، إيل: اللَّه» ووصله أبو جعفر الطبري من طريق عاصم بن سليمان عن عكرمة قال: «جبريل اسمه عبد اللَّه، وميكائيل اسمه عبد اللَّه».

ومن طريق خصيف عن عكرمة قال: جبر: عبد، إيل: اللَّه، وميك: عبد، إيل: اللَّه.

ومن طريق يزيد النحوي عن عكرمة عن ابن عباس قال: «كل اسم فيه إيل فهو اللَّه».

وأخرج أبو عبيد في «الغريب» مرفوعًا وموقوفًا عن ابن عباس قال: «جبريل وميكائيل مثل قولك: عبد اللَّه وعبد الرحمن».

وأسند عن يحيىٰ أنه كان يقرؤها جبرالّ بتشديد اللام، ويقول: جبر: عبد، وآل: اللَّه.

وأخرج إبراهيم الحربي من وجه آخر عن ابن عباس: «جبريل وميكائيل، جبر: عبد، وميك: عبد، مثل قولك عبد اللَّه وعبد الرحمن».

فقول النووي: «لا أصل له» عجيب، وأي أصل أعظم من هذا.

والجواب علىٰ إشكال الفارسي واضح.

أما أولًا: فإن (إيل) و (ميك) ليسا باللغة العربية حتىٰ يدعي عدم كونهما من أسماء اللَّه.

وأما ثانيًا: فعدم الصرف للعجمة والعلمية والتركيب.

وقد وقع في كلام أبي العلاء المعري في أول «رسالة الغفران»: قد علم الجبر الذي نسب إليه جبريل ونسب لمعنىٰ أضيف.

والحاصل أنه اسم مركب من جزأين وليس عربيًا.

وذكر بعض اللغويين أن العزر يطلق علىٰ النصر والمنع والتوقيف علىٰ أمور الدين. يقال عزرته أعزره عزرًا: أي نصرته وعظمته. قالوا والعزار: الصلب من كل شيء.

فإن كان عزرائيل في الأصل «عزر» بالعربي، أضيف إلىٰ «إيل» فلعله مأخوذ من الصلابة ونحو ذلك مما يناسب حال ملك الموت عَلَيْهِ السَّلَامُ والله سبحانه وتعالىٰ أعلم بالصواب.

قال وكتبه أحمد بن علي بن حجر الشافعي في شعبان سنة تسع وثلاثين وثمانمائة بالقاهرة المحروسة حماها اللَّه من الآفات، وعلىٰ النبي الأمي محمد، بعد حمد اللَّه تعالىٰ أفضل الصلاة والسلام.

* * *

• ومن «فتاوى المنار»(١):

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سؤال: حضرة مولاي الأستاذ المصلح العظيم السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار، السلام عليكم ورحمة اللَّه وبركاته.

أما بعد، فقد قرأت في الجزء الأول من مجلد المنار التاسع والعشرين الأسئلة عن أحاديث الصحيحين وأجوبة المنار عنها. منها السؤال عن حديث الذباب الذي تكلم عليه الدكتور محمد توفيق صدقي كما نقله السائل وجواب المنار عنه، وبسببه زعم أنه كافر.

إذا كان مثل هذا الحديث كفر به من لم يأخذ به كالدكتور صدقي، فماذا يقول الأستاذ الأكبر في قوله: ونحن إذا سمعنا قوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾ [السَّجدَة: ١١] لا يتعين عندنا أن نفهم ما يفهمون، فعزرائيل لم يرد ذكر اسمه في القرآن ولا في سنة صحيحة، وإنما هو اسم مشهور عند اليهود كانوا يسمون به بعض الناس وله عندهم عدة صيغ أخرىٰ ولذلك لا نؤمن بوجوده. ا.هـ نقلًا من المنار من المجلد ١٨ .

وإني أرىٰ أن عدم إيمان الدكتور بوجود عزرائيل أشد تأثيرًا في سوء الظن باعتقاده وإيمانه خصوصًا عند الناس الذين يقل عندهم علوم الدين من عدم أخذه بحديث الذباب وعدم العمل به.

---

(١) المنار (٢٩/٦٥٩-٦٦١).

وفي كتاب «كلمة التوحيد» للأستاذ العلامة الشيخ حسين والي ما نصه: والذي يجب معرفته تفصيلًا جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل ورضوان، ومالك ورقيب، وعتيد، فيكفر منكر أحدهم دون غيره، هكذا قالوا. اهـ.

وعليه فمن تمسك بهذا القول فلا يخاف أن يكفر محمد توفيق صدقي - رحمه اللّٰه تعالىٰ - لإنكاره وجود عزرائيل الذي اعتقده المسلمون وإن كان في المسألة خلاف يفهم من صيغة التبري التي أتىٰ بها الأستاذ.

أما أنا فإني أعتقد أن الدكتور محمد توفيق صدقي - رحمه اللّٰه تعالىٰ - من أخلص المسلمين إسلامًا، ومن أقوىٰ المؤمنين إيمانًا، لما رأيته من مقالاته الدينية [الإسلامية] التي نشرها في المنار وبعض دروسه الصحية التي ألقاها - رحمه اللّٰه تعالىٰ - في مدرسة دار الدعوة والإرشاد بمصر، وكنت يومئذ من تلامذتها.

هذا والرجو من فضل مولاي الأستاذ أن يبين لنا وللناس أجمعين هذه المسألة بيانًا شافيًا كعادته الحسنة ودأبه الجميل، وأسأله تعالىٰ أن يثيبه الثواب الجميل.

الجواب:

الإيمان بالملائكة هو الركن الثاني من أركان الإيمان فيجب الإيمان بهم إجمالًا وبمن وردت النصوص بأسمائهم أو صفاتهم تفصيلًا ومنهم ملك الموت إذا كانت النصوص قطعية الرواية والدلالة، وأما تسمية ملك الموت بعزرائيل وما أوهمه كلام بعضهم من وجوب الإيمان بهذا الاسم له

فغير صحيح؛ فإن اسم عزرائيل لم يرد في القرآن كاسم جبريل وميكال، وهو ميكائيل، ومالك ولا في الأحاديث الصحيحة المرفوعة كاسم إسرافيل، وأنا الذي أخبرت الدكتور صدقي بهذا إذ سألني عنه، وقد أشار علىٰ هذا صديقنا الأستاذ الشيخ حسين والي بقوله: هكذا قالوا، كما فهم السائل.

ولا أذكر أنني رأيت اسم عزرائيل في شيء من دواوين السنة ولا في تفسير غريبها، إلا في أثر رواه ابن أبي الدنيا وأبو الشيخ في كتاب «العظمة» لا يحتج به ولا يثبت بمثله فرع في أحكام الطهارة والنجاسة، فهل تثبت به عقيدة يكفر منكرها؟ وذكر الحافظ ابن كثير في تفسير قوله تعالىٰ ﴿قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم أنه جاء في بعض الآثار أن اسم ملك الموت عزرائيل، فهل يعني هذا الأثر أو غيره؟ اللّٰه أعلم.

والدكتور صدقي إنما أنكر اسم عزرائيل، ولم ينكر ملك الموت، ولكن كان له رأي شاذ في فهم بعض أصناف الملائكة قد أنكرناه عليه عند ذكره في المقالة التي أشار إليها السائل، وأرجو أن يكون قد رجع عنه كما رجع عن كثير من آرائه التي أنكرتها عليه بالحجة والبرهان، ومن كفره بإنكاره صحة حديث الذباب للإشكال في معناه فهو جاهل بأصول الإيمان، ويا ليت له مثل علمه وعمله بالإسلام، وهو لم ينفرد بهذا فقد رد كثير من العلماء بعض ما صح سنده لما دون هذا الإشكال في متنه.

وجملة القول أنه لا يجب علىٰ مسلم أن يؤمن بأن ملك الموت يسمىٰ عزرائيل، ولا إثم علىٰ مؤمن ينكر هذا الاسم، بل الأصل في مثله أن

يتوقف فيه إلىٰ أن يثبت بنقل صحيح عن المعصوم، وهذا ما لم نقف عليه، ولا أن يؤمن بأن للَّه ملكين اسم أحدهما رقيب، واسم الآخر عتيد، وإنما ورد هذان اللفظان في سورة (ق) صفتين لا اسمين، والخوف علىٰ دين من يوجب علىٰ الناس الإيمان بما لم يوجبه اللَّه عليهم بنص قطعي أقوىٰ من الخوف علىٰ دين من أنكر ذلك؛ لأن الموجب بدون علم قد نصب نفسه منصب التشريع وافترىٰ علىٰ اللَّه، فكيف إذا كفر من ينكر ما لم يثبت بدليل ظني؟ فما كل ما وجب الإيمان به يكفر منكره، بل منه ما يعذر جاهله والمتأول له.

* * *

● ومن «فتاوى المنار»[1]:

تفسير ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ﴾ [الرّعد: ١١]

سؤال: فضيلة الأستاذ: السلام عليكم ورحمة اللَّه

لي الشرف الرفيع، والقدح المعلىٰ بمثول مسطوري بين يديكم، وإنني وإن لم أحظ من الأستاذ بالمعرفة الشخصية فقد عرفتني به آدابه الجمة، وهداني إليه منار علمه الغزير، ومشكاة فضيله العميم، ولا غرو بعد إذا رفعت هذا إليكم مستفتيًا عن الآتي:

جاء في كتاب «الإسلام دين الفطرة» للأستاذ المفضال «الشيخ عبد العزيز شاويش» تنديد علىٰ بعض مفسري الزمن الغابر.

(١) المنار (١٧/ ٦٥٥-٦٥٨).

نرىٰ فضيلته قد ذهب مذهبًا غير الذي ذهب إليه المفسرون كالجلالين، والنسفي، وغيرهما. ولقد جاء في كلامه المنشور علىٰ «ص ٣٣ و ٣٤» من الكتب المشار إليه في تفسير الآية التالية ما لا يتفق مع السابقين:

﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ۝٩ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ۝١٠ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ الآية [الرعد: ٩-١١]. فسر الأوائل المعقبات بالملائكة تتعقب علىٰ العبد ليل نهار، ورووا في ذلك حديثًا عن كنانة العدوي قال: دخل عثمان بن عفان علىٰ رسول اللَّه فقال أخبرني عن العبد كم معه من ملك؟ قال: «ملك علىٰ يمينك علىٰ حسناتك وهو أمين علىٰ الذي علىٰ الشمال. . . وملكان من بين يديك ومن خلفك، يقول اللَّه: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [الرّعد: ١١] وملك قابض علىٰ ناصيتك فإذا تواضعت للَّه رفعك وإذا تجبرت علىٰ اللَّه قصمك، وملكان علىٰ شفتيك ليس يحفظان عليك إلا الصلاة علىٰ محمد - عليه الصلاة والسلام -، وملك علىٰ فيك لا يدع الحية تدخل إليه، وملكان علىٰ يمينك. فهؤلاء عشرة أملاك علىٰ كل آدمي ينزلون، وملائكة النهار فهؤلاء عشرون ملكًا علىٰ كل آدمي، وإبليس بالنهار وولده بالليل» اهـ.

وفسر الشيخ شاويش «المستخفي بالليل والسارب بالنهار» فقال: إنهما المتخذان لهما وحرسًا وجلاوزة إلخ. وهنا يتضح من سياق كلامه أنه جحد وجود ملائكة تحفظ العبد وصفوة القول إنني حيال هذه التفاسير المتضاربة، وتلك الآراء المتباينة كريشة في مهب الرياح.

بيد أن ثقتي بكم، واعتمادي علىٰ علو كعبكم في العلوم الدينية سيدنيان مني الغرض ويقضيان عني الريب.

وها أنا ذا علىٰ أحر من الجمر، حتىٰ يرد علىٰ القول الفصل، وما هو شفاء للصدور ورجائي أن تشمل الإجابة الأسئلة الآتية:

١- أي الطرفين أصاب، وما وجه إصابته، وأيهما الجدير بالاتباع؟

٢- لم لا يعود الضمير في قوله تعالىٰ ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ﴾ [الرّعد: ١١] علىٰ من ذكر اسم اللَّه كقول المفسرين، ولم لا أثر لذلك في الآية أصلًا كرأي فضيلة الشيخ شاويش؟

٣- ما هو تفكيك نظام الآية الذي جاء به المفسرون، وكيف قطعوا الحال من صاحبها وفرقوا بين الأجزاء التي تتألف منها؟

٤- كذب الشيخ شاويش الحديث، وبأي وجه يحتمل تكذيبه له مع أن راويه البخاري وهو كما نعلم من رءوس الرواة وأصحها سندًا؟

الجواب:

اختلف مفسرو السلف في، المعقبات هنا، فأخذ الشيخ عبد العزيز شاويش بما أعجبه وشنع علىٰ من قالوا بغيره، وما كان ينبغي له ذلك، وقد ذكر الحديث المرفوع فيه، وإننا لم نطلع علىٰ ما كتبه، ويظهر مما كتبه، ويظهر مما كتبه السائل أنه رد الحديث من غير أن يبني رده علىٰ علته فيه، وطعن في سنده، وأن عبارته توهم أن ما اعتمده في تفسير المعقبات مما استنبطته قريحته

الوقادة، وكان دليلًا علىٰ تفضيل الأواخر علىٰ الأوائل! وقد عهدنا منه في مجلته رد الأحاديث الصحيحة المتفق عليها إذا لم يعجبه معناها.

وحديث كنانة العدوي في تفسير المعقبات ليس في «الصحيحين»، وقد عزاه في «الدر المنثور» إلىٰ ابن جرير، وخرجه ابن جرير في «تفسيره» بسند ضعيف قال: «حدثني المثنى، قال حدثنا عبد السلام بن صالح القشيري، قال: ثنا علي بن حرب، عن حماد بن سلمة، عن عبد الحميد بن جعفر، عن كنانة العدوي» وذكره.

وعبد السلام بن صالح اختلفوا فيه فقالوا: إنه يروي المناكير، واتهمه بعضهم بالوضع، ولكن أنكر الحافظ قول العقيلي فيه: إنه كذاب.

وفي غيره من رجال السند مقال لا محل لبسطه. ولو صح هذا السند عند ابن جرير لما رجح عليه غيره.

وقد روي عن ابن عباس أنه قال في تفسير المعقبات: يعني ولي السلطان يكون عليه الحراس يحفظونه من بين يديه، ومن خلفه إلخ. كذا في «الدر المنثور».

وفي «تفسيره» بسنده عنه قال: ذكر ملكًا من ملوك الدنيا له حرس من دونه حرس. وفي رواية أخرى له عنه: قال: يعني ولي الشيطان يكون عليه الحرس.

وروىٰ أيضًا عن عكرمة أنه قال في أصحاب المعقبات: هو هؤلاء الأمراء. وقال في رواية أخرىٰ أنه قال في المعقبات: المواكب من بين يديه ومن خلفه.

قال ابن جرير بعد ما روىٰ القولين في المعقبات عن ابن عباس وعن غيره:

«وأولىٰ التأويلين في ذلك بالصواب قول من قال: الهاء في قوله: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ﴾ [الرّعد: ١١] [راجع إلى] من التي في قوله ﴿وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِٱلَّيْلِ﴾ [الرّعد: ١٠] وإن المعقبات من بين يديه ومن خلفه هي حرسه وجلاوزته، كما قال ذلك من ذكرنا قوله، وإنما قلنا: إن ذلك أولىٰ التأويلين بالصواب؛ لأن قوله: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ﴾ [الرّعد: ١١] أقرب إلىٰ قوله ﴿وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِٱلَّيْلِ﴾ [الرّعد: ١٠] منه إلىٰ قوله ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ﴾ [الرعد: ٩] فهي لقربها منه أولىٰ بأن تكون من ذكره «فيها» وأن يكون المعنىٰ بذلك، هذا مع دلالة قول اللَّه: ﴿وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ﴾ [الرعد: ١١] علىٰ أنهم هم المعنيون بذلك. وذلك أنه جل ثناؤه ذكر قومًا أهل معصية له وأهل ريبة يستخفون بالليل ويظهرون بالنهار، ويمتنعون من عند أنفسهم بحرس يحرسهم ومنعة تمنعهم من أهل طاعته أن يحولوا بينهم وبين ما يأتون من معصية اللَّه؛ ثم أخبر أن اللَّه تعالىٰ ذكره إذا أراد بهم سوءًا لم ينفعهم حرسهم ولا يدفعهم عنهم حفظهم» ا. هـ ما قاله، وهو الذي نختاره.

أما حديث أبي هريرة في «الصحيحين» والنسائي فهذا نصه «**يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر، وصلاة العصر. ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم ربهم - وهو أعلم بهم - كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون**»[1]

(١) أخرجه: البخاري (١/ ١٤٥) (٤/ ١٣٨) (٩/ ١٥٤، ١٧٤)، ومسلم (٢/ ١١٣).

ورواه البزار بلفظ: «**إن للّٰه ملائكة يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار**» إلخ. فأنت ترىٰ أنه لم يرد تفسيرًا للآية.

ولا أدري أكذب عبد العزيز شاويش هذا الحديث، وأنكر أن يكون في الملائكة حفظة يتعاقبون في المكلفين؟ أم أنكر أن يكون ذلك هو المراد من الآية؟ ظاهر عبارة السؤال الأول، ولا يبعد ذلك علىٰ هذا الرجل فقد عهد منه مثله، ولا عبرة بقوله، فلا هو من أهل العلم بالحديث رواية ولا دراية، ولا بغير الحديث من علوم الدين، ولكن له مشاركة في الفنون العربية وبعض العلوم العصرية، فتصدىٰ بذلك للتشبه بالمصلحين، الذين يجمعون بين الدين والعقل، فتجرأ علىٰ رد الأحاديث الصحيحة بغير علم، وقوله هو المردود، وحديث الرسول ﷺ هو المقبول، ولعل ما ذكرناه يغني عن بيقة مباحث السؤال اللفظية غير الواضحة.

* * *

- **ومن «الحاوي للفتاوي» للسيوطي[(١)]:**

مسألة:

ماذا جواب إمام لا نظير له
في العصر كلا ولا في سالف الدهر؟
في الحافظين علىٰ الإنسان إذ كتبا
هل بالمداد وحبر عد للبشر؟

---

(١) فتاوىٰ السيوطي (١/ ٣٧٧).

وكاغد يكتبا ما كان مع قلم
أو لا كذلك يا من ضاء كالقمر
أثابكم ربكم جناته كرمًا
بجاه خير الورىٰ المبعوث من مضر

الجواب:

اللَّه أحمد حمدًا غير منحصر ثم الصلاة علىٰ المختار من مضر
مداده الريق فيما قد أتىٰ ولسا ن الخلق أقلامهم قد جاء في الأثر
وفي الصحيفة كتب والبطاقة جا من غير تعيين جنس صح في الخبر

* * *

● ومن «الفتاوىٰ الحديثية» للهيتمي[١]:

وسئل - نفع اللَّه بعلومه -: عن الملائكة - صلوات اللَّه وسلامه عليهم - هل خلقوا دفعة واحدة أو يخلقون تارات لما في بعض الروايات «أن اللَّه يخلق بكل قطرة ملكًا»؟ وهل يولد الشياطين ويموتون كبني آدم أو يولدون ولا يموتون إلىٰ يوم القيامة؟

وهل الأفضل في الذكر ذكر لا إله إلا اللَّه، أو ذكر الجلالة فقط؟ وهل الأفضل في الذكر اللسان مع حضور القلب، أو الذكر الخفي، فما وجهه، وهل المراد به ما هو بالنفس أو ما يشمله والملفوظ باللسان من غير إسماع نفسه؟

وما معنىٰ ما قيل: «تفكر ساعة خير من عبادة سنة»، هل

---

(١) «الفتاوىٰ الحديثية للهيتمي» (ص٥٩-٧٧).

المراد بالتفكر ذكر اللَّه، أو ذكر عظمته أو في استخراج العلوم أو المراقبة، أو التفكر في المعاملة التي بين العبد وربه؟ وهل تشمل العبادة التي ذكرت في مقابلة التفكر الأذكار، والصلوات كالنوافل، وحينئذ فما وجه تفضيل الفكر عليها مع ورود الأخبار فيها؟

وهل رفع الصوت بقراءة الأوراد بعد الصلوات أولىٰ من إسماع نفسه سواء نفسه السالكون وغيرهم كالجماعة المنسوبين إلىٰ السيد علىٰ الهمداني فإنهم يقرءون أوراده جهرًا كما هو معتاد المشايخ، أو يفرق بين ما إذا كان هناك مصل أو نائم أو لا؟

وهل يجوز أخذ اليد المعهودة بين الصوفية من مشايخ متعددة سواء مات الأول أو انتفع به أو لا؟ وهل هي التوبة أو توبة مقرونة بالتحكيم؟ وهل هما شيء واحد أو لا؟

فأجاب - نفع اللَّه بعلومه وبركته - بقوله:

ظاهر السنة أن الملائكة لم يخلقوا دفعة واحدة، فقد أخرج عبد الرزاق بسنده، عن جابر بن عبد اللَّه الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قلت: يا رسول اللَّه بأبي أنت وأمي أخبرني عن أول شيء خلقه اللَّه قبل الأشياء؟ قال: «**ياجابر إن اللَّه خلق قبل الأشياء نور نبيك محمد ﷺ، من نوره فجعل ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء اللَّه، ولم يكن في ذلك الوقت لوح، ولا قلم، ولا جنة، ولا نار، ولا ملك، ولا سماء، ولا أرض، ولا شمس، ولا قمر، ولا إنس، ولا جن، فلما أراد اللَّه تعالىٰ أن يخلق الخلق قسم ذلك النور أربعة أجزاء: فخلق من الجزء الأول القلم، ومن**

الثاني اللوح، ومن الثالث العرش، ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء: فخلق من الأول حملة العرش، ومن الثاني الكرسي، ومن الثالث باقي الملائكة، ثم قسم الرابع أربعة أجزاء: فخلق من الأول السماوات، ومن الثاني الأرضين، ومن الثالث الجنة والنار، ثم قسم الرابع أربعة أجزاء، فخلق من الأول نور أبصار المؤمنين، ومن الثاني نور قلوبهم - وهي المعرفة بالله - ومن الثالث نور أنسهم - وهو التوحيد لا إله إلا اللَّه محمد رسول اللَّه ﷺ»[1] الحديث، فتأمله تجده ظاهرًا أو صريحًا في خلق حملة العرش قبل خلقه بقية الملائكة.

وأخرج ابن جريج وابن أبي حاتم وأبو الشيخ في «العظمة» عن أبي العالية قال: «إن اللَّه تعالىٰ خلق الملأ الأعلىٰ الملائكة يوم الأربعاء، وخلق الجن يوم الخميس، وخلق آدم يوم الجمعة».

وأخرج أبو الشيخ أنه ﷺ قال «**إن للَّه تعالىٰ في الجنة نهرًا يدخل جبريل فينفض قطرًا، فيخلق اللَّه من كل قطرة تقطر منه ملكًا**».

وأخرج أيضًا عن وهب بن منبه قال «إن للَّه نهرًا في الهواء يسع الأرضين كلها سبع مرات، فينزل علىٰ ذلك النهر ملك من السماء فيملؤه ويسد ما بين أطرافه، ثم يغتسل منه فإذا خرج منه قطر منه من قطرات من نور فيخلق اللَّه من كل قطرة منها ملكًا يسبح اللَّه بجميع تسبيح الخلائق كلهم».

وأخرج أيضًا عن كعب قال: «لا تقطر عين مالك منهم إلا كانت ملكًا يطير من خشية اللَّه».

---

(١) هذا حديثٌ موضوع.

وأخرج أيضًا عن العلاء بن هارون قال: «لجبريل كل يوم انغماس في الكوثر، ثم ينتفض فكل قطرة يخلق منها ملك».

وأخرج أيضًا أنه ﷺ قال «**ليس من خلق اللّه أكثر من الملائكة ما من شيء ينهت إلا وملك موكل به**».

وأخرج أيضًا عن الحاكم[1] قال: «بلغني أنه ينزل مع المطر من الملائكة أكثر من ولد آدم وولد إبليس يحصون كل قطرة وأين تقع ومن يرزق ذلك النبات».

وأخرج ابن المنذر عن عبد اللّه بن عمر رضي الله عنهما يرفعه إلىٰ رسول اللّهٰ ﷺ قال « **الملائكة عشرة أجزاء: تسعة أجزاء الكروبيون الذين يسبحون الليل والنهار لا يفترون، وقد وكلوا بخزانة كل شيء، وما من السماء موضع إلا فيه ملك ساجد أو ملك راكع، وإن الحرم بحيال العرش؛ وإن البيت المعمور بحيال الكعبة لو سقط لسقط عليها يصلىٰ فيه كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه**».

وأخرج أبو الشيخ والبيهقي والخطيب وابن عساكر أنه ﷺ قال: «**إن للّه ملائكة ترعد فرائضهم من مخافته ما منهم ملك تقطر من عينه دمعة إلا وقعت ملكًا قائمًا يسبح، وملائكة سجودًا منذ خلق اللّه السماوات والأرض لم يرفعوا رءوسهم ولا يرفعونها إلىٰ يوم القيامة، وملائكة ركوعًا لم يرفعوا رءوسهم ولا يرفعونها إلىٰ يوم القيامة، وصفوفا لم ينصرفوا عن مصافهم ولا ينصرفون عنها إلىٰ يوم القيامة، فإذا كان يوم**

(١) لعل الصواب: «الحكم»، وهو ابن عتيبة.

القيامة تجلىٰ لهم ربهم عز وجل فينظرون إليه وقالوا: سبحانك ما عبدناك كما ينبغي لك»(١)

وأخرج أبو الشيخ عن وهب قال: «هؤلاء الأربعة أملاك جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت أول من خلقهم اللَّه تعالىٰ من الخلق وآخر من يميتهم وأول من يحيهم، هؤلاء المدبرات أمرًا والمقسمات أمرًا».

فهذه الأحاديث والآثار كلها ظاهرة أو صريحة في أن الملائكة لم يخلقوا دفعة، بل دفعات.

وهنا فوائد لا بأس بالإشارة لشيء منها.

فمنها: أن في «منهاج الحليمي» و «شعب البيهقي» و «ابتهاج القونري» حكاية قول أن الملائكة من الجن وأنهم خيارهم، لقوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ﴾ [الصافات: ١٥٨] أي قالوا: الملائكة بنات اللَّه - تعالىٰ اللَّه عن ذلك علوًا كبيرًا - وقوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ﴾ الآية [الرَّحمٰن: ١٤] فلم يذكر قسمًا ثالثًا.

ويرد بأن الملائكة قد يسمون جنة لاستتارهم، ومما يصرح بتغايرهم قوله تعالى: ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ﴾ [الكهف: ٥٠] ولم يذكر في آية الرحمن؛ لأنها لبيان ما ركب من خلق متقدم، والملائكة ليسوا كذلك؛ لأنهم مخترعون، قال اللَّه تعالىٰ لهم: كونوا، فكانوا، كما قال للأصل

(١) أخرجه: الخطيب في «تاريخه» (١٢/ ٣٠٧)، والبيهقي في «الشعب» (٩١٤)، وراجع: «تفسير ابن كثير» (٨/ ٢٩٧)

الذي خلق منه الجن والأصل الذي خلق منه الإنس: وهو التراب، والماء، والنار، والهواء، كن فكان، فالملائكة في الاختراع كأصول الإنس والجن لا كأعيانهما فلذا لم يذكروا معهم.

قال البيهقي: وأبين من هذا كله أن الملائكة صنف غير صنف الجن حديث مسلم: «**خلقت الملائكة من نور وخلقت الجان من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم**»[(١)]. قال: ففي فصله بينهما في الذكر دليل علىٰ أنه أراد نورًا آخر غير نور النار.

واستدل الثلاثة المذكورون - علىٰ تباينهما - بقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ﴾ [سبأ: ٤٠-٤١].

ومنها: قال: هؤلاء الثلاثة أيضًا الملائكة يسمون الروحانيين بضم الراء وفتحها، فالضم؛ لأنهم أرواح ليس معها ماء ولا نار ولا تراب، ومن قال هذا قال: الروح جوهر، وقد يجوز أن يؤلف اللَّه أرواحًا فيجسمها ويخلق منها خلقًا ناطقًا عاقلًا، فتكون الروح مخترعًا والتجسم، وضم النطق والعقل إليه حدثًا من بعد فيجوز أن تكون أجسادهم علىٰ ما هي عليه مخترعة كما اخترع عيسىٰ وناقة صالح. وأما الفتح؛ فبمعنىٰ أنهم ليسوا محصورين في الأبنية والظلل وإنما هم في فسحة وبساطة.

ومنها: قال الحسن وجمهور الفلاسفة، وكثير من الجبريين: هم مجبورون علىٰ الإيمان ولا يتصور منهم كفر، وقال عامة أهل السنة

(١) أخرجه: مسلم (٨/ ٢٢٦)، وأحمد (٦/ ١٥٣، ١٦٨) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

والجماعة: إنهم مختارون عارفون، قال تعالى: ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٢٩] الأنبياء فلو لم تتصور منهم مخالفة لم يؤاخذوا بذلك.

ومنها: أجمع المسلمون أنهم مؤمنون فضلاء، واتفق أئمة المسلمين أن الرسل منهم إلىٰ الأنبياء معصومون كالأنبياء، والأصح، بل الصواب عصمة بقيتهم.

وأما ما وقع لهاروت وماروت - كما صح عنه ﷺ في شأنهما أنهما كانا من الملائكة، وإنهما افتتنا بالزهرة، وكانت أجمل نساء زمنها حتىٰ زنيا بها، وشربا الخمر، وقتلا فمسخت كوكبًا؛ لأنهما علماها الاسم الأعظم الذي كان يرقيان به إلىٰ السماء فرقيت إليهما فمسخت هذا الكوكب المضيء المعروف(١) فذلك أمر خارق للعادة أوجده اللَّه تعالىٰ تأديبًا للملائكة في قولهم كما صح في الحديث أيضًا عند خلق آدم ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ

(١) أخرجه: أحمد (٢/ ١٣٤)، وابن حبان (٦١٦٨)، والبراز (٢٩٣٨-كشف)، والبيهقي في «سننه» (١٠/ ٤-٥) من طريق زهير بن محمد عن موسىٰ بن جبير عن نافع عن ابن عمر مرفوعًا.

وقال البراز: «رواه بعضهم عن نافع عن ابن عمر موقوفًا وإنما أُتي رفع هذا عندي من زهير، لأنه لم يكن بالحافظ».

وقال البيهقي: «رواه موسىٰ بن عقبة عن نافع عن ابن عمر عن كعب قال......، وهذا أشبه».

قلت: فالراجح أن هذا الحديث هو من كلام كعب الأحبار، ولا تصح نسبته إلىٰ النبي ﷺ.

وراجع: «تفسير ابن كثير»(١/ ١٩٨-١٩٩)، و«الضعيفة» (١٧٠)، و«علل ابن أبي حاتم» (١٦٩٩)

فِيهَا﴾ الآية [البقرة: ٣٠]، فبين لهم تعالىٰ أنه لو ركب فيهم ما ركب في الإنسان لأفسدوا أيضًا فتعجبوا، فأمرهم أن يختاروا ثلاثة منهم ففعلوا فاستقال واحد منهم فأقيل، ونزل هاروت وماروت فوقع لهما ما وقع تأديبًا لبقية الملائكة وزجرًا لهم عن أن يخوضوا فيما لا علم لهم به.

وهذا الذي ذكرته من الجواب عن هذه القصة من أنها أمر خارق للعادة، وبهذه الحكمة التي ذكرتها، يتبين به الرد علىٰ من أطال في إنكار قصتهما حتىٰ بالغ بعضهم وقال: إن من اعتقد ذلك فيهما كفر، وليس كما زعم لما علمت من صحة الأحاديث بها، وأن ذلك الوقوع لتلك الحكمة لا يخل بعصمة الملائكة من حيث هي، ولا ينافيه شيء من الأدلة ولا من القواعد، فاحفظ ما قررته وتأمله فإن الكلام قد كثر في هذا المحل، وتعارضت فيه الآراء والظنون ما ذكرته فيه هو الأوفق بالسنة وغير مناف للقواعد وإن لم أر من سبقني إليه.

وقيل: لم يكونوا ملكين، بل هما جنيان وإن كانا بين الملائكة فإن صح هذا لم يحتج للجواب عن قصتهما كما أن إبليس لم يكن من الملائكة وإنما كان بينهم وهو من الجن.

ومنها: قال جماعة: من ينتقص ملكًا أجمع على أنه من الملائكة، أو تواتر به الخبر قتل، كأن قال: هذا أقسىٰ قلبًا من مالك خازن النار، أو أوحش من منكر ونكير؛ إذا قاله في معرض النقص بالوحاشة والقساوة.

ومنها: قال جماعة: إن نبينا ﷺ مبعوث إلىٰ الملائكة أيضًا، وقد بسطت الكلام علىٰ ذلك، وأنه الأصح في فتوىٰ غير هذه.

ومنها: ما ذكره السبكي في «حلبياته» أن الجماعة تحصل بهم كالآدميين، ونقله عن «فتاوىٰ الحناطي» وبسطت الكلام فيه في «شرح الإرشاد».

ومنها: قال ابن الصلاح في «فتاويه»: ورد أن الملائكة لم يعطوا فضيلة قراءة القرآن، فهي حريصة لذلك علىٰ استماعه من الإنس، وقد ذكرت ذلك بما فيه في «شرح العباب» في باب الأحداث.

ومنها: سيأتي الكلام علىٰ تشكل الجني في الصور المختلفة، ومثله الملك في ذلك. وقال إمام الحرمين: مجيء جبريل للنبي ﷺ في صفة رجل معناه أن اللّٰه تعالىٰ أفنىٰ الزائد من خلقه وأزاله عنه ثم يعيده إليه بعد.

وقال ابن عبد السلام: إذا أتىٰ في صورة دحية، فأين روحه أفي هذا الجسد، أم في الجسد الأصلي الذي له ستمائة جناح، فإن كان في هذا فليس الآتي بروح جبريل ولا جسده، وإن كان في الجسد الذي كدحية، فهل مات جسده الأصلي كما تموت الأجساد بمفارقة الأرواح. قلت: لا يبعد أن يكون انتقالها من الجسد الأصلي غير موجب لموته؛ لأن موت الجسد بمفارقة الروح ليس بواجب عقلًا فيجوز بقاؤه حيًا لا ينقص من أعماله شيء، وانتقال روحه إلىٰ الجسد الثاني كانتقال أرواح الشهداء إلىٰ أجواف الطيور الخضر. انتهى.

وقال السراج البلقيني: يجوز أن يكون الآتي هو جبريل بشكله الأصلي إلا أنه انضم فصار علىٰ قدر هيئة الرجل، ثم يعود إلىٰ هيئته كالقطن إذا

جمع بعد أن كان منتفشًا فإنه بالنفش تحصل صورة كبيرة وذاته لم تتغير. انتهى.

وقال العلامة القونوي شارح «الحاوي» في تشكل جبريل رجلًا: في الممكن أن يخص اللَّه بعض عباده في حياته بخاصة لنفسه المليكة القدسية وقوة لها بقدرتها علىٰ التصرف في بدنها الآخر غير بدنها المعهود مع استمرار تصرفها في الأول. وقيل: سميت الأبدال أبدالًا؛ لأنهم قد يرحلون لمكان ويخلفون في مكانهم الأول شبحًا آخر شبيهًا بشبحهم الأصلي بدلًا عنه، وقد أثبت الصوفية عالمًا متوسطًا بين عالمي الأجساد، والأرواح سموه عالم المثال، وقالوا: هو ألطف من عالم الأجساد وأكثف من عالم الأرواح، وبنوا علىٰ ذلك تجسد الأرواح وظهورها في صور مختلفة من عالم المثال، وقد يستأنس لذلك بقوله تعالى: ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا﴾ [مريَم: ١٧] فتكون الروح الواحدة كروح جبريل مثلًا في وقت واحد مدبرة لشبحه الأصلىٰ ولهذا الشبح المثالي.

وينجلي بهذا ما قد اشتهر نقله من بعض الأئمة أنه سأل بعض الأكابر عن جسم جبريل، فقال: إن كان جسمه الأول الذي يسد الأفق بأجنحته لما تراءىٰ للنبي ﷺ فأين صورته الأصلية عند إتيانه إليه في صورة دحية وقد تكلف بعضهم الجواب عنه يجوز أن يقال كان يندمج بعضه في بعض إلىٰ أن يصغر حجمه فيصير بقدر دحية ثم يعود وينبسط إلىٰ أن يصير كهيئته الأولى، وما ذكره الصوفية أحسن، ويجوز أن يكون جسمه الأول بحاله لم يتغير وقد أقام اللَّه له شبحًا آخر وروحه متصرفة فيهما في وقت واحد. انتهى.

وقال بعضهم: إنما يأتي الغلط هنا من قياس الشاهد علىٰ الغائب فيعتقد أن الروح من جنس ما يعهد في الأجسام التي إذا شغلت مكانًا لم يمكن أن تكون في غيره، وهذا غلط محض؛ ألا ترىٰ أن الروح في الرفيق الأعلىٰ وهي متصلة ببدن الميت بحيث إذا سلم عليه ردت السلام، وهىٰ مكانها هناك.

وقال التاج ابن عطاء: روى: أن للّه ملكًا يملأ ثلث الكون، وملكًا يملأ ثلثي الكون، وملكًا يملأ الكون كله.

قال: فإذا كان هذا يملأ الكون فأين الملكان الآخران؟ وجوابه: أن للطائف لا تتزاحم كالكثائف ونظيره إذا دخل في البيت سراج، فإن نوره يملأ البيت، فإذا دخل سراج ثان أو أكثر فإن الأنوار لا تتزاحم.

ومنها: قال الإمام فخر الدين الرازي في «تفسيره»: اتفقوا علىٰ أن الملائكة لا يأكلون ولا يشربون ولا ينكحون. وأما الجن فإنهم يأكلون ويشربون وينكحون ويتوالدون وظاهر قوله تعالى: ﴿لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٠] أنهم لا ينامون وهو منقول في كلام الفخر.

ومنها: قال بعضهم الحنفية: يحشر ملك الموت مع الناس، ولا يخافون منه؛ لأن اللّه تعالىٰ أمنهم منه بقوله: ﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ﴾ [الحجر: ٤٦] أي من الموت والزوال، وقوله ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ﴾ [الدّخان: ٥٦] وبقية الملائكة يكونون في الجنة لكن بعضهم يطوفون حول العرش يسبحون بحمد ربهم، وبعضهم يبلغون السلام من اللّه علىٰ المؤمنين كما قال تعالى: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ﴾ الآية [الرعد: ٢٣]، وقد ذكر جمع من الحنفية أنهم لا يرون ربهم والأرجح كما يأتي.

ومنها: أخرج جماعة عن أبي مجلز في قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ﴾ [**الأعراف**: ٤٦] قال: من الملائكة. قيل: إنه تعالىٰ قال: ﴿رِجَالٌ﴾ وأنت تقول الملائكة؟ قال: إنهم ذكور ليسوا بإناث، ولما حكاه الحليمي استبعده؛ لأن الرجال اسم لذكور العقلاء والملائكة لا ينقسمون إلىٰ ذكور وإناث، وبأن إخباره تعالىٰ عنهم أنهم يطمعون أن يدخلوا الجنة، فتعين أنهم ليسوا ملائكة؛ إذ الملائكة لا يحجبون عنها لما في الحجب عنها من نوع تعذيب، ولا عذاب يومئذ علىٰ ملك. انتهى.

وتبعه القونوي في «اختصاره لمناهجه» قال: والجن كالإنس في السؤال والحساب، ودخول الجنة والنار ويحتمل أن لا يتخالطا في الجنة لما بينهما من التضاد: وأما الملائكة فالأشبه أنهم لا يكتب لهم عمل، ولا يحاسبون إذ لا سيئات لهم، فهم كبشر لا سيئات له. قيل: ولا يثابون لرفع التكليف عنهم، لأنهم ليسوا من أهل المطاعم، والمشارب، والمناكح حتىٰ يوردوا موارد بني آدم من الجنة، ويحتمل أن لهم مع ذلك نعمة أخرىٰ أعدت لهم ولا تبلغها عقولنا، فإنه تعالىٰ يقول: «**أعددت لعبادي الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر علىٰ قلب بشر**» قال: وأما طي السماء فيحتمل أن بطويها الملائكة إذا وهت وانشقت طيًا شديدًا كما يطوىٰ السجل المكتوب فيه الحكم المبرم مبالغة في صيانته عن أن ينشر، ولذلك قال تعالى: ﴿بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧] لإشعار اليمين بالقوة فضرب مثلا بشدة الطي، وكلما طويت سماء نزلت ملائكتها إلىٰ الأرض ويراهم الناس حينئذ كما في سورة الفرقان.

ومنها: أن الحفظة لا يفارقوننا إلا عند الخلاء، والجماع، والغسل كما

في حديث، وفي حديث آخر: « **إن مجلس الحافظين من الإنسان أقصىٰ أضراسه** » وفي أخرىٰ « **أنقوا أفواهكم بالخلال؛ فإنه مجلس الملكين الكريمين الحافظين، وإن مدادهما الريق وقلمهما اللسان** »[(١)] ومن ثم قال «لسان الإنسان قلم الملك وريقه مداده».

قيل: ولم يرد خبر ولا أثر علىٰ ماذا يكتبون، وإنما قدر منكر ونكير علىٰ مخاطبة الموتىٰ المتعددين في الوقت الواحد والأماكن المتباعدة لعظم جثتهما فيتخيل لكل أن المخاطب هو دون غيره، واختار الحليمي تعدد ملائكة السؤال، وتسميتهم بذلك ويرسل لكل واحد اثنان كما في كتابة أعماله.

ومنها: ذكر الغزالي وآخرون: أن رؤية الملائكة ممكنة الآن كرامة يكرم اللَّه بها من أوليائه من شاء، ووقع ذلك لجماعة من الصحابة، ولما رأىٰ ابن عباس جبريل قال النبي ﷺ: « **لن يراه خلق إلا عمي إلا أن يكون نبيًا، ولكن يكون ذلك آخر عمرك** » رواه الحاكم وكذا رأته عائشة رضي الله عنها؛ وزيد بن أرقم، وخلق لما جاء يسأل عن الإيمان ولم يعموا؛ لأن الظاهر أن المراد من رآه منفردًا به كرامة له وبالنفخ في الصور يموتون إلا حملة العرش، وجبريل، وإسرافيل، وميكائيل، وملك الموت ثم يموتون أثر ذلك، قال وهب: هؤلاء الأربعة أول من خلقهم اللَّه من الخلق وآخر من يميتهم وأول من يحييهم.

قال الجلال السيوطي - شكر اللَّه سعيه -: ولم أقف علىٰ شيء أن

---

(١) أخرجه: أبو نعيم في أخبار «أصبهان» (١/ ١٨٤)

أرواحهم بعد الموت تكون في ماذا، والظاهر أنهم يدخلون في الشفاعة العظمىٰ لقوله ﷺ: « **وأخرت الثالثة ليوم ترغب إلي فيه الخلق حتىٰ إبراهيم** » ويكونون مع بني آدم حين القيام لرب العالمين، وورد أنهم في الموقف يحيطون بالإنس والجن وجميع الخلائق.

ومر عن الحليمي أنهم لا يحاسبون، ولا يكتب لهم عمل وهو يقتضىٰ أن أعمالهم لا توزن؛ لأن الوزن فرع عن الحساب، وعن كتابة الأعمال فإن الصحف هي التي توضع في الميزان، ويشفعون في عصاة بني آدم كالعلماء والصلحاء، قال تعالىٰ: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [**الأنبياء**: ٢٨] ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾ [**النجم**: ٢٦] ويراهم المؤمنون في الجنة وأفضلهم جبريل وإسرافيل، وتعارضت الأحاديث في أفضلهما، وأكثرها يدل علىٰ أفضلية إسرافيل.

وأطلق الفخر الرازي بأنهم رسل اللَّه وأجاب عن قوله تعالىٰ ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [**الحج**: ٧٥] بأن من للتبيين لا للتبغيض، وفي كلام جماعة غيره: أم منهم رسلًا وغيرهم وأعلاهم درجة حملة العرش، فالحافون حوله، فأكابرهم: جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، وعزرائيل، فملائكة الجنة والنار فالموكلون ببني آدم فالموكلون بأطراف هذا العالم كذا ذكره الفخر الرازي.

ويرد تأخر جبريل ومعه ناس علىٰ أنه صرح في «تفسيره الكبير» بأن جبريل، وميكائيل، وإسرافيل أشرف الملائكة: وأن جبريل أفضل من

ميكائيل لقوله تعالى﴿ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ ﴾ [البَقَرَة: ٩٨] ولأنه مظهر الخيرات النفسانية وهي أفضل من الخيرات الجسمانية؛ لأن جبريل صاحب الوحي إلىٰ الأنبياء بالعلم، وميكائيل صاحب الأرزاق؛ هذا ما يتعلق بالملائكة.

وأما ما يتعلق بالجن فلا بأس ببسط الكلام عليه، فنقول:

جاء عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا «إن اللَّه تعالىٰ خلق أبا الجن سمومًا من مارج من نار، قال له تمن علي، قال: أتمنىٰ أن نرىٰ ولا نُرى، وأن نغيب في الثرىٰ ويصير كهلنا شابًا، فأعطىٰ ذلك».

فهم يرون ولا يرون، وإذ ماتوا غيبوا في الثرى، ولا يموت كهلهم حتىٰ يعود شابًا يعني مثل الصبي، ثم يرد إلىٰ أرذل العمر.

ودل القرآن والسنة علىٰ أن أصل الجن النار، وإنما أحرقتهم الشهب مع ذلك؛ لأن إضافتهم إلىٰ النار كإضافة الإنسان إلىٰ التراب والطين، والفخار إذا المراد أصله الطين لا أنه طين حقيقة؛ وكذلك الجان كان نارًا في الأصل لا أنه نار حقيقة، للحديث الصحيح: « **عرض لي الشيطان في صلاتي فخنقته، فوجدت برد ريقه علىٰ يدي**» ومن هو نار محرقة، كيف يحس ببرد ريقه إذ لا ريق له أصلًا فضلًا عن كونه باردًا، وقد شبههم النبي ﷺ بالنبط، فلولا أنهم علىٰ أشكال وصور ليست نارًا لما ذكر الصور، وترك الالتهاب والشرر.

وقال الباقلاني: لسنا ننكر مع كون أصلهم النار أن اللَّه تعالى يكثف أجسامهم، ويغلظها ويخلق لهم أعراضًا تزيد علىٰ ما في النار، فيخرجون عن كونهم نارًا ويخلق لهم صورًا وأشكالًا مختلفة.

وقال القاضي أبو يعلي الفراء: الجن أجسام مؤلفة وأشخاص ممثلة، ويجوز كونها كثيفة ورقيقة خلافًا لزعم المعتزلة رقتها ولذلك لا نراها.

وقال الباقلاني: إنما رآهم من رآهم؛ لأنهم أجساد مؤلفة وجثث، وفي حديث عند مسلم: « **خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم** »[١].

وأخرج ابن أبي الدنيا والحكيم الترمذي وأبو الشيخ وابن مردويه أنه ﷺ قال: « **خلق اللَّه الجن ثلاثة أصناف: صنف حيات، وعقارب، وخشاش الأرض، وصنف كالريح في الهواء، وصنف عليهم الحساب والعقاب** »[٢] قال السهيلي: ولعل الصنف الثاني هو الذي لا يأكل ولا يشرب إن صح أن الجن لا تأكل ولا تشرب.

وأخرج كثيرون أنه ﷺ قال: « **الجن ثلاثة أصناف: فصنف لهم أجنحة يطيرون بها في الهواء، وصنف حيات وكلاب، وصنف يحلون ويظعنون** »[٣] قال السهيلي: هذا الأخير هم السعالي.

قال القاضي أبو يعلي: ولا طريق للشياطين علىٰ التنقل في الصور المختلفة، وكذا الملائكة إلا بأن يعلمه اللَّه قولًا أو فعلًا إذا أتي به نقله من صورة إلىٰ صورة أخرى؛ لأن تصويره بنفسه محال، لأن انتقاله من صورة

---

(١) تقدم قريبًا

(٢) عزاه في «كنز العمال» (١٥١٧٩) إلىٰ الحكيم وابن أبي الدنيا في «مكائد الشيطان»، وأبو الشيخ في «العظمة» عن أبي الدرداء.

(٣) أخرجه: ابن حبان (٦١٥٦)، وأبو نعيم في «الحلية» (٥/ ١٣٧)، وراجع «تفسير ابن كثير» (٦/ ٤٨٧).

إلىٰ صورة أخرىٰ إنما يكون بنقض البنية، وتفريق الأجزاء، وإذا انتقضت بطلت الحياة، واستحال وقوع الفعل من الجماد، وكيف تنتقل بنفسها، وعلىٰ هذا يحمل ما جاء أن إبليس تصور في صورة سراقة، وجبريل تمثل في صورة دحية، ولما ذكر عند عمر الغيلان قال: إن أحدًا لا يستطيع أن يتغير عن صورته التي خلقه اللَّه عليها، ولكن لهم سحرة كسحرتكم، فإذا رأيتم من ذلك شيئًا فأذنوا. وفي حديث أنه ﷺ سئل عن الغيلان، فقال: «**هم سحرة الجن**»(١).

قال القاضي أبو يعلى: الجن يأكلون ويشربون، ويتناكحون كما فعل الإنس. وظاهر العمومات أن جميع الجن كذلك وهو رأي قوم، ثم اختلفوا، فقال بعضهم: أكلهم، وشربهم شم واسترواح لا مضغ وبلع، وهذا لا دليل عليه. وقال أكثرهم: بل مضغ وبلع، وذهب قوم إلىٰ أن جميع الجن لا يأكلون ولا يشربون وهذا قول ساقط، لا دليل عليه، وذهب قوم إلى أن صنفًا منهم يأكلون ويشربون، وصنفًا لا يأكلون ولا يشربون.

وأخرج ابن جريج عن وهب أنه قال: إنهم أجناس فأما خالصهم فهم ريح لا يأكلون، ولا يشربون، ولا يموتون، ولا يتوالدون، ومنهم أجناس يأكلون ويشربون، ويتناكحون، ويموتون وهي هذه التي منها السعالي، والغول، وأشباه ذلك.

وأخرج أحمد ومسلم والترمذي عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه ﷺ لم

---

(١) أخرجه: أحمد (١/ ٤٠٢)، (٤٥٠، ٤٤٩، ٤٥٨)، وأبو داود (٨٤)، وابن ماجه (٣٨٤)، والترمذي (١٨) بمعناه

يصحبه أحد ليلة الجن، وإنما افتقدوه ذات ليلة فباتوا بشر ليلة، فلما أصبحوا فإذا به هو يجيء من قبل حراء، فذكروا له ما كانوا فيه فقال: «**أتاني داعي الجن فذهبت معه فقرأت عليهم القرآن، فانطلق بنا فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم**»، وسألوه الزاد فقال: «**لكم كل عظم ذكر اسم اللَّه تعالىٰ عليه**»[(١)] وكانوا من جن الجزيرة - ولفظ الترمذي: «**لم يذكر اسم اللَّه عليه يقع في أيديكم أوفر ما يكون لحمًا، وكل بعرة علفًا لدوابكم**» - قال ﷺ: «**فلا تستنجوا بهما فإنهما طعام إخوانكم الجن**».

وجمع بين الروايتين بأن الأولىٰ في حق المؤمنين والثانية في حق غيرهم. قال السهيلي: وهذا قول صحيح تعضده الأحاديث.

ورویٰ البخاري عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أن وفد جن نصيبين أتوه ﷺ - أي مرة أخرىٰ لكن بالمدينة، وسيأتي أنهم أتوه بمكة أيضًا - فسألوه الزاد، فدعا اللَّه لهم أن لا يمروا بعظم، ولا روث إلا وجدوا عليه طعامًا».

وأخرج أبو نعيم عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه ﷺ خرج قبل الهجرة إلىٰ نواحي مكة. قال: فخط لي خطًا، وقال: «**لا تحدثن شيئًا حتىٰ آتيك**»، ثم قال: «**لا يريعنك أو لا يهولنك شيء نزل**»، فتقدم شيئًا ثم جلس فإذا رجال سود كأنهم رجال الزط، وكانوا كما قال اللَّه تعالى: ﴿كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ [**الجن**: ١٩] ثم إنهم تفرقوا عنه، فسمعتهم يقولون: يا رسول اللَّه شقتنا بعيدة، ونحن منطلقون فزودنا؟ قال: «**لكم الرجيع**».

---

(١) أخرجه: أحمد (١/ ٤٥٨، ٤٥٥ ٤٠٢،٤٤٩،)، وأبو داود (٨٤)، وابن ماجه (٣٨٤).

ولم يبعث إليهم نبي قبل نبينا قطعًا علىٰ ما قاله ابن حزم: أي وإنما كانوا متطوعين بالإيمان لموسىٰ مثلًا والدخول في شريعته: وقال السبكي: لا شك أنهم مكلفون في الأمم الماضية كهذه الملة إما بسماعهم من الرسول أو من صادق عنه وكونه إنسيًا أو جنيًا لا قاطع به، وظاهر القرآن يشهد للضحاك والأكثرون علىٰ خلافه انتهى.

ورسالة نبينا ﷺ إليهم قطعية فقد أجمع عليها المسلمون، وقد استمعوا قراءة النبي ﷺ ببطن نخلة، وكانوا تسعة كما صح عن ابن مسعود رضي الله عنه آذنته بهم شجرة، وكانوا يهودًا. وجاء عن عكرمة أنهم كانوا اثني عشر ألفًا، أي في واقعة أخرى؛ لأنهم جاءوا إليه ﷺ بمكة والمدينة مرات مختلفة.

وأخرج البيهقي أن عمر بن عبد العزيز رأىٰ حية ميتة، وهو قاصد مكة فحفر لها، وكفنها في خرقة ودفنها، فسمع قائلًا، يقول: «رحمك اللَّه يا سرق، وأشهد لسمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: « **تموت يا سرق في فلاة من الأرض فيدفنك خير أمتي** » فقال له عمر: من أنت رحمك اللَّه؟ قال أنا رجل من الجن، وهذا سرق ولم يبق ممن يبايع رسول اللَّه ﷺ من الجن غيري وغيره، وأشهد لسمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: « **تموت ياسرق بفلاة من الأرض فيدفنك خير أمتي** »[(١)].

وجاء عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه كان في نفر من أصحاب النبي ﷺ فوجدوا حية قتيلة فكفنها بعضهم ببعض ردائه ودفنها، فلما جن الليل رأوا امرأتين

---

(١) أخرجه: البيهقي في «الدلائل» (٦/ ٤٩٤)، وراجع «الإصابة» (٣/ ٤٥).

تسألان عنه وأخبرتاهم أن فسقة الجن اقتتلوا مع المؤمنين فقتلوه، وأنه من النفر الذين استمعوا القرآن من النبي ﷺ ثم ولوا إلىٰ قومهم منذرين.

وأخرج ابن أبي الدنيا: أن جماعة من الصحابة رأوا حيتين اقتتلا فقتلت إحداهما الأخرى، فعجبوا من طيب ريحها وحسنها، فكفنها أحدهم ثم دفنها، فسمعوا قومًا يسلمون عليهم، وأخبروهم أن المقتول ممن أسلم مع النبي ﷺ فقتله كافر منهم. وجاء أن رجلًا أخبر عثمان رضي الله عنه بنحو ذلك، وأنه رأىٰ حيات ما رأت عيناه مثلها كثيرة، وأنه شم من إحداها ريح المسك فكفنها ودفنها، فسمع من يخبره بأنها حيات من الجن اقتتلوا، وأن هذا الذي دفنه ممن سمع الوحي من رسول اللَّه ﷺ.

وأخرج ابن أبي الدنيا، وأبو نعيم عن أبي رجاء العطاردي: أنه ضرب بعض أسفاره حيات علىٰ ماء، فرأىٰ حية تضطرب فصب عليها ماء فسكنت، ثم ماتت فكفنها ودفنها، فسار بقية يومه وليلته حتىٰ أصبح ونزل علىٰ الماء، فسمع أكثر من ألف يسلمون عليه ويدعون له ويثنون عليه بما صنع، وأن ذلك آخر من بقي ممن بايع النبي ﷺ.

وأخرج أحمد، والداروردي، والحاكم، والطبراني، وابن مردويه عن صفوان بن المعطل: أنهم خرجوا حجاجًا فلما كانوا بالعرج رأوا حية تضطرب، ثم ماتت، فكفنها بعضهم ودفنها؛ فلما وصلوا مكة سمعوا من يسأل عن دافنها، ويثني عليه، وأخبروهم أنه آخر التسعة الذين أتوا رسول اللَّه ﷺ يستمعون القرآن[١].

---

(١) أخرجه: أحمد (٥/ ٣١٢)، والحاكم (٣/ ٥٩٥)، والطبراني في «الكبير» (٨/ ٥٣).

وقد مر أن الجن استمعوا منه ﷺ مرات وفرقًا متعدد، فلا مانع أن كل واحد ممن مر هو آخر من بايع من فرقته، ومما يؤيد التعدد خبر الشيخين: أنهم استمعوا إليه وهو بوادي نخلة يصلي بأصحابه الفجر. وصح عن ابن مسعود «أنه انطلق مع النبي ﷺ حتىٰ إذا كانا بأعلىٰ مكة خط له برجله خطًا وأجلسه فيه ثم افتتح ﷺ القرآن فغشيه أسودة كثيرة حالوا بينهما حتىٰ لم يسمعوا صوته، ثم تفرقوا عنه كقطع السحاب، وفرغ ﷺ مع الفجر».

وأخرج ابن جريج، وأبو نعيم عنه «أنه ﷺ خرج ليلًا وهما بالمدينة، وأخذه حتىٰ انتهيا إلىٰ البقيع، فخط بعصا خطًا ثم أجلسه فيه، ثم انطلق يمشىٰ حتىٰ ثارت مثل العجاجة السوداء فحالت بينهما، ثم سمعه يقرعهم بعصاه ويقول: «**اجلسوا**» حتىٰ كاد ينشق عمود الصبح، ثم جاء فسأله، هل رأىٰ من شيء، فأخبره أنه رأىٰ رجالًا سودًا عليهم ثياب بيض، فقال: «**أولئك جن نصيبين يسألوني الزاد، فمتعتهم بكل عظم حاصل، أو روثة، أو بعرة**» قلت: وما يعنىٰ عنهم ذلك؟ قال: إنهم لا يجدون عظمًا إلا وجدوا عليه لحمه الذي كان عليه يوم أكل، ولا روثة إلا وجدوا عليها حبها الذي كان عليها يوم أكلت» وفي رواية «**وما وجدوا من روث وجدوا ثمرًا، فلا يستنجىٰ أحد منكن بعظم ولا روث**»[1].

وأخرج الطبراني عن الزبير «أنه ﷺ انطلق ومعه الزبير إلىٰ أن غابت

(١) أخرجه: ابن جرير في «تفسيره» (٢٦/ ٣٢).

عنهما جبال المدينة، فإذا رجال طوال كأنهم الرماح، فأرعد منهم حتىٰ كاد يسقط، فخط له ﷺ خطًا في الأرض بإبهام رجله وأجلسه وسطه، ثم ذهب وتلا قرآنًا وما نفروا حتىٰ طلع الفجر» الحديث.

وجاءت روايات أخر عن ابن مسعود «أنه انطلق معه ﷺ في وقائع أخرىٰ منها أنهم اجتمعوا به ﷺ، وقرأ عليهم، وقضىٰ بينهم في قتيل تنازعوا فيه».

وأخرج أبو نعيم عن إبراهيم النخعي «أن نفرًا من أصحاب عبد اللَّه خرجوا للحج مع رسول اللَّه، فسألوه ﷺ وقالوا: زودنا؟ فقال: «**لكم الرجيع، وما أتيتم عليه من عظم فلكم عليه لحم، وما أتيتم عليه من الروث فهو لكم ثمر**»، فلما ولوا قلت: من هؤلاء؟ قال: «**جن نصيبين**» قال الزركشي في «الخادم»: وما في «الإحياء» من أنهم يغتذون منه بالرائحة غفلة عن السنة كهذا الحديث.

وحديث مسلم السابق أي لما فيهما من التصريح بأنهم يأكلون ما عليه. وأخرج مسلم وغيره: «**أن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله**»[1] أي حقيقة وحمله علىٰ المجاز رده ابن عبد البر بأنه لا معنىٰ لصرفه عن حقيقته الممكنة.

وأخرج مسلم وغيره أنه ﷺ مسك يدي من لم يسميا علىٰ طعام بين يديه، وقال: «**إن الشيطان ليستحل الطعام الذي لم يذكر اسم اللَّه عليه،**

---

(١) أخرجه مسلم (٦/ ١٠٩)، وأحمد (٢/ ١٤٦، ١٣٤)، والترمذي (١٨٠٠) من حديث ابن عمر.

وأنه جاء بهذين يستحل بهما، فأخذت بيديهما، والذي نفسي بيده أن يده في يدي مع أيديهما»(١).

واستدلوا لتناكح الجن فيما بينهم، بقوله تعالى: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ﴾ [الكهف: ٥٠] فهذا يدل على أنهم يتناكحون لأجل الذرية، وقال تعالى: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾ [الرَّحمٰن: ٥٦] وهذا يدل على أنه يتأتى منهم الطمث، وهو الجماع والافتضاض.

وأخرج ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ في «العظمة»، عن قتادة في قوله تعالى: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ﴾ [الكهف: ٥٠] قال: هم أولاده يتوالدون كما يتوالد بنو آدم وهم أكثر عددًا.

وأخرج عبد الرزاق وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: إن الله جزأ الإنس والجن عشرة أجزاء، فتسع منهم الجن، والإنس جزء واحد، فلا يولد من الإنس ولد إلا ولد من الجن تسعة.

وأخرج البيهقي، عن ثابت قال: «بلغنا أن إبليس قال يا رب إنك خلقت آدم، وجعلت بيني وبينه عداوة، فسلطني على أولاده؟ فقال: صدورهم مساكن لك. قال: يا رب زدني؟ قال: لا يولد لآدم ولد إلا ولد لك عشرة قال: يا رب زدني؟ قال: اجلب عليهم بخيلك، ورجلك، وشاركهم في الأموال والأولاد».

---

(١) أخرجه مسلم (٦/ ١٠٧)، وأحمد(٥/ ٣٨٢، ٣٩٧) وأبو داود (٣٧٦٦) من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه .

وأخرج ابن المنذر عن الشعبي أنه سئل عن إبليس، هل له زوجة قال: إن ذلك العرس ما سمعت به.

وأخرج ابن أبي حاتم عن سفيان قال: باض إبليس خمس بيضات فذريته من ذلك من ذلك. قال: وبلغني أنه يجتمع علىٰ حوض واحد أكثر من ربيعة ومضر.

وأخذ من ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ﴾ [الإسرَاء: ٦٤] أنه قد يقع التناكح بين الجني والإنسية، وعكسه، خلافًا لمن أحاله.

وأخرج ابن جريج وغيره عن مجاهد أنه إذا جامع الرجل أهله، ولم يسم انطوىٰ الجان علىٰ إحليله، فجامع معه، فذلك قوله تعالىٰ: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾ [الرَّحمٰن: ٥٦].

قال بعض الحنابلة والحنفية. لا غسل بوطء الجني، والحق خلافه إن تحقق الإيلاج. قيل: أحد أبوي بلقيس كان جنيًا، وفيه حديث رواه أبو الشيخ وابن مردويه وابن عساكر.

واختلف العلماء في جواز نكاحهم شرعًا، وجاء عن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه أجازه، ولكنه كرهه؛ لئلا يدعىٰ الحبالىٰ من الزنا أنه من الجن، وكذا كرهه الحكم بن عيينة، وقتادة، والحسن، وعقبة الأصم، والحجاج بن أرطاة.

وأخرج جرير عن أحمد وإسحاق أنه ﷺ نهىٰ عنه[1]، ومن ثم كرهه

---

(١) كذا السياق!

إسحاق لكن في «الفتاوىٰ السراجية» للحنفية أنه لا تجوز المناكحة بين الإنس والجن وإنسان الماء لاختلاف الجنس، وبه أفتىٰ شيخ الإسلام البارزي من أئمتنا؛ لأن اللَّه تعالىٰ امتن علينا بأن خلق لنا من أنفسنا أزواجًا، فلو جاز نكاح الجن ما حصل الامتنان بذلك قال المفسرون: معنىٰ الآية - أي آية النحل والروم -: ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [النحل: ٧٢] أي من جنسكم ونوعكم وعلىٰ خلقكم، وصوب ابن العماد قول ابن يونس في «شرح الوجيز» بحل نكاحهم.

وصح عن الأعمش أنه قال: تزوج إلينا جني فقلت له: ما أحب الطعام إليكم. قال الأرز. قال فأتيناهم به، فجعلت أرىٰ اللقم ترفع ولا أرىٰ أحدًا، فقلت: فيكم من هذه الأهواء التي بيننا؟ قال: نعم، قلت: فما الرافضة فيكم؟ قال: شرنا.

وأخرج الطبراني، وأبي نعيم، وأبو الشيخ أنه اختصم عند رسول اللَّه ﷺ الجن المسلمون، والمشركون، فأسكن المسلمين القرىٰ والجبال، والمشركين ما بين الجبال والبحار.

وفي حديث عند ابن عدي «أنه ﷺ نهىٰ عن البول في القزع» - بفتح القاف والزاي والعين المهملة: وهو البياض المتحلل بين الزرع، - وقال «**إنه مساكن الجن**».

والحق أن الجن مكلفون، فقد حكىٰ الفخر الرازي وغيره الإجماع عليه. قال العز بن جماعة: الملائكة مكلفون من أول الفطرة.

وجمهور الخلف والسلف أنه لم يكن منهم رسول ولا نبي، خلافًا

للضحاك، ومعنىٰ ﴿رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ [الأنعام: ١٣٠] أي من مجموعكم وهم الإنس، أو المراد بهم رسل الرسل، ومما يدل لما قاله الضحاك ما صح عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه قال في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ١٢] قال: «سبع أرضين في كل أرض نبي كنبيكم، وآدم كآدمكم ونوح كنوح، وإبراهيم كإبراهيم، وعيسىٰ كعيسى»؛ وذلك لأن التشبيه في مطلق النذارة بمعنىٰ أن قومًا من الجن منهم في الأرض فسمعوا كلام رسول اللَّه ﷺ للإنسيين. وعادوا إلىٰ قوم من الجن فأنذروهم للحج فرأوا حية تتثنىٰ عن الطريق أبيض ينفح منه ريح المسك، فتخلف بعضهم عندها إلىٰ أن ماتت، فكفنها ودفنها ثم أدرك أصحابه، فجاءهم أربعة نسوة من جهة المغرب، فقالت واحدة أيكم دفن عمر؟ قلنا: ومن عمر؟ قالت: أيكم دفن الحية؟ قلت: أنا. قالت: أما والله لقد دفنت صوامًا قوامًا يأمر بما أنزل اللَّه، ولقد آمن بنبيكم، وسمع صفته في السماء قبل أن يبعث بأربعمائة سنة، فحمدنا اللَّه ثم قضينا حجنا، ثم مررت بعمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالمدينة فأنبأته بأمر الحية فقال: صدقت؛ سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول « **لقد آمن قبل أن أبعث بأربعمائة سنة** »(١).

وأخرج ابن أبي الدنيا أن حاطب بن أبي بلتعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رأىٰ حية فأخبر النبي ﷺ فقال: « **ذلك عمر بن الهوماية وافد نصيبين، لقيه محصن بن جوشن النصراني فقتله** » الحديث.

---

(١) أخرجه: أبو نعيم في «دلائل النبوة» (ص١٢٨)، وذكره الحافظ ابن كثير في «تفسيره» (٧/ ٢٨٤)، وقال: «هذا حديث غريب جدًا، والله أعلم».

وجاء من عدة طرق يبلغ بها درجة الحسن[١]: «أن هامة بن هيم بن لاقيس بن إبليس جاء للنبي ﷺ ومعه أصحابه وهم قعود علىٰ جبل من جبال تهامة، فأخبر أنه ليالي قتل قابيل هابيل كان غلامًا وأنه كان ممن آمن بنوح، وأنه عاتبه علىٰ عودته علىٰ قومه حتىٰ بكىٰ وأبكاه، وأن له شركة في دم هابيل، فهل له توبة فأمره بأشياء يفعلها من جملتها أنه يتوضأ، ويسجد سجدتين ففعل لوقته، فأخبره أن توبته نزلت من السماء فخر للَّه ساجدًا حولًا، وأنه آمن بهود وعاتبه كما وقع له مع نوح، وأنه زار يعقوب، وكان من يوسف بالمكان الأمين، وأنه كان يلقىٰ الناس بالأودية وتتلقاه الآن، وأنه لقي موسىٰ فعلمه من التوراة، وأمره أن يقرأ منه السلام علىٰ عيسىٰ ابن مريم إن لقيه، وأنه لقي عيسىٰ فأقرأه ذلك، وأن عيسىٰ أمره أن يقرأ السلام علىٰ محمد ﷺ إن لقيه فبكىٰ ﷺ ثم قال: وعلىٰ عيسىٰ السلام مادامت الدنيا وعليك السلام يا هامة بأداء الأمانة، ثم سأله أن يعلمه من القرآن كما علمه موسىٰ من التوراة، فعلمه الواقعة، والمرسلات، وعم، والكوثر، وقل هو اللَّه أحد، والمعوذتين، وقال: ارفع إلينا حاجتك يا هامة ولا تدع زيارتك[٢]. وفي حديث آخر «أنه في الجنة».

وبين السبكي في «فتاويه» أنهم مكلفون بشريعته ﷺ في كل شيء بخلاف الملائكة علىٰ القول بإرساله إليهم، فإنه يحتمل أنهم كذلك وأنها في شيء خاص.

---

(١) بل لا تزيده إلا وهنًا.

(٢) أخرجه: العقيلي في «الضعفاء» (٤/ ٩٦).

وراجع «لإصابة» (٦/ ٥١٨)، «والمنارالمنيف» لابن القيم.

وقال ابن مفلح الحنبلي: إنهم مكلفون في الجملة كافرهم في النار ومؤمنهم في الجنة كغيرهم بقدر ثوابهم، خلافًا لمن قال: لا يأكلون، ولا يشربون فيها أو أنهم في ربضها، ونقل عن شيخه ابن تيمية أنهم مشاركون لنا في جنس الأمر والنهىٰ والتحليل والتحريم لا علىٰ السواء قال بلا نزاع أعلمه بين العلماء، وأطال الكلام في مناكحتهم ومعاملتهم وتوابعهما.

ومر أن فيهم جميع الأهواء: وجاء عن قتادة وغيره وعن السدي: أن فيهم قدرية ومرجئة، ورافضة وشيعة.

وأخرج البزار أنه ﷺ قال « **من صلىٰ منكم من الليل فليجهر بقراءته فإن الملائكة تصلىٰ وتسمع لقراءته، وأن مؤمني الجن الذين يكونون في الهواء وجيرانه معه في مسكنه يصلون بصلاته، ويسمعون لقراءته، وأنه ليطرد بجهره بقراءته عن داره وعن الدور التي حوله فساق الجن ومردة الشياطين** »[1].

وفي آثار وأخبار أخرى: «أن مؤمنيهم يصلون، ويصومون، ويحجون، ويطوفون، ويقرءون القرآن، ويتعلمون العلوم، ويأخذونها عن الإنس وإن لم يشعروا بهم، وكذا رواية الأحاديث.

وأخرج الشيرازي: أن سليمان أوثق شياطين في البحور فإذا كان سنة خمس وثلاثين ومائة خرجوا في صور الناس، وأبشارهم، فجالسوهم في المجالس، والمساجد ونازعوهم القرآن والحديث.

(١) أخرجه البزار (٧١٢-كشف) وأعله بالانقطاع.

وأخرجه العقيلي وابن عدي بزيادة: أن تسعة أعشارهم تذهب إلىٰ العراق، وعشرهم بالشام.

وأخرج البخاري عن سفيان الثوري: «أخبره رجل كان يرىٰ الجن أنه رأىٰ قاصًا يقص قي مسجد الخيف، فتطلبه فإذا هو شيطان» وجاءت آثار أخرىٰ بنحو ذلك.

واعلم أن العلماء اتفقوا علىٰ أن كافرهم يعذب في الآخرة. وعن أبي حنيفة وأبي الزناد، وليث بن أبي سليم أن مؤمنهم لا ثواب له إلا النجاة من النار، ثم يقال: لهم كونوا ترابًا مثل البهائم، والصحيح الذي قاله ابن أبي ليلى، والأوزاعي، ومالك، والشافعي، وأحمد، وأصحابهم ﷺ أنهم يثابون علىٰ طاعاتهم. ونقل عن أبي حنيفة وأصحابه ﷺ أنهم يدخلون الجنة، ونقله ابن حزم عن الجمهور، واستدلوا بقوله تعالى﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْۚ﴾ [الأنعام: ١٣٢] فإنه ذكر بعد الجن والإنس.

وأخرج أبو الشيخ عن ابن عباس: أن الملائكة كلهم في الجنة والشياطين كلهم في النار، والذين فيهما الإنس والجن.

وذكر الحارث المحاسبي: أنا نراهم في الجنة، ولا يرونا عكس الدنيا.

وذهب بعض الحنفية أنهم لا يرون اللّٰه، وإليه يميل كلام ابن عبد السلام؛ لأنه صرح بمنع الرؤية للملائكة ووافقه جماعة من الحنفية، لكن الأرجح أن الملائكة يرونه كما نص عليه إمام أهل السنة والجماعة الشيخ أبو الحسن الأشعري في كتابه «الإبانة في أصول الديانة» وتابعه الإمام

البيهقي، وغيره كابن القيم والحداد والجلال البلقيني. قال الجلال: وكذلك الجن يرونه؛ لعموم الأدلة، ومر في الأحاديث المتعلقة بالملائكة التصريح - حديث البيهقي، وأبي الشيخ والخطيب، وابن عساكر - بأن الملائكة يرون ربهم، ولعل ابن عبد السلام لم يطلع عليه وإلا لم يخالفه.

وأخرج ابن أبي الدنيا، وابن جريج عن قتادة، قال: قال الحسن: الجن لا يموتون، فقلت: قال اللّٰه تعالىٰ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ﴾ [الأحقاف: ١٨] أي ففي الآية دليل علىٰ أنهم يموتون، فإن أراد الحسن أنهم لا يموتون مثلنا، بل ينظرون مع إبليس. فإذا مات ماتوا معه. قلنا: إن أراد ذلك في بعضهم كشياطين إبليس وأعوانه فهو محتمل، وإن أراد أنهم كلهم كذلك نافاه ما قدمناه من الوقائع الكثيرة أنهم ماتوا وكفنوا ودفنوا.

وأخرج أبو الشيخ أن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا سئل: أيموت الجن؟ قال: نعم، غير إبليس. وابن شاهين عنه أن الدهر يمر بإبليس فيهرم، ثم يعود ابن ثلاثين. وابن أبي الدنيا عن الربيع بن يونس قيل له: أرأيت هذا الشيطان الذي مع الإنسان لا يموت؟ قال: وشيطان واحد هو أنه ليتبع الرجل المسلم في الفتنة مثل ربيعة ومضر.

وابن أبي الدنيا، وأبو الشيخ عن عبد اللّٰه بن الحارث، قال: الجن يموتون، ولكن الشيطان بكر البكرين لا يموت. قال قتادة: أبوه بكر، وأمه بكر، وهو بكرهما، ومر في خبر هامة ما يدل علىٰ طول أعمارهم.

وبلغ الحجاج أن بأرض الصين مكانًا إذا أخطئوا فيه الطريق سمعوا

صوتًا يقول: هلموا الطريق، فبعث ناسًا، وأمرهم أن يتخاطؤها عمدًا، فإذا كلموهم يحملون عليهم وينظرون ما هم، فلما فعلوا حملوا عليهم، فقالوا، إنكم لن تروها، قالوا: منذ كم أنتم هاهنا؟ قالوا: لا نحصي السنين غير أن الصين خربت ثمان مرات، وعمرت ثمان مرات ونحن هاهنا.

وأخرج ابن جرير عن ابن عباس قال: وكل ملك الموت بقبض أرواح المؤمنين والملائكة، وملك بالجن، وملك بالشياطين، وملك بالطير، والوحوش، والسباع، والحيات، فهم أربعة أملاك.

وأخرج مسلم أنه ﷺ قال لعائشة: « **مع كل إنسان شيطان وملك** ». قالت: أو معك يا رسول اللَّه؟ قال: «**نعم، ولكن اللَّه أعانني عليه حتىٰ أسلم**»[1].

وفي رواية لمسلم أيضًا « **ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة** » ، قالوا: وإياك يا رسول اللَّه؟ قال: «**وإياي إلا أن اللَّه عز وجل أعانني عليه فأسلم فلا يأمرني إلا بخير**[2].

وأسلم معناه صار مسلمًا.

وهذا من خصائصه لخبر أبي نعيم: «**فضلت علىٰ آدم بخصلتين، كان**

(١) أخرجه: مسلم (٨/ ١٣٩)، وأحمد (٦/ ١١٥) والنسائي (٧/ ٧٢)، وليس فيه ذكر «الملك».

(٢) أخرجه: مسلم (٨/ ١٣٩)، وأحمد (١/ ٣٨٥، ٣٩٧، ٤٠١، ٤٦٠)، وابن خزيمة (٦٥٨) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه

شيطاني كافرًا فأعانني الله تعالىٰ عليه حتىٰ أسلم، وكن أزواجي عونًا لي، وكان شيطان آدم كافرًا وزوجته عونًا علىٰ خطيئته»(١).

أي أنها صورة خطيئة لما هو مقرر أن الأنبياء معصومون قبل النبوة وبعدها من الكبائر والصغائر عمدًا وسهوًا، وجميع ما روىٰ عنهم مما يخالف ذلك فيئول - كما بينه المحققون في مجاله - خلافًا لمن وهم فيه كجماعة من المفسرين والإخباريين ممن لم يحققوا ما يقولون ويدرون ما يترتب عليه فيجب الإعراض عن كلماتهم وترهات قصصهم الكاذبة وحكاياتهم.

وأخرج ابن أبي الدنيا وأبو يعلىٰ والبيهقي أنه ﷺ قال: «**إن الشيطان واضع خرطومه علىٰ قلب ابن آدم، فإن ذكر اللَّه خنس، وإن نسي التقم قلبه**» أي نشب فيه وسوسته ويحدثه بالأفكار الرديئة؛ لأنه يجري منه مجرىٰ الدم كما في الحديث الصحيح.

ويدل عليه قوله تعالى: ﴿يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ [النَّاس: ٥] وبه يرد علىٰ من أنكر سلوكه في بدن الإنسانية كالمعتزلة، ومن ثم قيل لأحمد رضي الله عنه: إن قومًا يقولون: إن الجني لا يدخل في بدن المصروع من الإنس؟ فقال: يكذبون هو ذا يتكلم علىٰ لسانه: أي فدخوله في بدنه هو مذهب أهل السنة والجماعة.

---

(١) أخرجه: الخطيب في «تاريخه» (٣/ ٣٣١)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٤٨٨)، وابن الجوزي في «العلل المتناهية» (٢٨٠)، وقال: «هذا حديث لا يصح عن رسول اللَّه ﷺ».

وجاء من عدة طرق أنه ﷺ جيء إليه بمجنون فضرب ظهره، وقال: «**اخرج عدو اللَّه**» فخرج وتفل في فم آخر وقال: «**اخرج يا عدو اللَّه؛ فإني رسول اللَّه**» قال ابن تيمية: وعامة ما يقول أهل العزائم فيه شرك فليحذر.

وأخرج جماعة أن ابن مسعود قرأ في أذن مصروع: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾ [المؤمنون: ١١٥] إلىٰ آخر السورة، فأفاق ثم أخبر النبي ﷺ بذلك فقال: «**والذي نفسي بيده لو أن رجلًا مؤمنًا قرأها علىٰ جبل لزال**».

وجاء من عدة طرق «**إن للوضوء شيطانًا يقال له الولهان**».

قال التميمي: أول ما يبدأ الوسواس من الوضوء، ومن ثم أمر النبي ﷺ بالتعوذ بالله من وسوسة الوضوء.

قال طاوس: هو - أي الولهان - أشد الشياطين.

وأخرج مسلم، عن عثمان بن أبي العاص قال: قلت: يا رسول اللَّه إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وقراءتي يلبسها عليّ، فقال: «**ذلك شيطان يقال له خنزب، فإذا أحسسته فتعوذ بالله منه واتفل عن يسارك ثلاثًا**».

وجاء عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن وسواس الرجل يخبر وسواس الرجل فمن ثم يفشو الحديث.

وجاء عن عمر أنه حث نفسه بشيء ولم يظهره لأحد فوجده مع الناس، فقال: خرج به الخناس، ووقع لغيره أيضًا.

وإنما أطلت الكلام علىٰ هذا السؤال لما فيه من فوائد المستغربة والفوائد المستعذبة.

وذكر لا إله إلا اللَّه أفضل من ذكر الجلالة مطلقًا هذا بلسان أئمة الظاهر، وأما عند أهل الباطن، فالحال يختلف باختلاف أحوال السالك، فمن هو في ابتداء أمره ومقاساته لشهود الأغيار وعدم انفكاكه عن التعلق بها، وعن إرادته وشهواته وبقائه مع نفسه يحتاج إلىٰ إدمان الإثبات بعد النفي حتىٰ يستولي عليه سلطان الذكر وجواذب الحق المرتبة علىٰ ذلك، فإذا استولت عليه تلك الجواذب حتىٰ أخرجته عن شهواته، وإرادته وحظوظه، وجميع أغراض نفسه صار بعيدًا عن شهود الأغيار، واستولىٰ عليه مراقبة الحق أو شهوده، فحينئذ يكون مستغرقًا في حقائق الجمع الأحدي والشهود السرمدي الفردي، فالأنسب بحاله الإعراض عما يذكره الأغيار والاستغراق فيما يناسب حاله من ذكر الجلالة فقط؛ لأن ذلك فيه تمام لذاته ودوام مسرته ونعمته ومنتهىٰ أربه ومحبته، بل إذا وصل السالك لهذا المقام وأراد قهر نفسه إلىٰ الرجوع إلىٰ شهود غيره حتىٰ ينفيه أو يتعلق به خاطر لا تطاوعه نفسه المطمئنة لما شاهدت من الحقائق الوهبية، والمعارف الذوقية، والعوارف اللدنية.

وقد فتحنا لك بابًا تستدل بما ذكرناه في فتحه علىٰ ما وراءه، فافهم مقاصد القوم السالمين من كل محظور، ولوم وسلم لهم تسليم، ولا تنتقد حقيقة من حقائقهم تندم، بل قل فيما لم يظهر لك: اللَّه أعلم.

وكذا يقال في الذكر باللسان وباللقلب أو بالقلب فقط، فبلسان أهل الظاهر ذكر اللسان، والقلب أفضل مطلقًا، وعند أهل الطريق في ذلك تفصيل تفهمه مما قبله إن وعيته وتأملته فإن المستغرق قد يعرض له من الأحوال ما يلتجم به لسان ويصير في غاية من مقام الحيرة والدهش فلا

يستطيع نطقًا أو يتفرق بسبب نطقه ما هو متمثل به من معالي تلك الأحوال وما هو مستغرق فيه من بحار العرفان والكمال.

والحاصل أن الأولىٰ بالسالك قبل الوصول إلىٰ هذه المعارف أن يكون مديمًا لما يأمره به أستاذه الجامع لطرفي الشريعة والحقيقة؛ فإنه هو الطبيب الأعظم، فبمقتضىٰ معارفه الذوقية وحكمه الربانية يعطي كل بدن ونفس ما يراه هو اللائق بشفائها والمصلح لغذائها، فإن لم يكن له أستاذ كذلك فلا يعدل عن ذكر لا إله إلا اللّٰه بلسانه وقلبه، بل يديم ذلك إلىٰ أن يفتح اللّٰه له ما يعلم به خير الأمرين في الترقي إلىٰ شهود العين، حقق اللّٰه لنا ذلك بمنة وكرمه آمين.

والذكر الخفي قد يطلق ويراد به ما هو بالقلب فقط وما هو بالقلب واللسان بحيث يسمع نفسه ولا يسمعه غيره، ومنه «**خير الذكر الخفي**» أي: لأنه لا يتطرق إليه الرياء، وأما حيث لم يسمع نفسه فلا يعتد بحركة لسانه وإنما العبرة بما في قلبه.

علىٰ أن جماعة من أئمتنا وغيرهم يقولون: لا ثواب في ذكر القلب وحده ولا مع اللسان حيث لم يسمع نفسه، وينبغي حمله علىٰ أنه لا ثواب عليه من حيث الذكر المخصوص أما اشتغال القلب بذلك وتأمل معانيه واستغراقه في شهودها فلا شك أنه بمقتضىٰ الأدلة يثاب عليه من هذه الحيثية الثواب الجزيل، ويؤيده خبر البيهقي: «**الذكر الذي لا تسمعه الحفظة يزيد علىٰ الذكر الذي تسمعه الحفظة سبعين ضعفا**».

هذا ورود في فضل لا إله إلا اللّٰه أحاديث كثيرة فلا بأس بالتعرض لبعضها.

منها: حديث الترمذي والنسائي وابن ماجه وابن حبان والحاكم: «**أفضل الذكر لا إله إلا اللَّه وأفضل الدعاء** - أي مقدماته ومتمماته - **الحمد للَّه**»[١].

وحديث البخاري: «**أسعد الناس بشفاعتي من قال لا إله إلا اللَّه خالصًا مخلصًا من قلبه**»[٢].

وحديث الديلمي: « **أفضل العمل لا إله إلا اللَّه، وأفضل الدعاء أستغفر اللَّه**».

وحديث أبي يعلىٰ وابن عدي: « **أكثروا من شهادة لا إله إلا اللَّه قبل أن يحال بينكم وبينها، ولقنوها موتاكم**»[٣].

وحديث البخاري ومسلم: «**إن اللَّه قد حرم النار علىٰ من قال لا إله إلا اللَّه يبتغىٰ بذلك وجه اللَّه**»[٤].

وحديث الطبراني: «**ليس من عبد يقول لا إله إلا اللَّه مائة مرة إلا بعثة اللَّه تعالىٰ يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر، ولم يرفع يومئذ لأحد عمل أفضل من عمله إلا من قال مثل قوله أو زاد**».

---

(١) أخرجه: ابن ماجه (٣٨٠٠)، والترمذي (٣٣٨٣)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٨٣١) من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه: البخاري (١/ ٣٥) (٨/ ١٤٦) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه: أبو يعلىٰ (١١/ ٨).

(٤) أخرجه: البخاري (١/ ١١٥، ١٧٠، ١٧٥) (٥/ ١٠٧) (٧/ ٩٤) (٨/ ١١١)، ومسلم (٢/ ١٢٦، ١٢٧) من حديث عتبان بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وحديث أحمد والحاكم: «**جددوا إيمانكم، أكثروا من قول لا إله إلا اللَّه**»[(١)].

وحديث ابن عساكر: «**حدثني جبريل: يقول اللَّه تعالى: لا إله إلا اللَّه حصني، فمن دخله أمن من عذابي**».

وحديث ابن أبي الدنيا والبيهقي: «**حضر ملك الموت رجلًا فشق أعضاءه فلم يجد عمل خيرًا ففك لحييه فوجد طرف لسانه لاصقًا بحنكه يقول لا إله إلا اللَّه، فغفر له بكلمة الإخلاص**»[(٢)].

وحديث أحمد والحاكم: «**من كان آخر كلامه لا إله إلا اللَّه دخل الجنة**»[(٣)].

وحديث ابن ماجه: «**لا إله إلا اللَّه لا يسبقها عمل ولا تترك ذنبًا**»[(٤)].

وحديث ابن عدي: «**ثمن الجنة لا إله إلا اللَّه**»[(٥)].

وحديث أبي يعلىٰ: «**عليكم بلا إله إلا اللَّه والاستغفار، فأكثروا منهما فإن إبليس قال: أهلكت الناس بالذنوب، وأهلكوني بلا إله إلا اللَّه والاستغفار، فلما رأيت ذلك أهلكتم بالأهواء، وهم يحبون أنهم مهتدون**»[(٦)].

---

(١) أخرجه: أحمد (٢/ ٣٥٩) والحاكم (٤/ ٢٨٥).
(٢) أخرجه: البيهقي في «الشعب» (٢/ ٩)، (٦/ ٥٤٥).
(٣) أخرجه: أحمد (٥/ ٢٢٣، ٢٤٧)، والحاكم (١/ ٥٠٣).
(٤) أخرجه: ابن ماجه (٣٧٩٧).
(٥) أخرجه: ابن عدي في «الكامل» (٦/ ٣٤٨).
(٦) أخرجه: أبو يعلىٰ (١/ ١٢٣).

وحديث الطبراني: «**كلمتان إحداهما ليس لها نهاية دون العرش والأخرىٰ تملأ ما بين السماء والأرض، لا إله إلا اللَّه، واللَّه أكبر**»[١].

وحديث الطبراني: «**لكل شيء مفتاح، ومفتاح السماوات قول لا إله إلا اللَّه**»[٢].

وحديث الترمذي: «**ما قال عبد: لا إله إلا اللَّه قط مخلصًا إلا فتحت له أبواب السماء حتىٰ يفضىٰ إلىٰ العرش ما اجتنب الكبائر**»[٣].

وجاء مطلقًا في أحاديث كثيرة جدًّا من أجمعها حديث البيهقي: «**أكثروا ذكر اللَّه علىٰ كل حال فإنه ليس عمل أحب إلىٰ اللَّه تعالىٰ ولا أنجىٰ لعبده من ذكر اللَّه في الدنيا والآخرة**»[٤].

وحديث الديلمي: «**لذكر اللَّه بالغداة والعشي خير من حطم السيوف في سبيل اللَّه**».

وحديث البيهقي: «**إن ذكر اللَّه شفاء، وإن ذكر الناس داء**»[٥].

وحديث البيهقي والطبراني: «**ليس يتحسر أهل الجنة علىٰ شيء إلا علىٰ ساعة مرت بهم لم يذكروا اللَّه عز وجل فيها**»[٦].

---

(١) أخرجه: الطبراني في «الكبير» (٣٣٤).
(٢) أخرجه: الطبراني في «الكبير» (٤٩٧).
(٣) أخرجه: الترمذي (٣٥٩٠)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٨٣٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٤) أخرجه: البيهقي في «الشعب» (٥٢٠).
(٥) أخرجه: البيهقي في «الشعب» (٧١٧).
(٦) أخرجه: الطبراني في «الكبير» (١٨٢)، والبيهقي في «الشعب» (٥١٢).

وحديث الحاكم: «**من ذكر اللَّه ففاضت عيناه من خشية اللَّه حتىٰ يصيب الأرض من دموعه لم يعذبه اللَّه يوم القيامة**»[١].

وحديث الطبراني: «**لا يذكرني عبد في نفسه إلا ذكرته في ملأ من ملائكتي، ولا يذكرني في ملأ إلا ذكرته في الرفيق الأعلى**»[٢].

وخبر الترمذي، والحاكم، وابن ماجه: «**ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والورق، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم؟**» **ويضربوا أعناقكم؟** قالوا: بلى، قال: «**ذكر اللَّه**»[٣].

وحديث أحمد وابن حبان والبيهقي: « **خير الذكر الخفي وخير الرزق ما يكفي** »[٤].

وورد في أحاديث ما يبين فضل التفكير والمراد به، فمن ذلك حديث أبي الشيخ في «العظمة»: «**تفكر ساعة خير من عبادة ستين سنة**».

وحديثه أيضًا: « **تفكروا في كل شيء ولا تفكروا في ذات اللَّه، فإن بين السماء السابعة إلىٰ كرسيه سبعة آلاف نور وفوق ذلك** ».

وحديثه أيضًا «**تفكروا في خلق الله، ولا تفكروا في الله فتهلكوا**».

---

(١) أخرجه: الحاكم (٤/ ٢٨٩).

(٢) أخرجه: الطبراني في «الكبير» (٣٩١).

(٣) أخرجه: أحمد (٥/ ١٩٥)، والترمذي (٣٣٧٧)، وابن ماجه (٣٧٩٠) من حديث أبي الدرداء رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٤) أخرجه: أحمد (١/ ١٧٢، ١٨٠، ١٨٧)، وابن حبان (٣/ ٩١)، والبيهقي في «الشعب» (٥٥١).

وحديثه أيضًا: «**تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق، فإنكم لا تقدرون قدره**».

وحديثه كالطبراني وابن عدي والبيهقي: «**تفكروا في آلاء اللَّه ولا تفكروا في اللَّه**».

وحديثه كأبي نعيم: «**تفكروا في خلق اللَّه ولا تفكروا في اللَّه**»(١).

وحديث الديلمي: «**عودوا قلوبكم الترقب وأكثروا التفكر والاعتبار**».

فتأمل هذه الأحاديث تعلم أن المراد التفكر في جميع ما ذكره السائل، وأعم منه كما أفاء حديث: «**تفكروا في كل شيء**» إلخ وحديث «**تفكروا في خلق اللَّه**» ولا ينافيهما حديث: «**تفكروا في آلاء اللَّه**» أي نعمة؛ لأن التفكر في النعم يؤدي إلىٰ مزيد الخضوع للحق، والتواضع للخلق، والرجوع إلىٰ اللَّه بالذلة والانكسار، وإدامة التوسل إليه آناء الليل وأطراف النهار، أن لا يحرمه مزيد فضله ونعمه، ولا يسلبه واسع جوده وكرمه، فإن الإعراض عن تفكير النعم عاقبته الوخيمة وغايته المشئومة سلب النعم، وإذاقة النقم، والطرد عن أبواب الكريم كما أشار إلى ذلك النبي ﷺ بقوله: «**ما بطر أحد النعمة فعادت إليه**».

وإنما أمرنا بالتفكر في كل المخلوقات، ومنعنا عن التفكر في ذات الحق؛ لأن التفكير في غيرها تزيد به المعارف وتتوالي بسببه المواهب والعوارف وينصقل به القلب عن السوىٰ ويتخلىٰ عن كل هوىٰ، ويرجع

---

(١) راجع: «حلية الأولياء» (٦/ ٦٧).

إلي اللّٰه في سائر إراداته وحركاته وسكناتها؛ لأن من أحدق بعين بصيرته واستغرق جهده وفكرته في العالم علوية وسلفية انكشف له الغطاء وزال عنه العماء.

وقد بين تعالىٰ أنه لا يصلح للتفكر في خلق السماوات والأرض إلا أولو العقل الكامل واللب الفاضل، كما يدل عليه آيتا البقرة وآل عمران: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ الآية [البَقَرَة: ١٦٤]، وذكر في الأولي المختتمة به ﴿يَعْقِلُونَ﴾ من الآيات الأرضية والسماوية أكثر مما ذكر في الثانية المختتمة بـ﴿يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ مع أن اللب أشرف من العقل، لأن الأولىٰ تناسب مقام السالكين لا احتياجهم للنظر في الآيات الكثيرة ليحصل لهم بذلك مع الإدمان وتغاير الدلالات والآيات مع كثرتها وعجائبها ملكة المراقبة، ثم الشهود العلمي حتىٰ لا تقدر عليهم الأغيار ولا يتشككون فيما منحوه بسبب ذلك إلي أن يرتقوا إلي مقام الأخيار.

وأما الثانية فإنها إنما تناسب مقام العارفين؛ لأنهم إنما ارتقوا عن شهود الأسباب والوسائط إلىٰ شهود موجدها وباريها، فليس لهم كبير تعلق بها، فلذا اختصر الأدلة في حقهم؛ لأنهم مشغولون بذلك للشهود الأقدس والجمع الأكمل عن النظر في البراهين لا ستغنائهم عنها بالوصول إلي عين اليقين، فناسب أن يضار لهم بذكر الدلائل مجملة لا مفصلة، إشارة إلي أنهم إنما وصلوا إلي اللّٰه من طريقها ومن وصل ن طريق لا ينبغي له أن ينساه وإن استغنىٰ عنه، ومن ثم رؤي مع الجنيد سبحة، فقيل له: تحتاج إليها يا إمام؟ فقال: طريق وصلنا إلي اللّٰه بسببها لا نتركها.

فالحاصل أن آية البقرة لما ختمت بـ (يعقلون) الذي هو أدني المقامين كانت بالسالكين أنسب، فناسب ذكر الدلائل الكثيرة فيها؛ لأنها المناسبة لحالهم كما تقرر، وأن آية آل عمران لما ختمت بـ «أولي الألباب» الذي هو الأعلى، والأكمل ناسب أن يذكر فيها ما يليق بالكمل وهو وملاحظة الدلائل إجمالًا لا تفصلًا، لاشتغالهم عنه بما هو أهم وأولىٰ وأكمل.

فتأمل ذلك لتعلم فائدة التفكر ويتضح لك أنه في ساعة أفضل من عبادة ستين سنة: أي ليس فيها تفكر، نظير قوله تعالى: ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [القدر: ٣] أي ليس فيها القدر كما قاله الأئمة، ومعنىٰ قوله ﷺ: «**فكر ساعة خير من عبادة ستين سنة**» أي ليس فيها تفكر.

وسر فضله عن بقية العبادات أنه يؤدي إلىٰ التحلي بالمراتب العلية، وانكشاف الحقائق الوهبية، وأما غيره من العبادات الخالية عنه فإنه لا ينتهي إلي هذه الفوائد الكاملة والمعارف الفاضلة، ولا شك أن كل ما أدىٰ إلي قوة الإيمان وزيادة الإيقان وصقالة القلب وخلوه عن الأغيار خير مما لم يؤد لذلك وإن قل زمنه وطال زمن غيره، إذ روح العبادة المقصودة لأجلها إنما هو معرفة الحق وأسراره في خلقه وتجليه عليهم بمعالي أسمائه وصفاته، والتفكر هو المحصل لذلك دون غيره، لكن لأمن كل أحد بل ممن تأهل له بأن كان عنده من العلوم الشرعية الاعتقادية، والعملية ما يمنعه عن أن تزل قدمه أو يطغىٰ فهمه فيحق عليه بذلك ندمة.

وهذا هو سر نهينا عن أن نتفكر في ذاته تعالى، فإن ذلك يجر إلي الحيرة والضلال عن أسباب الكمال لأن ذلك الذات العلىٰ جل أن يدركه

وهم، أو يتصوره فكر، أو يحوم حول حماه لب أو عقل، وإن زاد كماله لمنع الخلق جميعًا عن ذلك الحمي الأقدس والمطلب الأنفس، ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [البَقَرَة: ٢٢٩].

وأوراد الصوفية التي يقرءونها بعد الصلوات على حسب عاداتهم في سلوكهم؛ لها أصل أصيل؛ فقد روى البيهقي عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**لأن أذكر اللَّه تعالىٰ مع قوم بعد صلاة الفجر إلى طلوع الشمس أحب إليَّ من الدنيا وما فيها، ولأن أذكر الله تعالى مع قوم بعد صلاة العصر إلى أن تغيب الشمس أحب إلي من الدنيا وما فيها**»[1].

وروىٰ أبو داود عنه أنه ﷺ قال: «**لأن أقعد مع قوم يذكرون اللَّه تعالىٰ من صلاة الغداة حتىٰ تطلع الشمس أحب إلي من أن أعتق أربعة من ولد إسماعيل، ولأن أقعد مع قوم يذكرون الله من صلاة العصر إلى أن تغرب الشمس أحب إليَّ من أن أعتق أربعة**»[2].

وروىٰ أبو نعيم أنه ﷺ قال: «**مجالس الذكر تنزل عليهم السكينة، وتحف بهم الملائكة، وتغشاهم الرحمة، ويذكرهم الله**»[3].

وروى أحمد ومسلم، أنه ﷺ قال: «**لا يقعد قوم يذكرون الله إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة، وذكرهم اللَّه فيمن عنده**».

---

(١) أخرجه: البيهقي في «الشعب» (٥٥٩، ٥٦٠).
(٢) أخرجه: أبو داود (٣٦٦٧) من حديث أنس رضي الله عنه.
(٣) أخرجه: أبو نعيم (٥/١١٨).

وإذا ثبت أن لما يتعاده الصوفية من اجتماعهم عن الأذكار، والأوراد بعد الصبح وغيره أصلًا صحيحًا من السنة، وهو ما ذكرناه فلا اعتراض عليهم من ذلك.

ثم إن كان هناك من يتأذىٰ بجهرهم كمصل أو نائم ندب لهم الأسرار، وإلا رجعوا لما يأمرهم به أستاذهم الجامع بين الشريعة والحقيقة لما مر أنه كالطبيب فلا يأمر إلا بما يرىٰ فيه شفاء لعلة المريض، ولذلك تجد بعضهم يختار الجهر لدفع الوساوس الرديئة؛ والكيفيات النفسانية، وإيقاظ القلوب الغافلة، وإظهار الأعمال الكاملة، وبعضهم يختار الإسرار بمجاهدة النفس وتعليمها طرق الإخلاص وإيثارها الخمول.

وقد ورد أن عمر رضي الله عنه كان يجهر وأبو بكر رضي الله عنه كان يسر فسألهما النبي ﷺ، فأجاب كل بنحو ما ذكرته، فأقرهما.

والأخذ عن مشايخ متعددين يختلف الحال فيه بين من يريد التبرك، وبين من يريد التربية والسلوك، فالأول يأخذ عمن شاء إذ لا حجر عليه، وأما الثاني فيتعين عليه علىٰ مصطلح القوم السالمين من المحظور واللوم - حشرنا اللّٰه في زمرتهم - أن لا يبتدئ إلا بمن جذبه إليه حاله قهرًا عليه، بحيث اضمحلت نفسه لباهر حال ذلك الشيخ المحق، وتخلت له عن شهواتها وإرادتها، فحينئذ يتعين عليه الاستمساك بهديه، والدخول تحت جميع أوامره ونواهيه ورسومه، حتىٰ يصير كالميت بين يدي الغاسل يقلبه كيف شاء، فإن لم يجذبه حال الشيخ كذلك فليتحرّ أورع المشايخ وأعرفهم بقوانين الشريعة والحقيقة، ويدخل تحت إشارته ورسومه كذلك.

ومن ظفر بشيخ بالوصف الأول أو الثاني فحرام عليه عندهم أن يتركه وينتقل إلىٰ غيره، وإن سولت له نفسه أن غيره أكمل فإنه قد يضجر من حق ذلك الشيخ، فتريد النفس أن تنقل صاحبها إلىٰ باطل غيره، وإنما محل اختيار الأعرف الأعلم الأورع الأصلح في الابتداء. وأما بعد الدخول تحت حيطة عارف أهل فلا رخصة عن الخروج عنه، بل ولا رخصة عندهم للشيخ الثاني. إذ علم أن لمريد الأخذ عنه أستاذًا كاملًا أن يسلكه، بل يأمره بالرجوع لأستاذه، ويعلمه أن ذلك الأستاذ لولا أنه علىٰ حق ما نفرت النفس عنه، ولما أحبت فراقه إلىٰ غيره، فهذا أدل دليل علىٰ كماله وحقيقة طريقته.

وكثير من النفوس التي يراد لها عدم التوفيق إذا رأت من أستاذ شدة في التربية تنفر عنه وترميه بالقبائح والنقائض مما هو عنه بريء، فليحذر الموفق من ذلك؛ لأن النفس لا تريد إلا هلاك صاحبها فلا يطعها في الإعراض عن شيخه، وإن رآه علىٰ أدنىٰ حال، حيث أمكنه أن يخرج أفعاله عن تأويل صحيح ومقصد مقبول شرعًا، ومن فتح باب التأويل للمشايخ وأغضىٰ عن أحوالهم ووكل أمورهم إلىٰ اللَّه واعتنىٰ بحال نفسه وجاهدها بحسب طاقته، فإنه يرجىٰ له الوصول إلىٰ مقاصده والظفر بمراده في أسرع زمن، ومن فتح باب الاعتراض علىٰ المشايخ والنظر في أحوالهم وأفعالهم والبحث عنها، فإن ذلك علامة حرمانه وسوء عاقبته وأنه لا ينتج قط.

ومن ثم قالوا: من قال لشيخه لم؟ لم يفلح أبدًا: أي لشيخه في السلوك والتربية، لما تقرر إن شاء السالك أن يكون بين يدي الشيخ كالميت بين

يدي الغاسل، حتىٰ لو كانت له علوم، أو رسوم، أو أعمال فليعرض عنها ولا يلتفت إليها، فإن نار حق الأستاذ العارف تظهر الخبث وتزيد ويبقىٰ الطيب، وتبين صفاء جوهره ونفاسه جنسه، والمراد بالإرادة والتحكيم ونحوهما أن من أراد السلوك إلىٰ اللَّه علىٰ يد بعض الواصلين ويسر اللَّه له من هو كذلك، أن يلزم طاعته والدخول تحت أوامره ونواهيه.

ثم الكيفية المحصلة لهذا الارتباط تختلف المشايخ فيها؟ فمنهم من يأمر بالذكر، ومنهن من يلبس الخرقة، ومنهم من يفعل غير ذلك بحسب طرقهم فإنها كثيرة جدًّا، حتىٰ قيل: الطرق إلىٰ اللَّه بعدد أنفاس الخلائق، وليتعين علىٰ الموفق أيضًا أن لا يدخل تحت حيطة أحد، إلا بعد أن يقهره حاله أو يعلم منه الإحاطة بعلمي الشريعة والحقيقة، لما أن الكاذبين والمتلبسين قد كثروا وادعوا هذه الطريقة، وهم منها بريئون وإلىٰ النار صائرون لسوء أفعالهم، وفساد أحوالهم، وأقوالهم، وتكالبهم علىٰ الدنيا الفانية وإعراضهم عن الآخرة الباقية، إذ ليس قصدهم بادعاء هذه الطريقة العلية إلا جمع الحطام، ونيل لذة أكل الحرام، واستفراغ العمر في الجهالات والآثام، فحذار حذار من أمثالهم والاغترار بأقوالهم وأفعالهم؛ فإن كل من اتبعهم زل قدمه وطغىٰ قلمه وحق ندمه، وحرم الوصول إلىٰ شيء من الكمال، ويأتيه من اللَّه أعظم البوار والنكال.

وعليك إن أردت أن يظهر لك الحق، وإنك تتحلىٰ بالصدق بمطالعة «إحياء» الغزالي - رحمه اللَّه تعالىٰ - و«رسالة» الإمام العارف القشيري، و«عوارف المعارف» للسهروردي، و«القوت» لأبي طالب المكي، فإن هذه هي الكتب النافعة المبينة لأحوال الصادقين وتلبسات المبطلين،

والحاملة علىٰ معالي الأخلاق، وإيثار الفقر، والإملاق، وإدمان الطاعات، وملازمة العبادات، سيما الجماعات، والإعراض عن سفاسف أقوام غلب عليهم الشيطان فسوّل لهم القبيح حسنًا، والمنكر معروفًا، والمذموم ممدوحًا، فاستغرقوا في بحار شهواتهم، وقبيح اعتقاداتهم وإراداتهم، وهم مع ذلك يحسبون أنهم يحسنون صنعًا أو يحكمون وضعًا.

وفقنا اللّٰه لمعرفة عيوب أنفسنا، وأجارنا من شهواتها، وأدام علينا رضاه، مع السلامة من كل فتنة ومحنة في هذا الدار، وإلىٰ أن نلقاه إنه الجواد الكريم الرءوف الرحيم(١).

* * *

(١) أثبتنا هذه الفتوىٰ علىٰ طولها، علىٰ ما فيها من مجازفات في مواضع ومهاترات في مواضع أخرىٰ، ورفع للوضيع ووضع للرفيع، ناهيك عما اشتملت عليه من الاستدلال بروايات واهية، لا يخفىٰ وهاؤها علىٰ ذي بصيرة، وغرضنا من إثبات هذه الفتوىٰ وأمثالها ما شرحناه في المقدمة وفي مواضع متفرقة من هذا الجامع، وهو أننا شرطنا علىٰ أنفسنا أن يشمل جامعنا هذا كل ما وقفنا عليه من فتاوىٰ تمس الأحاديث من قريب أو بعيد، بصرف النظر عن الاستطرادات التي توجد في جواب المفتي ما دام أن السؤال قائم علىٰ حديث أو ما يتعلق بحديث.
علىٰ أن إثبات مثل هذه الفتاوىٰ هنا، فيه فوائد لا ينبغي أن يغفل عنها؛ لكونها مثلًا تجمع روايات كثيرة في المسألة المسئول عنها أو المذكورة استطرادًا، فجمعها في مكان واحد مفيد، ثم يأتي دور التنقيح والتحقيق.
وثم فائدة أخرىٰ؛ وهو معرفة آراء المخالفين وحججهم، ليعرف ما عند القوم فيعامل بحسبه، فبضدها تتبين الأشياء، وصدق من قال: أعلم الناس أعلمهم باختلاف الناس. وباللّٰه التوفيق.

بحث في وجود الجن

● ومن «الفتح الرباني» للشوكاني[١]:

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمدك لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت علىٰ نفسك وأصلي وأسلم علىٰ رسولك وآله ورضي اللّٰه عن صحبه، وبعد:

فإنه كثيرًا ما يقع البحث بين أهل العلم في وجود الجن، والباعث علىٰ ذلك هفوة وقعت من بعض علماء هذه الديار الموجودين بعد مضي ألف سنة من الهجرة. ولم يكن ذلك منه عن اعتقاد مطابق لما تكلم به، لأنه من علماء الكتاب والسنة، ومن أهل الدين المتين، ولكنه باحثه بعض المقصرين في هذه المسألة، فجزم في مقام المباحثة بعدم وجودهم، كما يقع كثيرًا بين المتناظرين من النقض والمعارضة.

واعلم أنه لم يتقدم إلىٰ إنكار ذلك من الصحابة والتابعين وتابعيهم، وعلماء الإسلام أحد قط، وإنما هي مقالة مروية عن جماعة من الفلاسفة، وجمهور الزنادقة، وهؤلاء لا نتكلم معهم في هذا المقام، فإنهم لا يتمسكون بشيء من الحجج القرآنية، والأحاديث النبوية، ولا يلتفتون إلىٰ شيء من ذلك. وقد فرغ منهم الشيطان وأخرجهم من زمرة الإسلام.

(١) «فتاوىٰ الشوكاني» (١/ ٤٥٩ - ٤٧١).

ولكنا نتكلم هاهنا مع بعض القائلين بذلك من المعتزلة، فقد نقل جماعة عن جمهورهم، ونقله آخرون عن البعض منهم، وهذه الطائفة من أهل الإسلام، ومن المتمسكين بشرائعه، وإن خالفوا في بعض المسائل الأصولية خلافًا تدفعه النصوص القرآنية، ومتواتر السنة، فلم يكن ذلك منهم كيادًا للدين، ولا دفعًا في وجه شريعة المسلمين، بل تمسكوا بشبهة أشبهت عليهم قالوا بها وقصروا عن العلم بغيرها مما يدفعها ويرفع لبسها.

ولكن الشأن في إنكار من أنكر منهم وجود الجن، فإنه لا يكون إلا أحد رجلين: إما معاند لا يتقيد بالكتاب والسنة، وهذا لا ينبغي الكلام معه، وإما جاهل جهلًا منكرًا لا يعرف معه كتاب اللَّه سبحانه بل لا يعرف معه سورة الرحمن، وسورة الجن، بل لا يعرف ورود القرآن بالاستعاذة من الشيطان، ومثل هذا وإن كان معذورًا بما هو فيه من الجهل، لكنه غير معذور في التكلم بما ليس من شأنه، وأجهل منه من حكىٰ عنه هذه المقالة المردودة ودونها في كتب العلم، ونصب له خلافًا في هذه المسألة التي هي معلومة للنساء والصبيان، فضلًا عن الرجال، فضلًا عن أهل العلم.

وليس بأيدي هؤلاء إلا مجرد الاستبعاد والرجوع إلىٰ تخيلات مختلة، وعلل معتلة، مع قطع النظر عن هذه الشريعة المحمدية، بل مع قطع النظر عن هذه الشرائع المتقدمة علىٰ هذه الشريعة، فإنها متفقة علىٰ وجودهم، وكذلك أهلها متفقون علىٰ ذلك مقرون به كإقرار المسلمين، وهؤلاء اليهود والنصارىٰ موجودون في كثير من البلاد الإسلامية قد لا يخلوا عنهم قطر من الأقطار من أراد أن يعرف صدق ما ذكرناه فليسأل من له [نباهة] منهم، بل جميع مشركي العرب مقرون بذلك لا خلاف فيه بينهم، وينقلون

ما يسمعونه من الجن من الأشعار التي يصرخون بها بين أظهرهم، ومن الكلمات التي يسمعونها من الأوثان التي ينصبونها في ديرتهم.

ويروي ذلك الآخر عن الأول، حتىٰ وصلت إلىٰ أهل الإسلام ونقلوها في الكتب الإخبارية، والآيات القرآنية في إثبات وجودهم معلومة لا نطيل بذكرها، ولكنا ها هنا نذكر بعض ما ورد في السنة المطهرة حتىٰ يعلم من وقف علىٰ هذا البحث أن المنكر لذلك منكر لقطعي، بل ضروري ديني يحصل العلم بفرد من أفراد الأدلة الواردة فيه، فالمفكر إن كان يعلم بما في المصحف الشريف، وصمم علىٰ هذا الجهل المتبالغ فهو مستحق لما يستحقه من أنكر الشريعة المطهرة، ودفع ما فيها ورد ما جاءت به، وشهد علىٰ أنه بالإلحاد والمروق من دين الإسلام.

وقد تضمن القرآن الكريم بيان ما خلقوا منه فضلًا عن بيان وجودهم، قال اللَّه عز وجل: ﴿وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾ [الرَّحمٰن: ١٥] وقال سبحانه: ﴿وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ﴾ [الحِجر: ٢٧] وقال تعالىٰ حاكيًا عن إبليس ﴿خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [الأعرَاف: ١٢].

وأما الثابت في السنة في وجودهم وتفصيل أحوالهم فالبعض منه يحكم عليه بالتواتر، فكيف بالكل؟.

فمن ذلك أمره ﷺ لمن دخل بيته أن يذكر اللَّه عند دخوله وعند طعامه، فإذا فعل ذلك قال الشيطان: «**لا مبيت لكم ولا عشاء**»[١]

(١) أخرجه: مسلم (٦/ ١٠٨)، وأبو داود (٣٧٦٥)، وابن ماجه (٣٨٨٧)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (١٧٨) من حديث جابر بن عبد اللَّه رضي الله عنه.

الحديث، وهو في «صحيح مسلم» وغيره من حديث جابر. وفي «الصحيحين» وغيرهما من حديث أنس أنه ﷺ كان إذا دخل الخلاء قال: «**اللَّهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث**»(١).

وفي الترمذي من حديث علي بن أبي طالب أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**ستر ما بين أعين الجن وعورات أمتي إذا دخل أحدهم الخلاء أن يقول: بسم اللَّه**»(٢).

ومن ذلك حديث أبي سعيد الخدري عند الترمذي والنسائي: «**إن بالمدينة جنًا قد أسلموا، فإذا رأيتم من هذه الهوام شيئًا فآذنوه ثلاثًا، فإن بدع لكم فاقتلوه**»(٣).

وفي «صحيح مسلم» وغيره، من حديث عائشة أن النبي ﷺ قال لعائشة: «**أخذك شيطانك**». قالت: يا رسول اللَّه أو معي شيطان؟ قال: «**نعم، ومع كل إنسان**» قالت: ومعك يا رسول اللَّه؟ قال: «**نعم، ولكن ربي، عز وجل، أعانني عليه حتىٰ أسلم**»(٤). وفي لفظ: «**أعانني عليه فأسلم**».

---

(١) أخرجه: البخاري (١/ ٤٨)، (٨/ ٨٨)، ومسلم (١/ ١٩٥)، وأبو داود (٤)، والترمذي (٦)، وأحمد (٣/ ٩٩).

(٢) أخرجه: الترمذي (٦٠٦).

(٣) أخرجه: مسلم (٧/ ٤٠، ٤١)، وأبو داود (٥٢٥٧، ٥٢٥٨، ٥٢٥٩)، والترمذي (١٤٨٤)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٩٧٠، ٩٧١، ٩٧٢)، وفي «الكبرىٰ» «تحفة الأشراف» (٤٤١٣)، وأحمد (٣/ ٤١).

(٤) أخرجه: مسلم (٨/ ١٣٩).

وفي «**صحيح البخاري**» وغيره من حديث أبي هريرة أنه ﷺ قال في الروث والعظم: «**إنهما من طعام الجن**»[١]، وأخرجه أيضًا مسلم وغيره.

وأخرج مسلم وغيره من حديث ابن عمر أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**لا يأكل أحدكم بشماله ولا يشرب بها، فإن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بها**»[٢].

وفي «**صحيح مسلم**» وغيره من حديث حذيفة في الجارية التي ذهبت لتضع يدها في الطعام، فأخذ رسول اللَّه ﷺ بيدها، ثم جاء أعرابي فذهب ليضع يده فأخذ بيده، وقال: «**إن الشيطان ليستحل الطعام أن لا يذكر اسم اللَّه عليه، فإنه جاء بهذه الجارية ليستحل بها فأخذت بيدها، فجاء بهذا الأعرابي ليستحل به، والذي نفسي بيده إن يده في يدي مع يدهما**»[٣].

في «الصحيحين»[٤] وغيرهما من حديث ابن عباس حديث الجن الذين استمعوا القرآن من النبي ﷺ في سوق عكاظ.

وفي «الصحيحين»[٥] من حديث ابن مسعود أنها آذنت النبي، ﷺ، بهم شجرة.

---

(١) أخرجه: البخاري (٥/ ٥٩)، ومسلم (٢/ ٣٦)، وأبو داود (٣٩)، والترمذي (١٨).
(٢) أخرجه: مسلم (٦/ ١٠٩)، وأبو داود (٣٧٧٦)، والترمذي (١٨٠٠)، وأحمد (٢/ ٣٣).
(٣) أخرجه: مسلم (٦/ ١٠٧)، وأبو داود (٣٧٦٦).
(٤) أخرجه: البخاري (٦/ ١٩٩-٢٠٠)، ومسلم (٢/ ٣٥).
(٥) أخرجه: البخاري (٥/ ٥٨)، ومسلم (٢/ ٣٥).

وفي «صحيح مسلم»[١] وغيره أنه ﷺ، اجتمع «بالجن بمكة والمدينة» . . الحديث بطوله، واختلاف ألفاظه.

ومن ذلك ما ثبت في «الصحيح»[٢] من حديث أبي هريرة أنه أخذ الجني الذي جاء يسرق زكاة رمضان، وأنه علمه آية الكرسي. وله ألفاظ وفيه طول.

وفي «الصحيحين» من حديث أبي هريرة عنه ﷺ أنه قال: «**لا تجعلوا بيوتكم قبورًا، وإن البيت الذي تقرأ فيه البقرة لا يدخله الشيطان**»[٣].

وفي «الصحيحين». حديث الرجلين الذين استبا عند رسول اللَّه، ﷺ، حتى احمر وجه أحدهما فقال، ﷺ: «**إني أعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد، أعوذ باللَّه من الشيطان الرجيم**»[٤].

وفي «الصحيحين» من حديث أبي هريرة أن رسول اللَّه ﷺ قال «**من قال: لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو علىٰ كل شيء قدير**»، ثم قال في آخره: «**وكانت له حرزًا من الشيطان يومه ذلك حتىٰ يمسي**»[٥].

---

(١) أخرجه: مسلم (١/ ٣٣٣)، وأبو داود (٨٥)، والترمذي (٣٢٥٨)، وأحمد (١/ ٤٣٦).

(٢) أخرجه: البخاري (٣/ ١٣٢).

(٣) أخرجه: مسلم (٢/ ١٨٨)، والترمذي (٢٨٧٧)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٩٦٥).

(٤) البخاري (٨/ ١٩)، ومسلم (٨/ ٣١)، وأحمد (٦/ ٣٩٤).

(٥) أخرجه: البخاري (٤/ ١٥٣)، (٨/ ١٠٦)، ومسلم (٨/ ٦٩)، وابن ماجه (٣٧٩٨)، والترمذي (٣٤٦٨)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٢٥).

وفي «السنن» عنه ﷺ: «**إن الغضب من الشيطان**»[١].

وفي «الصحيح» أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**إذا جاء رمضان سلسلت الشياطين**»، وفي لفظ: «**صفدت الشياطين**»[٢].

وفي «صحيح البخاري» عنه ﷺ: «**أنه لا يسمع مدىٰ صوت المؤذن جن ولا إنس إلا شهد له يوم القيامة**»[٣].

وفي «صحيح مسلم» عنه ﷺ أنه قال لمن قال له: إن الشيطان قد حال بيني وبين قراءتي فقال ﷺ: «**ذلك شيطان يقال له خنزب**»[٤].

وفي «صحيح مسلم» عنه ﷺ: «**إن الأسواق معركة الشيطان، وبها ركز رايته**»[٥].

وفي «صحيح مسلم» أيضًا عنه ﷺ: «**إن الشيطان يحضر الإنسان عند طعامه**»[٦].

وفي «الصحيحين» من حديث أنس عنه ﷺ قال: «**لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتي أهله قال: بسم اللَّه، اللَّهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا، فإذا قدر بينهما ولد لم يضره الشيطان**».

---

(١) أخرجه: أحمد (٤/ ٢٢٦)، وأبو داود (٤٧٨٤).
(٢) أخرجه: البخاري (٣/ ٣٢)، (٤/ ١٤٩)، ومسلم (٣/ ١٢١)، والنسائي (٤/ ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨)، وأحمد (٢/ ٢٨١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٣) أخرجه: البخاري (١/ ١٥٨) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.
(٤) أخرجه: مسلم (٧/ ٢١).
(٥) أخرجه: مسلم (٧/ ١٤٤).
(٦) أخرجه: مسلم (٦/ ١٠٨).

وفي «الصحيحين» وغيرهما من حديث أبي هريرة قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**ما من بني آدم مولود إلا نخسه الشيطان حين يولد**»(١) الحديث.

وفي «الصحيحين» وغيرهما من حديث صفية بنت حيي أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرىٰ الدم**»(٢).

وفي «الصحيحين» وغيرهما من حديث جابر قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إذا كان جنح الليل فكفوا صبيانكم؛ فإن الشياطين تنتشر حينئذ**»(٣).

وفي «الصحيحين» وغيرهما من حديث أبي هريرة أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**يعقد الشيطان علىٰ قافية رأس أحدكم**»(٤) الحديث.

وفي «الصحيحين» وغيرهما من حديث أبي قتادة قال: قال: رسول اللَّه ﷺ: «**الرؤيا من اللَّه، والحلم من الشيطان**»(٥).

وفي «الصحيحين» وغيرهما من حديث أبي هريرة قال سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**من رآني في النوم فسيراني في اليقظة، لا يتمثل بي الشيطان**» وفي لفظ: «**فإن الشيطان لا يتمثل بي**»(٦).

وفي «الصحيحين» وغيرهما من حديث ابن عمر قال: سمعت

---

(١) أخرجه: البخاري (٤/ ١٩٩)، (٦/ ٤٢)، ومسلم (٧/ ٩٦).

(٢) أخرجه: البخاري (٣/ ٦٤)، (٨/ ٦٠)، ومسلم (٧/ ٨)، وأبو داود (٢٤٧٠، ٤٩٩٤).

(٣) أخرجه: البخاري (٤/ ١٥٥)، ومسلم (٦/ ١٥٣).

(٤) أخرجه: البخاري (٢/ ٦٥)، ومسلم (٢/ ١٨٧)، وأبو داود (١٣٠٦)، والنسائي (٣/ ٢٠٣).

(٥) أخرجه: البخاري (٧/ ١٧٢)، ومسلم (٧/ ٣٥).

(٦) أخرجه: البخاري (١/ ٣٨)، (٨/ ٥٤)، ومسلم (١/ ٣٨، ٥٤)، والترمذي في «الشمائل» (٤٠٧).

رسول اللَّه ﷺ يقول: «**ألا إن الفتنة ها هنا يشير إلىٰ المشرق من حيث يطلع قرن الشيطان**»[١].

وأخرج أبو داود، والنسائي من حديث عمرو بن عبسة في حديث «**إن الشمس تطلع بين قرني شيطان، وتغرب بين قرني شيطان**»[٢].

وفي «الصحيحين» من حديث أبي هريرة قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إذا نودي بالصلاة أدبر الشيطان له ضراط**»[٢].

وفي «الصحيحين» وغيرهما أنه، ﷺ، قال: «**إذا سمعتم صراح الديكة فسلوا اللَّه من فضله فإنها رأت ملكًا، وإذا سمعتم نهيق الحمار فتعوذوا باللَّه من الشيطان فإنها رأت شيطانًا**»[٣].

وفي «صحيح مسلم» من حديث أبي الدرداء قال: قام رسول اللَّه ﷺ يصلي، فسمعناه يقول: «**أعوذ باللَّه منك**»[٤].

وفي الحديث: إنه يعرض له الشيطان، وقال «**لولا دعوة أخي سليمان لأصبح موثقًا يلعب به ولدان أهل المدينة**»[٥] وهو في «الصحيحين» من حديث أبي هريرة.

وفي «الصحيحين» من حديث سعد بن أبي وقاص أنه ﷺ قال لعمر بن الخطاب: «**والذي نفسي بيده، ما لقيك الشيطان سالكًا فجًا إلا سلك فجًا غير فجك**»[٦].

---

(١) أخرجه: البخاري (٤/ ١٠٠)، ومسلم (٨/ ١٨٠، ١٨١).
(٢) أخرجه: أبو داود (١٢٧٧)، والنسائي (١/ ٢٨٣).
(٣) أخرجه: البخاري (٤/ ١٥٥)، ومسلم (٨/ ٨٥).
(٤) أخرجه: مسلم (٢/ ٧٢).
(٥) أخرجه: البخاري (١/ ١٢٤)، ومسلم (٢/ ٧٢).
(٦) أخرجه: البخاري (٤/ ١٠٣)، (٥/ ١٣)، (٨/ ٢٨)، ومسلم (٧/ ١١٤).

وفي كتب السير وغيرها أن الشيطان حضر مجمع قريش بدار الندوة، وفيها أيضًا أنه حضر وقعة بدر، وفيها أيضًا حضوره وقعة بيعة العقبة، وصراخه وحضوره ووقعة أحد، وصراخه بأن رسول اللَّه قتل.

وبالجملة فالاستكثار من الأحاديث الواردة في هذا المعنىٰ لا يأتي بمزيد فائدة بعد القرآن الكريم في غير موضع، بحيث لو جمع ما ورد في ذلك من الآيات البينات لكان في رسالة مستقلة ومعرفة ذلك متيسر لمن يتمكن من قراءة المصحف الشريف وإن كان مقصرًا.

وناهيك باجتماع النبي ﷺ بهم في غير موطن حتىٰ صرح بعض الحفاظ أنه اجتمع بهم في أربعة مواضع، وصرح آخر أنه اجتمع بهم في خمسة مواضع، وروىٰ ذلك عن الحاضرين معه الجمع الجم من أهل العلم، هذا كله فكثير من عباد اللَّه قد اجتمع بالجن وسمع كلامهم، وسألوه وسألهم، وهذا موجود في كل عصر من العصور قد تتبعنا من وقع له ذلك من الثقات فثبت لنا بذلك التواتر المعنوي.

بل راقم هذه الأحرف، غفر اللَّه له، قد سمع كلامهم غير مرة، وطال بينه وبينهم الخطاب، وبعضهم أخذ يدي وقبلها، وكانت كفه كأكبر ما يكون من أيدي الإنس مع قصر في أصابعها.

والحمد لله أولًا وأخيرًا.

كتبه محمد بن علي الشوكاني، غفر اللَّه لهما.

* * *

الدليل على وجود الجن

● ومن «فتاوى المنار»[١]:

سؤال: هل يوجد دليل عقلي علىٰ وجود الجن؟

الجواب:

إن وجود أي شيء من الموجودات لا يعرف بالأدلة العقلية، وإنما يعرف بالحس أو بالخبر الصادق، فإننا نعتقد بوجود كثير من الحيوانات والنباتات والمعادن ولم نرها، أما العقل فإنه يدلنا مع الاختبار بأن في هذا الكون موجودات كثيرة لا نعرفها وترون في أصغر الكتب الطبيعية كالنقش في الحجر للدكتور فانديك أن في هذا الكون عوالم لا نعرفها؛ لأنها لا تدرك بحواسنا هذه، ولو خلق لنا حواس غيرها لأدركنا ما لا ندركه الآن.

الجن عالم خفي أو غيبي أخبرنا بوجوده الأنبياء المؤيدون من خالق الكون بالوحي والإلهام، فوجب التصديق بذلك، وإننا نرىٰ الاعتقاد بوجودهم فاشيًا في جميع الأمم والشعوب الهمجية والممدنة والوثنية والموحدة والملحدة. وإننا نعد من نوع الجن هذه الأحياء الصغيرة التي لا ترىٰ إلا بالنظارات المكبرة فاللفظ اللغوي (جن) يتناولها.

وفي الحديث القائل بأن «**الطاعون من وخز الجن**» ما يدل علىٰ ذلك. والله أعلم.

* * *

---

(١) المنار (٦/ ٢٦٧-٢٦٨).

هل الجن يموتون؟

● ومن «فتاوى اللجنة الدائمة»[1]:

سؤال: أؤكد لكم أن التلاميذ يلقون علي أسئلة محرجة ولا أجد جوابًا مقنعًا، فمن ذلك سؤال يقول: هل الجن يموتون كالإنس ويدفنون؟ وهل يشملهم قول الرسول ﷺ: «أعمار أمتي ما بين الستين والسبعين[2] . . » إلخ؟

الجواب:

الجن يموتون كالإنس، لعموم قوله تعالىٰ ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ﴾ [آل عِمرَان: ١٨٥] ، وأما تقدير أعمارهم فالظاهر أنه يعمهم الحديث المذكور؛ لأنهم من جملة الأمة في عموم رسالة محمد ﷺ؛ لعموم قوله ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُواْ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الأحقاف: ٢٩-٣٢] وقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾ [الجن: ١-٢] إلخ السورة.

---

(١) فتاوىٰ اللجنة الدائمة (٢/ ١٨٤- ١٨٥).

(٢) أخرجه: الترمذي (٢٣٣٥، ٣٥٥٠)، وابن ماجه (٤٢٣٦)، والحاكم (٢/ ٤٢٧).

وبالله التوفيق، وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

* * *

● ومن «فتاوى اللجنة الدائمة»(١):

سؤال: هل أرسل رسول إلىٰ الجن قبل سيدنا محمد - عليه الصلاة والسلام -، وهل خلقوا قبل الإنس وما هي شريعتهم؟

الجواب:

أرسل الله محمدًا ﷺ إلىٰ جميع الثقلين الإنس والجن، قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبإ: ٢٨] وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدٌۢ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩] وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ أُولَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الأحقاف: ٢٩-٣٢] وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾ [الجن: ١-٢].

فهذه الآيات وما جاء في معناها دال علىٰ عموم رسالته ﷺ للإنس

(١) فتاوىٰ اللجنة (٣/ ٣٧٠- ٣٧١).

والجن وأن شريعة الجن هي الشريعة الإسلامية، وأما كونهم خلقوا قبل الإنس أو بعدهم فلا أثر له بالنسبة لتكليفهم بالشريعة الإسلامية، وأما كونهم قد أرسل إليهم رسول خاص بهم فلا نعلم ذلك.

وباللَّه التوفيق، وصلىٰ اللَّه علىٰ نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

* * *

● ومن «فتاوىٰ اللجنة الدائمة»[١]:

سؤال: هل ثبت أن الرسول ﷺ اجتمع بالجن؟

الجواب:

نعم، ثبت ذلك بالسنة الصحيحة، فقد أخبر - عليه الصلاة والسلام - الصحابة بذلك وأراهم آثارهم، وارجع لـ «تفسير ابن كثير» رحمه الله لقول اللَّه تعالىٰ في سورة «الأحقاف» ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [الأحقاف: ٢٩] الآيات. ولسورة الرحمن، وسورة الجن وستجد الجواب عن ذلك مفصلًا.

وباللَّه التوفيق، وصلىٰ اللَّه علىٰ نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

* * *

● ومن «فتاوىٰ المنار»[٢]:

سؤال: هل صح ما يقول الوعاظ وعصابة الزار من أن الجن مسلطون علىٰ الإنسان، وهل الزار علىٰ هذا منكر، يجب النهي

---

(١) فتاوىٰ اللجنة (٣/ ٣٧١-٣٧٢).

(٢) فتاوىٰ «المنار» (٥/ ٥٧-٥٨).

عنه شرعًا أم لا؟ وإن أجبتم بالسلب فما معنىٰ قوله ﷺ: «اتخذوا الحمام بالمقاصيص، فإنها تلهي الجن عن صبيانكم» ومعنىٰ ما ورد في الآثار أن الجن يجري في جسم الإنسان مجرىٰ الدم في الشرايين؟

الجواب:

لفظ الجن يطلق علىٰ المخلوقات الخفية، ويقال: إن منها ما هو مادي وما هو روحاني.

وأجدر بهذه الأحياء التي يسمونها الميكروبات أن تكون من المادي وهي سبب الأمراض والأوبئة كالطاعون والهيضة، وعليها يحمل ما ورد من أن «**الطاعون من وخز الجن**»؛ فهي مسلطة علىٰ الإنسان وهو مسلط عليها بالعلم الصحيح، وإن كان لما يقدر علىٰ كثير منها بعد تمكنها في الجسم.

وأما الروحانية فلا سلطة لها علىٰ الأجساد، وإنما هي منشأ الوساوس والخواطر القبيحة الضارة، فمن العلماء من يقول: إنها القوىٰ المعنوية الباعثة علىٰ الشر، والأكثرون علىٰ أنها عالم مستقل من جنس عالم الروح يلابس أفراده النفوس المستعدة للشر بسوء التربية، فيقوي فيها الرغبة فيه، وعليه يحمل حديث «الصحيحين» وغيرها: «**إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرىٰ الدم فضيقوا مجاريه بالجوع**» وهو كناية عن تمكنه من الوسوسة، وأما الزار فهو منكر قبيح يجب إبطاله بالفعل، فإن لم يستطع فبالقول.

وأما حديث: اتخاذ الحمام المقاصيص؛ فغير صحيح.

ويطلق لفظ الشياطين والجن علىٰ الأشرار من الناس وعلىٰ الحيات والثعابين وعلىٰ الأول يحمل الحديث لو ثبت، وكذا غيره مما ورد في النهي عن خروج الصبيان في الليل؛ لأنه وقت انتشار الشياطين، وإننا نرىٰ شياطين الأزبكية وجنها ينتشرون إذا جن الليل، ونحث من يهمهم تربية أولادهم علىٰ منعهم من الخروج، لئلا يفسدهم هؤلاء الشياطين.

* * *

• ومن «فتاوىٰ اللجنة الدائمة»[١]:

سؤال: هل الحديث التالي ليس بحجة علىٰ تمليك الحن سلطانًا علىٰ البشر؟

عن أبي السائب قال: دخلنا علىٰ أبي سعيد الخدري فبينما نحن جلوس إذ سمعنا تحت سريره حركة فنظرنا فإذا فيه حية فوثبت لأقتلها وأبو سعيد يصلي فأشار إلي أن اجلس فجلست، فلما انصرف أشار إلىٰ بيت في الدار، فقال: أترىٰ هذا البيت، فقلت نعم، فقال كان فيه فتًى منا حديث عهد بعرس، قال فخرجنا مع رسول اللَّه ﷺ إلىٰ الخندق فكان ذلك الفتىٰ يستأذن رسول اللَّه ﷺ بأنصاف النهار فيرجع لأهله، فاستأذنه يومًا فقال له رسول اللَّه: ﷺ «خذ عليك سلاحًا فإني أخشىٰ عليك قريظة»[٢] فأخذ الرجل سلاحه، ثم رجع فإذا امرأته بين البابين قائمة فأهوىٰ إليها بالرمح ليطعنها وأصابته غيرة، فقالت له:

(١) فتاوىٰ اللجنة (١/ ٢٧٨-٢٨٢).

(٢) أخرجه: مسلم (٧/ ٤٠، ٤١)، وأبو داود (٥٢٥٧، ٥٢٥٨)، والترمذي (١٤٨٤).

اكفف عليك رمحك وادخل البيت حتى تنظر ما الذي أخرجني، فدخل فإذا بحية عظيمة منطوية علىٰ الفراش، فأهوىٰ عليها بالرمح فانتظمها به، ثم خرج فركزه في الدار فاضطربت عليه فما يدرىٰ أيهما كان أسرع موتًا الحية أم الفتىٰ .. إلخ رواه مسلم في «الصحيح»، «مشكاة المصابيح» باب ما يحل أكله وما يحرم.

الجواب:

أولًا: الحديث صحيح من جهة سنده ومتنه.

ثانيًا: الناس خلق أبوهم آدم من طين، ثم صار بشرًا سويًا وتناسل منه أولاده، والجن خلقوا من نار، ثم صاروا أحياء منهم الذكور ومنهم الإناث، وكل من الجن والإنس قد أرسل إليهم النبي ﷺ، فمنهم من آمن ومنهم من كفر، والإنسي قد يؤذي الجني وهو يعلم أو لا يعلم، والجني قد يؤذي الإنسي ويصرعه أو يقتله، كما أن الإنسي قد يؤذي الإنسي ويضره، والجني قد يؤذي الجني.

ومن نفىٰ ذلك عن الجن وهو لم يحط علمًا بأحوالهم فقد قفا ما ليس له به علم، وخالف ما ورد فيهم من آيات القرآن؛ فقد قال تعالىٰ ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾ [الرحمن: ١٤-١٥] وقال ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ﴾ [المؤمنون: ١٢] الآيات، وخاطبهم الله تعالى كالإنس في قوله: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ١٦]، وبقوله ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ﴾ [الرحمٰن: ٣٣] وسخر سبحانه الجن علىٰ اختلاف حالهم لنبيه سليمان عليه السلام، قال تعالىٰ ﴿فَسَخَّرْنَا

لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلْأَصْفَادِ﴾ [ص٣٦-٣٨] وقال تعالىٰ ﴿وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [سَبَإ: ١٢] الآيات، وقال ﴿وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ﴾ [الأنبياء: ٨٢].

وقال تعالىٰ ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الأحقاف: ٢٩-٣٢] وقال ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٨-١٢٩].

واقرأ الآيات من سورة الجن في تفصيل أحوالهم وأعمالهم وجزاء من آمن منهم ومن كفر، فلا عجب أن يتمكن جني من إنسي وأن يصيبه بأذى، كما يتمكن الإنسي من الجني ويصيبه بما يضره إذا تمثل الجني بصورة حيوان مثلًا كما في الحديث المذكور في السؤال، وكما في الحديث الذي رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إن عفريتًا من الجن تفلت علي البارحة ليقطع علي الصلاة، فأمكنني الله منه،**

فأردت أن أربطه إلىٰ سارية من سواري المسجد حتىٰ تصبحوا وتنظروا إليه كلكم، فذكرت قول أخي سليمان ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ﴾ [ص: ٣٥] **فرده خائبًا»**(١).

وبالجملة فكل من الجن والإنس إما مؤمن وإما كافر وطيب أو خبيث ونافع لغيره أو مؤذ له، ضار به كل بإذن اللَّه عز وجل كما تقدم.

وأخيرًا؛ فعالم الجن وأحوالهم غيبي بالنسبة للإنس لا يعلمون منها إلا ما جاء في كتاب اللَّه تعالىٰ أو صح من سنة رسول اللَّه ﷺ، فيجب الإيمان بما ثبت من ذلك بالكتاب والسنة دون استغراب أو استنكار، والسكوت عما عداه، لأن الخوض نفيًا أو إثباتًا قول بغير علم. وقد نهىٰ اللَّه تعالىٰ عن ذلك بقوله سبحانه: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

وباللَّه التوفيق، وصلىٰ اللَّه علىٰ نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

* * *

شمهورش قاضي الجن

● ومن «فتاوى المنار»(٢):

سؤال: يزعمون أنه كان للجن قاضي يقال له شمهورش، وأنه كان يتلقىٰ العلوم بالأزهر وكان يحضر دروس للشيخ

---

(١) أخرجه: البخاري (١/ ١٢٤)، ومسلم (٢/ ٧٢).

(٢) المنار (٦/ ٢٦٦-٢٦٧).

الباجوري، ويسأله عن بعض المسائل التي تشكل عليه علىٰ مرأًى من الناس ومسمع، وقد حضرت مناظرة في ذلك بين فريقين؛ منكر ومصدق؛ فأبىٰ المصدق أن يرجع إلا بفتوىٰ دينية وهي ما ننتظره من المنار الأنور.

الجواب:

إن الجن من العوالم الغيبية واسمهم يدل علىٰ خفائهم واستتارتهم، وقد قال اللَّه في إبليس وهو من الجن: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ﴾ [الأعرَاف: ٢٧] وقد نقل عن الإمام الشافعي تشديد عظيم علىٰ من يدعي رؤيتهم حتىٰ قيل إنه أفتىٰ بكفره لهذه الآية.

وقد اختلف النقل عن الصحابة في رؤية النبي ﷺ لهم، فروي عن ابن مسعود أنه رآهم، وروي عن ابن عباس أنه لم يرهم، وأنه لو رآهم لما قال اللَّه تعالىٰ: ﴿قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ﴾ [الجنّ: ١] .

وقال بعض العلماء: إن ابن عباس قال: بما يدل عليه القرآن، وابن مسعود قال بما ثبت عنده ولا منافاة بينهما، وادعىٰ بعضهم أن رؤيتهم تكون كرامة للأولياء، وسيأتي البحث فيه في موضعه من مقالات الخوارق والكرامات.

ولكن لم يقل أحد من المسلمين ولا من غيرهم: إن الجن يظهرون ويسألون العلماء علىٰ مرأىٰ من الناس ومسمع، وإن للناس من الحكايات عن الجن في كل قطر وكل شعب ما يكاد يصل بهم إلىٰ حد الجنون. واللَّه يعلم إنهم لكاذبون.

* * *

عدد الأنبياء والرسل

• من «أجوبة ابن حجر العسقلاني»[(١)]:

ما قول سيدنا، ومولانا، شيخ الإسلام، ملك العلماء والعلام، حافظ العصر وحاكمه، شهاب الحق والملة والدين، بقية المجتهدين، البيهقي الثاني: أحمد بن علي الكناني، العسقلاني، مد اللَّه تعالىٰ في أجله، وجعله بين العلماء علمًا، وأطلق له بالإفادة لسانًا وقلمًا، آمين:

في الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام -، كم عدتهم؟ وما أسماؤهم، وكم المرسل منهم؟

الجواب:

الحمد له وسلام علىٰ عباده الذين اصطفىٰ، أما بعد:

فإن عدد الأنبياء لم يقع الاتفاق في الأخبار علىٰ شيء منه معين. فما ورد في ذلك ما أخرجه ابن حبان في «صحيحه» من حديث أبي ذر قال: قلت: يا رسول اللَّه، كم عدد الأنبياء؟ قال: «**مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا**» قلت: يا رسول اللَّه، كم المرسل منهم؟ قال: «**ثلاثمائة وثلاثة عشر**»، قلت: يا رسول اللَّه، من كان أولهم؟ قال: «**آدم**» قلت: يا رسول اللَّه، نبي مرسل؟ قال: «**نعم**»[(٢)]. أخرجه هكذا في حديث طويل.

* * *

---

(١) «أجوبة ابن حجر» (ص٤١-٤٤).

(٢) أخرجه: ابن حبان (٣٦١).

● ومن «الفتاوى الحديثية» للهيتمي[١]:

وسئل نفع اللَّه به: كم عدد الأنبياء والرسل؟

فأجاب بقوله:

روىٰ الطبراني بسند رجاله رجال الصحيح «أن رجلا قال: يارسول اللَّه أنبي آدم؟ قال: «**نعم**»، قال كم بينه، وبين نوح؟ قال: «**عشرة قرون**»، قال كم بين نوح وإبراهيم؟ قال: «**عشرة قرون**»، قال: يا رسول اللَّه كم كانت الرسل؟ قال: «**ثلثمائة وخمسة عشر**»[٢].

وأخرج ابن حبان في «صحيحة»، والحاكم عن أبي ذر «قلت: يا رسول اللَّه كم الأنبياء؟ قال: «**مائة ألف نبي وأربعة وعشرون ألفًا**» قلت: يا رسول اللَّه كم الرسل منهم؟ قال: «**ثلثمائة وثلاثة عشر جم غفير**»[٣].

ولا ينافي ذلك قوله تعالىٰ: منهم ﴿مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [غافر: ٧٨] ؛ لأن هذا إخبار عمن قص عليه، أو أنه قص عليه الكل بعد نزول تلك الآية، وبه يجاب أيضًا عن التخالف بين الروايتين فيحمل أنه قص عليه أولًا ثلثمائة وثلاثة عشر، ثم ثانيًا: ثلثمائة وخمسة عشر، فأخبر عن كل بحسب ما قص عليه وقت الإخبار به.

* * *

(١) «الفتاوىٰ الحديثية للهيتمي» (ص١٨٠).
(٢) أخرجه: ابن حبان (٣٦١).
(٣) أخرجه: الطبراني في «الكبير» (٧٥٤٥)، و«الأوسط» (٤٠٣).

• ومن «مجلة المنار»[١]:

عدد الأنبياء والمرسلين

رووا في عددهم أحاديث لا يحتج بشيء منها، ومنها الضعيف والموضوع، وأمثلها ما رواه أحمد، والطبراني، وابن حبان، والحاكم، وابن مردويه، والبيهقي في «الأسماء» عن أبي أمامة قال: قلت: يا رسول اللَّه، كم عدة الأنبياء؟ قال: «**مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا، الرسل من ذلك ثلاثمائة وخمسة عشر جمًا غفيرًا**»[٢].

وفي رواية للحاكم، والبيهقي عن أبي ذر: «**والمرسلون ثلاثمائة وثلاثة عشر، وآدم نبي مكلم**»[٣].

ومن حديث أنس عند الحاكم وابن سعد، أن الأنبياء ثمانية آلاف، ويفهم منه أن المراد بهم: المرسلون.

وفي حديث جابر عند ابن سعد، وأبي سعيد عند الحاكم: «**إني خاتم ألف نبي أو أكثر**»[٤].

ولعدم الثقة بهذه الروايات قال العلماء بالوقف في مسألة عدد الأنبياء؛ لأن القائل بعدد يكون نافيًا لما زاد عنه فهو كالمكذب بالزائد، وما يدريه لعل هناك زيادة، هكذا قالوا.

---

(١) «المنار» (٥/ ٢٤٥-٢٤٦).

(٢) أخرجه: أحمد (٥/ ٢٦٥)، والطبراني في «الكبير» (٧٨٧١).

(٣) أخرجه: البيهقي في «الشعب» (١٣٠، ٣٥٧٦)، والحاكم (٢/ ٢٨٨).

(٤) أخرجه: الحاكم (٢/ ٦٥٣)، وابن سعد (١/ ١٩٢).

وأقوىٰ منه أنه قول علىٰ اللَّه بغير علم، فهو من الكذب عليه جلَّ ثناؤه ومن اتباع الظن في الأمور الاعتقادية ﴿وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ [النجم: ٢٨] . وقد قال تعالىٰ لنبيه: ﴿مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [غافر: ٧٨] فحسبنا من العدد ما قصه اللَّه تعالىٰ في القرآن أن الرسل الذين ذكروا في القرآن يجب الإيمان بهم تفصيلًا.

قال تعالىٰ: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ٨٣-٨٦]. فهذا هو تفضيل النبوة والرسالة، يفضلون به سائر الناس.

وقد وردت هذه الأسماء متصلة علىٰ هذا الوجه. وقال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾ [مريم: ٥٦]. وقال جل جلاله في ذكر قصص المرسلين: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ [الأعراف: ٦٥] وقال: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا﴾ [الأعراف: ٧٣]، وقال: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ [الأعراف: ٨٥] أي وأرسلنا إلىٰ عادًا أخاهم هودًا، ومثله ما بعده، وقال تعالىٰ: ﴿وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ﴾ [ص: ٤٨] فذكر ذا الكفل بين الأنبياء، ولم يبق إلا ذكر الفاتح وهو آدم والخاتم وهو محمد - عليهم الصلاة والسلام - وذكرهما في القرآن مستفيض.

* * *

حديث: «ما من نبي إلا كان يرعىٰ الغنم»

• ومن «الأجوبة المرضية» للسخاوي[١]:

سئلت: ما المناسبة بين ترجمة البخاري [في][٢] أحاديث الأنبياء بقوله: باب يعكفون علىٰ أصنام لهم، ثم إيراده حديث: ما من نبي إلا كان يرعىٰ الغنم»؟[٣]

فأجبت:

يمكن أن يقال في وجهها كون العشب الذي هو من جملة المرعىٰ قد يكون في الجبال، وبطون الأودية التي لا تخلو غالبًا من الأحجار التي كانت الأصنام تتخذ منها غالبًا، وكأنه أشار ليصبح ذلك بكونه من جملة مرعىٰ الغنم له (. . . .)[٤] أو كون الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - قومهم بحسب ما يقتضيه الحال في تحببها لسياسة الغنم والمرعىٰ، أو أنهم في عكوفهم عليها كالغنم السارحة لا اهتداء لها كما في قوله تعالىٰ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ﴾ [الأعراف: ١٧٩]. والله الموفق.

* * *

• ومن «الفتاوىٰ الفقهية» للهيتمي[٥]:

وسئل - رحمه الله تبارك وتعالى - بما لفظه: كثيرًا

---

(١) «الأجوبة المرضية» (٣/ ١١٩٠). (٢) في المطبوع: «و».

(٣) أخرجه: البخاري (٣/ ١١٥)، وابن ماجه (٢١٤٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) بياض.

(٥) فتاوىٰ ابن حجر الهيتمي (٤/ ٢٣٦-٢٣٨).

ما يتخاصم اثنان، فيعير أحدهما الآخر بالفقر أو رعي الغنم مثلًا فيقول الآخر: الأنبياء كانوا فقراء ويرعون الغنم، أو نحو ذلك مما هو معروف عند العامة مألوف، فما حكم ذلك؟

فأجاب - عفا الله تبارك وتعالى عنه - بقوله:

هذا مما ينبغي أن يفطم عنه الناس غاية الفطم؛ لأنه يؤدي إلىٰ محذورات لا يتدارك خرقها ولا يرتقع فتقها، وكيف وكثيرًا ما يوهم ذلك العامة إلحاق نقص له ﷺ ببعض صفاته التي هي من كماله الأعظم، وإن كان بعضها بالنسبة إلىٰ غيره ﷺ نقيصة في ذاته، كالأمية أو باعتبار عرف العوام الطارئ، كالفقر، ورعي الغنم، فتعين الإمساك عن ذلك وتأكد علىٰ الولاة والعلماء منع الناس من الإلمام بشيء من تلك المسالك، فإنها في الحقيقة من أعظم المهالك.

وقد بالغ الحافظ الجلال السيوطي - شكر اللّٰه تبارك وتعالىٰ سعيه -، فأفتىٰ بوجوب التعزير البليغ علىٰ من عير ولده برعي المعزىٰ، فقال - مستدلًا علىٰ أن ذلك ليس بنقصٍ -: الأنبياء رعوا المعزىٰ؛ لأن مقام الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - أجل من أن يضرب مثلًا لآحاد الناس، ولم يبال في هذا الإفتاء باعتراض علماء عصره عليه بأن مقتضىٰ المذهب أي: بل صريحه - كما صرح به بعض أكابر أصحابنا -، أنه حيث لم يقصد بذلك محذورًا من تنقيص أو نحوه، وإنما قصد مجرد الاستدلال علىٰ أن هذه الصفة ليّست بنقص؛ لأنه ﷺ لا يتحلىٰ إلا بما هو الغاية في الكمال، لا إثم عليه، ولا تعزير، وأن الإثم والتعزير في ذلك إنما يوافق قواعد الإمام مالك - رحمه اللّٰه تعالىٰ - وأصوله التي بسط الكلام فيها صاحب «الشفاء»؛ حيث قال ما ملخصه:

الوجه الخامس: أن لا يقصد نقصًا ولا يذكر عيبًا ولا سبًّا، ولكنه ينزع بذكر بعض أوصافه أو يستشهد ببعض أحواله - عليه الصلاة والسلام - الجائزة عليه في الدين علىٰ طريق ضرب المثل، والحجة لنفسه أو لغيره، أو علىٰ التشبه به، أو عند هضمة نالته، أو غضاضة لحقته ليس علىٰ طريق التأسي وطريق التحقير، بل علىٰ قصد الترفيع لنفسه، أو لغيره، أو سبيل التمثيل، وعدم التوقير لنبيه ﷺ، أو مع قصد الهزل كقول بعضهم: إن قيل في سوء أو كذبت - أي: بالتشديد - أو أذنبت، فقد وقع ذلك للأنبياء - عليهم الصلاة والسلام -، أو قد صبرت كما صبر أولوا العزم.

وكما وقع في أشعار المتعجرفين في القول المتساهلين في الكلام:

كالمتنبي، والمعري، وابن هانئ الأندلسي، بل خرج كثير من كلامهم إلىٰ حد الاستخفاف والكفر، وقد بينا حكمه، وغرضنا الآن بيان ما سقنا أمثلته، فإن هذه كلها وإن لم تتضمن سبًّا ولا أضافت للنبي ﷺ نقصًا، ولا قصد قائلها إزراءً أو غضًّا فما وقر النبوة، ولا عظم الرسالة حين شبه من شبه في كرامة نالها، أو معرة قصد الانتفاء عنها، أو ضرب مثل لتطييب مجلسه، أو إغلاء في وصف لتحسين كلامه ممن عظم اللّٰه سبحانه وتعالىٰ خطره، وشرف قدره، وألزم توقيره وبره، ونهىٰ عن جهر القول له، ورفع الصوت عنده، فحق هذا إن درأ عنه القتل الأدب والسجن، وقوة تعزيره بحسب شنعة مقاله، ومقتضىٰ قبح ما نطق به، ومألوف عادته لمثله، أو قرينة كلامه، أو ندمه علىٰ ما سبق منه، ولم يزل المتقدمون ينكرون مثل هذا ممن جاء به.

ثم نقل عن مالك - رضي اللَّه تبارك وتعالىٰ عنه - أنه قال في رجل عُير بالفقر: فقال: تعيروني بالفقر، وقد رعىٰ النبي ﷺ الغنم: أرىٰ أن يؤدب؛ لأنه عرض بذكره ﷺ في غير موضعه، وعن سحنون: أنه كره أن يصلى عليه عند التعجب أو علىٰ طريق الاحتساب تعظيمًا له، كما أمرنا اللَّه سبحانه وتعالىٰ، وعن الفاسي أنه قال فيمن قيل له أسكت فإنك أمي فقال: أليس كان النبي ﷺ أميًّا فكفره الناس إطلاق الكفر عليه خطأ؛ لكنه مخطئ في هذا الاستشهاد؛ إذ الأمية فيه ﷺ آية له، وفي هذا القائل نقيصة، وجهالة، لكنه إذا استغفر وتاب ترك؛ لأن ما طريقه الأدب فطوع فاعله بالندم عليه يوجب الكف عنه.

وعن بعض مشايخه أنه قال فيمن نقصه غيره فقال: إنما يريد نقصي بذلك أنا بشر، وجميع البشر يلحقهم النقص حتىٰ النبي ﷺ: يطال سجنه وأدبه؛ لأنه لم يقصد السب، وعن غيره أنه قال: يقتل.

هذا حاصل كلام «الشفاء»، وهو صريح فيما أفتىٰ به الجلال من وجوب تعزير ذلك المستدل في مثل ذلك المقام الذي يخرج اللفظ عن موضوعه إلىٰ إيهام النقص، ونحوه نظرًا إلىٰ أنه مقام خصام وتبرٍّ من نقص نسب إليه هو أو غيره بخلافه في مقام تدريس أو إفتاء أو تأليف أو تقرير للعلم بحضرة أهله، فإنه لا حرج فيه إذ لا إيهام فيه حينئذ بوجه، ولكل مقام مقال.

ثم قال القاضي ما حاصله أيضًا:

الوجه السابع: أن يذكر ما يجوز عليه ﷺ أو يختلف في جوازه، أو

ما يمكن إضافته إليه من الأمور البشرية، أو ما امتحن به من أعدائه، وصبر عليه في ذات اللَّه سبحانه وتعالىٰ، أو ابتداء حاله وما لقيه من بؤس زمنه أو مر عليه من معاناة عيشه ﷺ؛ كل ذلك علىٰ طريق الرواية، وإفادة العلم، وهذا ليس فيه نقص ولا غمص ولا إزراء، لا في ظاهر اللفظ، ولا في مقصد اللافظ، لكن يجب عليه أن يكون الكلام فيه مع أهل العلم وفهماء طلبة الدين، ويجنب ذلك من عساه لا يفهمه، أو يخشىٰ به فتنة. اهـ.

ولما اعترض علىٰ الجلال بأن ذلك القائل لم يصدر منه ما يقتضي عيرة ولا تعيزرًا، قال للمعترض: إن أردت ما وقع في نحو درس أو مذاكرة علم فمسلم، وليس هذا صورة واقعتنا، وإن أردت عين تلك الواقعة التي هي سباب وخصام في سوق بحضرة طغام يطلقون ألسنتهم بما قد يوجب سفك دمائهم فمعاذ اللَّه، وحاشا المفتين أن يقولوا ذلك.

ثم قال: من قال: التعزير في هذه المسألة خلاف المذهب؛ لأن الأصحاب لم ينصوا عليها، أقول له: فهل نص الأصحاب علىٰ أنه لا تعزير فيها، حتىٰ يقدم علىٰ القول به وينسب إلىٰ مذهب الشافعي، ثم تنزل.

وأجاب عمن قال له: إنما أفتيت في هذه المسألة بمذهب مالك؛ فإن ابن الصلاح سُئل عن مسألة لا نص فيها للأصحاب فأجاب فيها بمذهب أبي حنيفة، وقرر النووي - رحمه اللَّه تعالىٰ - في «شرح المهذب» مسألة لا نقل فيها عندنا، وأجاب فيها بمذهب الحسن البصري، وقال: إنه ليس في قواعدنا ما ينفيه، وسُئل البلقيني عن مسألة لا نقل فيها، فأجاب بما

ذكره القاضي عياض في «المدارك»، وذكر في الخادم مسح الخف للمحرم، وقال: لا نقل في ذلك عندنا، وأجاب بالمنقول في مذهب مالك.

ثم قال: نص أئمة المالكية علىٰ التعزير في هذه المسألة، ولم ينص أصحابنا علىٰ خلافه، ولا في قواعد مذهبنا ما ينفيه فوجب الوقوف عنده، والعمل به.

ثم قال: رعي الغنم لم يكن صفة نقص في الزمن الأول، لكن حدث العرف بخلافه، ولا يستنكر ذلك، فرب حرفة هي نقص في زمان دون زمان، وفي بلد، دون بلد ويشهد لذلك كلام الفقهاء في الكفاءة في النكاح، وفي المروءة في الشهادات.

ثم قال تعريضًا بالمعترضين عليه: المماراة في مثل هذا الموضع، والتدليس، وقصد الانتقام بالضغائن الباطنة لا يضر إلا فاعله، ولا يصيب المشنع عليه من ضرره شيء، وألحق للأنبياء، وقد ذكر السبكي أن تارك الصلاة يخاصمه كل صالح؛ لأن لكل صالح فيها حقًّا حيث فيها السلام علينا، وعلىٰ عباد اللَّه الصالحين، وكذلك المدلسون في هذه المسألة يخاصمهم كل الأنبياء يوم القيامة، وعدتهم مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا، وقد قيل ليحيىٰ بن معين[1]: أما تخشىٰ أن يكون هؤلاء الذين تركت حديثهم خصماءك عند اللَّه سبحانه وتعالىٰ؟ فقال: لأن يكونوا خصمائي أحب إليَّ من أن يكون النبي ﷺ خصمي، يقول لي: لم لم تذب الكذب

---

(١) الصواب أن هذه مقولة يحيىٰ بن سعيد القطان.

عن حديثي، وكذلك أقول: لأن يكون كل أهل العصر في هذه المسألة خصمائي أحب إليَّ من أن يخاصمني نبي واحد فضلًا عن جميع الأنبياء.

* * *

من خلق مختونًا من الأنبياء

• ومن «الحاوي للفتاوي» للسيوطي[1]:

مسألة:

ماذا الجواب من البحر المفيد لنا
في مشكل وإليه يهرع البشر؟
عند الحوادث أن قال الأكابر: لا
تفتي وقصر منهم من له نظر؟
في الكأس والطاس والساقي وشاربهم
وفي النديم وقول قاله عمر
أعني به العالم المعروف نسبته
لفارض قبره بالسحب منهمر
في سقيه من حميا كأس خمرته
ما الصفو ما سقيه ما الكأس ما الخمر؟
وأهل مكة قالوا في سؤالهم
بالهاشمي المصطفىٰ لما له حضروا
قبل خلق السما والأرض أين ثوىٰ
إلهك الحق يا مختار يا طهر؟

---

(١) «فتاوىٰ السيوطي» (١/ ٣٨٤-٣٨٥).

أجابهم «في عماء» كان وهو كذا
ما هو العماء؟ وما معناه يا مهر؟
ومن توالد مختونًا وعدتهم
في الأنبياء سوىٰ طه، وهل حصروا؟
بالفضل منك أجب هذا السؤال بدا
قدمًا تصوره بالنقل مشتهر
بين الأكابر لكن لا جواب لهم
عليه يا عالمًا ألفاظه درر
وحاز كل فخر بالعلوم وقد
أضحت به مصر تزهو ثم تفتخر

الجواب:

أما قول ولي اللّه الشيخ عمر بن الفارض، فلا نتكلم عليه، بل من أراد أن يعرف معناه فليجع جوعه، ويسهر سهره يعرف معناه.

وأما الحديث فهو من المتشابه الذي لا يخاض في معناه، قال أبو عبيد في «غريب الحديث»: لا ندري كيف كان ذلك العماء، وقيل: هو كل أمر لا تدركه عقول بني آدم، ولا يبلغ كنهه الوصف والفطن؟ وقال الازهري: نحن نؤمن به ولا نكيفه بصفه.

وأما من خلق مختونًا من الأنبياء؛ فسبعة عشر: آدم، وشيث، وإدريس، ونوح، وسام، ولوط، ويوسف، وموسىٰ، وشعيب، وسليمان، وهود، وصالح، وزكريا، ويحيىٰ، وعيسىٰ، وحنظلة بن صفوان، وخاتمهم سيدنا محمد ﷺ.

* * *

• ومن «فتاوى المنار»(١):

نبوة آدم وعدد النبيين والمرسلين

سؤال: حضرة العلامة الكبير مولاي الأستاذ السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار، أطال اللَّه تعالىٰ عمره، ونفع بعلومه المسلمين.

إنني رأيت في شرح عقيدة السفاريني ما نصه: ففي «صحيح ابن حبان» من حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال: دخلت المسجد فإذا رسول اللَّه ﷺ جالس وحده، فذكر حديثًا طويلا، وفيه: قلت: يا رسول اللَّه كم الأنبياء؟ قال: «مائة ألف وعشرون ألفًا» قلت: يا رسول اللَّه كم الرسل من ذلك؟ ألف وعشرون ألفاً قال: «ثلاثمائة وثلاثة عشر جمًّا غفيرًا» قلت: يا رسول اللَّه من كان أولهم؟ قال: «آدم عليه السلام» قلت: يا رسول اللَّه أنبي مرسل؟ قال: «نعم، خلقه اللَّه بيده، ونفخ فيه من روحه، وكلمه قبلا»... إلخ(٢).

وقال فيه قبل هذا: اعلم أن الإيمان باللَّه تعالىٰ وملائكه وكتبه ورسله مما اتفقت علىٰ وجوبه جميع الأنبياء والمرسلين من لدن صفي اللَّه أبي البشر آدم عليه السلام إلىٰ خاتمهم محمد عليه وعليهم الصلا والسلام. اهـ.

فهل يصح الاحتجاج بحديث أبي ذر هذا علىٰ نبوة آدم

---

(١) «المنار» (٣١/٥١٨-٥٢٠).

(٢) أخرجه: ابن حبان (٣٦١).

عليه السلام أم لا؟ وهل يوجد ما هو أقوىٰ منه دليلًا من الكتاب، أو السنة المتواترة علىٰ نبوته عليه السلام أم لا؟.

وما قولكم في قول الشيخ محمد بن عبد الوهاب في «رسالته»: وأولهم نوح عليه السلام، وآخرهم محمد ﷺ وهو خاتم النبيين، والدليل علىٰ أن أولهم نوح قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ [النساء: ١٦٣].

وهل هذا القول صحيح أم لا؟ وهل مقتضىٰ قول هذا أنه أنكر نبوته عليه السلام أم لا؟ وهل يجوز لأحد إنكارها؟ وهل كان نبيا رسولا أم نبيا فقط؟

وقال الأستاذ الشيخ حسين والي في كتابه «كلمة التوحيد» ما نصه: والسبعة الباقية من الأنبياء آدم، إدريس، صالح، شعيب، هود، ذو الكفل، محمد - عليهم الصلاة والسلام - فإذا عرض أحدهم علىٰ المكلف وجب الاعتراف به، ولا يجب حفظ أسمائهم فمن أنكر نبوة أحد من المتفق علىٰ نبوته، أو رسالته كفر إلا إذا كان عاميًا، وممن اختلف في نبوته ذو القرنين، والعزير، ولقمان. اهـ.

وإني لم أر أن الأستاذ في عبارته أدخل آدم فيمن اختلف في نبوته. فتفضلوا بالجواب عن هذه الأسئلة، فإنه يكون - إن شاء الله - شفاء لما في الصدور.

الجواب:

يجد السائل تحقيق الحق في أسئلته مفصلًا تفصيلًا تماما في تفسير الآيات [٨٥-٩١] من سورة الأنعام التي ذكر فيها أسماء ١٨ من الرسل -

عليهم السلام -، إذ عقدنا لها فصلًا استطراديًّا عنوانه (تحقيق مسألة الإيمان بالرسل إجمالًا وتفصيلًا، وعدد الرسل المذكورين في القرآن) وهو في الجزء السابع من التفسير والجزء التاسع من المجلد العشرين من المنار، وكل منهما يوجد عند السائل، ولعله قرأه ونسيه، ولولا ذلك لم يحتج إلىٰ هذه الأسئلة كلها ولا بعضها.

فليراجعها يجد فيها أن حديث أبي ذر في عدد النبيين والمرسلين. قد جزم ابن الجوزي بأنه موضوع، والسيوطي بأنه ضعيف، فلا يعتد به علىٰ كل حال في الاستدلال، ولا سيما في مثل هذه المسألة الاعتقادية.

وأن ما قاله الشيخ محمد عبد الوهاب موافق لنص حديث الشفاعة المتفق عليه؛ إذ حكىٰ النبي ﷺ فيه أن أهل الموقف يقولون لنوح عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**يا نوح أنت أول الرسل إلىٰ أهل الأرض**»[(١)] فهو فيه متبع لا مبتدع ومهتد لا ضال.

وأن ما قاله كل من السفاريني، والشيخ حسين والي هو المشهور في كتب العقائد المتداولة، ويجد هنالك تحقيق الحق في كل ذلك.

وأمثل الأدلة علىٰ نبوة آدم، وما أجاب به العلماء عن الآية التي استدل بها الشيخ محمد عبد الوهاب، وعن حديث «الصحيحين» وغيرهما في الشفاعة، وما جمعنا بين نص الآية والحديث، وما قرره المتكلمون وهو مبني علىٰ التفرقة بين عرفهم في معنىٰ الرسول وعرف القرآن.

* * *

(١) أخرجه: البخاري (٤/ ١٦٣، ١٧٢) (٦/ ١٠٥)، ومسلم (١/ ١٢٧) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

طول آدم عند هبوطه من الجنة

• ومن «فتاوى عبد الله الغماري»[١]:

سؤال: في مولد الحلواني، أن سيدنا آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ كان طوله عند هبوطه من الجنة بحيث تمس رأسه السماء، ودلل علىٰ ذلك بما هو مذكور في ذلك الكتاب فهل ورد في ذلك نص؟ وما المراد بالذراع الوارد في خبر طول أهل الجنة؟

هل الأرجح أن الحديث القدسي نزل باللفظ والمعنىٰ، أو المعنىٰ فقط؟ وما الفرق بينه وبين القرآن والسنة؟ مع بسط المقام.

هل ما في «الصحيحين» يفيد القطع أو الظن؟ وهل كل ما فيهما صحيح قطعًا؟ أرجو من فضيلتكم الإجابة جعلكم اللَّه نبراسًا للدين، وأيد بكم الإسلام والمسلمين.

الجواب:

أما ما ذكر في مولد الحلواني من طول آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، فورد فيه حديث وآثار. فأما الحديث فرواه عبد الرزاق في «المصنف» عن أبي هريرة مرفوعًا: **«إن آدم لما أهبط كانت رجلاه في الأرض ورأسه في السماء فحطه اللَّه إلىٰ ستين ذراعًا»**[٢].

---

(١) «فتاوىٰ الغماري» (١٢٦-١٣١).

(٢) أخرجه: عبد الرزاق (٩٠٩٠، ٩٠٩٦) موقوفًا علىٰ عطاء وقتادة.

وهو حديث ضعيف جدًا ولا يصح رفعه.

وأما الآثار، فخرج ابن أبي الدنيا في «مكايد الشيطان» وابن عساكر في «التاريخ» عن جابر بن عبدالله قال: «إن آدم لما أهبط إلىٰ الأرض هبط بالهند، وإن رأسه كان ينال السماء، وإن الأرض شكت إلىٰ ربها ثقل آدم فوضع الجبار تعالىٰ يده علىٰ رأسه فانحط منه سبعون ذراعًا».

وخرج ابن سعد عن ابن عباس قال: «لما خلق الله آدم كان رأسه يمس السماء، فوطاه الله إلىٰ الأرض حتىٰ صار ستين ذراعًا في سبع أذرع عرضًا».

وأخرج أيضًا من طريق آخر عن ابن عباس قال: «كان آدم حين أهبط يمسح رأسه السماء، فمن ثم صلع وأورث ولده الصلع، ونفرت من طوله دواب البر، فصارت وحشًا من يؤمئذ. وكان آدم وهو علىٰ ذلك الجبل - يعني الجبل الذي نزل عليه بالهند، ويسمىٰ نودًا - قائمًا يسمع أصوات الملائكة ويجد ريح الجنة فهبط من طوله ذلك إلىٰ ستين ذراعًا فكان ذلك طوله حتىٰ مات.

وخرج الطبراني عن عبد الله بن عمرو قال: «لما أهبط الله آدم أهبطه بأرض الهند ومعه غرس من شجر الجنة فغرسه بها، وكان رأسه في السماء ورجلاه في الأرض، وكان يسمع كلام الملائكة، فكان ذلك يهون عليه وحدته، فغمز غمزة فتطأطأ إلىٰ سبعين ذراعًا، فأنزل الله إني منزل عليك بيتًا يطاف حوله كما تطوف الملائكة حول عرشي، ويصلىٰ عنده كما تصلي الملائكة حول عرشي، فأقبل نحو البيت فكان موضع كل قدم

قرية، وبين رجليه مفازة، حتىٰ قدم مكة، فدخل من باب الصفا وطاف بالبيت وصلىٰ عنده، ثم خرج إلىٰ الشام فمات بها».

وخرج أبو الشيخ ابن حيان في «العظمة» عن مجاهد قال: «لما أهبط آدم إلىٰ الأرض، فزعت الوحوش ومن في الأرض من طوله، فأطر منه سبعون ذراعًا».

وهذه الآثار كلها ضعيفة، وهي مع ضعفها مأخوذة من الإسرائيليات، فلا يجوز الاعتماد عليها، خصوصًا وقد ثبت عن نبينا ﷺ ما يخالفها. وهو ما في «الصحيحين» عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**خلق اللَّه آدم علىٰ صورته وطوله ستون ذراعًا** . .»[1] إلخ.

وروىٰ أحمد بإسناد حسن عن أبي هريرة رفعه: «**كان طول آدم ستين ذراعًا في سبعة أذرع عرضًا**»[2].

فهذا هو الذي يجب أن يتمسك به، وينبذ ما سواه. ولا ينافيه ما في تفسير ابن أبي حاتم بإسناد حسن عن أبي ابن كعب مرفوعًا: «**إن اللَّه خلق آدم رجلًا طوالًا كثير شعر الرأس كأنه نخلة سحوق**». وصححه الحاكم موقوفًا وأقره؛ لأن الطول وقع في هذا الحديث مطلقًا، فيقيد بما وقع في الحديثين قبله.

والمراد بالذراع الوارد في خبر طول أهل الجنة ذراع الملك، كما ورد مصرحًا به في رواية أنس.

---

(١) أخرجه: البخاري (٤/ ١٥٩) (٨/ ٦٢)، ومسلم (٨/ ١٤٩).
(٢) أخرجه: أحمد (٢/ ٥٣٥).

قال ابن أبي الدنيا في كتاب «صفة الجنة»: حدثنا القاسم بن هشام، حدثنا صفوان بن صالح، حدثنا رواد بن الجراح العسقلاني، حدثنا الأوزاعي، عن هارون بن رئاب - بكسر الراء -، عن أنس بن مالك قال: قال رسول اللّٰه ﷺ: **يدخل أهل الجنة الجنة علىٰ طول آدم ستين ذراعًا بذراع الملك، وعلىٰ حسن يوسف، وعلىٰ ميلاد عيسىٰ ثلاثاً وثلاثين سنة**».

وأما الحديث القدسي ويسمىٰ: الرباني، والإلهي أيضًا - فقال الطيبي: إنما نزل معناه، وفوض إلىٰ النبي ﷺ أن يرويه بأي عبارة شاء، ووافقه الجرجاني وعلي القاري. وعبارة الثاني: الحديث القدسي ما يرويه صدر الثقات، وبدر الرواة - عليه أفضل الصلوات وأكمل التحيات - عن اللّٰه تبارك وتعالىٰ، تارة بواسطة جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، وتارة بالوحي والإلهام والمنام. مفوضًا إليه التعبير بأي عبارة شاء من أنواع الكلام.

وقال الكرماني في أول «كتاب الصوم» من «شرح البخاري» ما يفيد أنه نزل لفظه ومعناه معًا، وهو ظاهر كلام التحرير وشرحه. وكلام الجلال المحلِّي في شرح «جمع الجوامع» وهو الراجح؛ لأن السنة النبوية، والحديث القدسي متساويان في نزول معناهما من اللّٰه تعالىٰ بدليل: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣-٤] فروايته - أعني الحديث القدسي - عن اللّٰه تعالىٰ دون السنة النبوية مع تساويهما فيما تقدم، ليس إلا لمزية له عليها، وليست تلك المزية إلا أن لفظه منزل أيضًا، وعلىٰ هذا يظهر الفرق بينه وبين السنة النبوية.

وحاصله: أن السنة النبوية معناها من اللّٰه تعالىٰ واللفظ من النبي ﷺ، بخلاف الحديث القدسي؛ فإن لفظه ومعناه من اللّٰه تعالىٰ، وليس للنبي ﷺ منه إلا مجرد روايته.

وأما الفرق بينه وبين القرآن فمن وجوه:

١- أن القرآن معجز بخلاف الحديث القدسي.

٢- أن القرآن متعبد بتلاوته، ولا كذلك الحديث القدسي.

٣- أن القرآن لا يكون إلا متواترًا، والحديث القدسي غالبه آحاد، بل لا أعرف حديثًا قدسيًّا متواترًا على كثرة ما قرأت من الأحاديث القدسية.

ومن الفروق أيضًا: عدم صحة الصلاة بالحديث القدسي، وعدم حرمة مسه وقراءته للجنب، وعدم كفر منكره بخلاف القرآن في جميع ذلك.

هذا وقد كنت أريد أن أبسط المقام إجابة لرغبة السائل؛ ولأني لم أر أحدًا وفَّاه حقه من البحث والتحقيق، لكن منعني كثرة ما لدي من الأسئلة التي يلح علي أصحابها في الجواب عنها فورًا! فاقتصرت علىٰ ما رأيت أنه كاف في الموضوع، ريسما يسنح وقت يتسع لأكثر من هذا.

وأما ما في «الصحيحين» هل يفيد القطع أو الظن، وهل كل ما فيهما صحيح قطعًا؟

فالجواب: أن في ذلك خلافًا كبيرًا.

فذهب أبو إسحاق، وأبو حامد الإسفراينيان، وأبو إسحاق الشيرازي والقاضي أبو الطيب الطبري، والقاضي عبد الوهاب، والسرخسي،

وأبو يعلىٰ القاضي، وأبو الخطاب، وابن الزاغوني، وابن فورك، والحافظ أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسي، وأبو نصر عبد الرحيم بن عبد الخالق ابن يوسف، والحافظ ابن الصلاح، إلىٰ أن ما في «الصحيحين» يفيد القطع. قال بعض الحفاظ المتأخرين: وهو مذهب أكثر أهل الكلام من الأشعرية، وأهل الحديث قاطبة، والسلف عامة، اهـ.

واستثنىٰ ابن الصلاح من ذلك أحاديث فيهما، انتقدها حذاق الحفاظ، كالحافظ أبي الحسن الدارقطني، وأبي مسعود الدمشقي وأمثالهما. وعدة الأحاديث المنتقدة فيهما مائتان وعشرون حديثًا، اتفقا علىٰ اثنين وثلاثين وانفرد البخاري بثمانية وسبعين، ومسلم بمائة، وما عدا هذا فمقطوع بصحته عند من ذكرنا. واختاره الحافظ ابن كثير، وخاتمة الحفاظ الجلال السيوطي.

وذهب ابن برهان والنووي، وابن عبد السلام، والحافظ العراقي، إلىٰ أن ما في «الصحيحين» يفيد الظن ما لم يتواتر، وحكاه النووي عن المحققين والأكثرين، قال في «شرح مسلم»: لأن ذلك شأن للآحاد، لا فرق في ذلك بين الشيخين وغيرهما. وتلقي الأمة بالقبول إنما أفاد وجوب العمل بما فيهما من غير توقف علىٰ النظر فيه، بخلاف غيرهما فلا يعمل به حتىٰ ينظر فيه ويوجد فيه شروط الصحيح، ولا يلزم من إجماع الأمة علىٰ العمل بما فيهما إجماعهم علىٰ القطع بأنه من كلام النبي ﷺ. اهـ.

وقال الحافظ: ما ذكره النووي مسلَّم من جهة الأكثرين أما المحققون فلا. فقد قال بالقطع محققون. اهـ. وقال في «شرح النخبة»: الخبر

المحتف بالقرائن يفيد العلم خلافًا لمن أبىٰ ذلك. قال: وهو أنواع. منها ما رواه الشيخان في «صحيحهما» مما لم يبلغ التواتر، فإنه احتف به قرائن منها جلالتهما في هذا الشأن، وتقدمهما في تمييز الصحيح علىٰ غيرهما، وتلقي العلماء لكتابيهما بالقبول. وهذا التلقي وحده أقوىٰ في إفادة العلم من مجرد كثرة الطرق القاصرة عن التواتر، إلا أن هذا مختص بما لم ينتقده أحد من الحفاظ، وبما لم يقع التجاذب بين مدلوليه حيث لا ترجيح لاستحالة أن يفيد المتناقضان العلم بصدقهما من غير ترجيح لأحدهما علىٰ الآخر، وما عدا ذلك فالإجماع حاصل علىٰ تسليم صحته، وما قيل من أنهم إنما اتفقوا علىٰ وجوب العمل بكل ما صح، ولو لم يخرجاه، فلم يبق للصحيحين في هذا مزية، والإجماع حاصل علىٰ أن لهما مزية فيما يرجع إلىٰ نفس الصحة، ويحتمل أن يقال: المزية المذكورة كون أحاديثهما أصح الصحيح.

ثم ذكر الحافظ بقية أنواع الخبر الذي يفيد العلم، ثم قال: وهذه الأنواع التي ذكرناها لا يحصل العلم فيها إلا للعالم المتبحر في الحديث، العارف بأحوال الرواة والعلل، وكون غيره لا يحصل له العلم لقصوره عن الأوصاف المذكورة، لا ينفي حصول العلم للمتبحر المذكور. اهـ.

وخلاصة الجواب: أن مافي «الصحيحين» يفيد القطع علىٰ نحو ما فصله الحافظ ابن حجر، وعليه يحمل إطلاق كلام الحافظ ابن الصلاح ومن ذكر معه.

وأما هل ما فيهما صحيح قطعًا، فقد علم جوابه مما سبق، وهو أنه

صحيح قطعًا، سوىٰ ما انتقده الحفاظ، وما وقع تجاذب بين مدلوليه، فإنه صحيح ظنًّا، وقد بالغت في الاختصار مع أن المقام واسع طويل الذيول، وفيه فوائد ونفائس قلَّ من يعرفها، وعُذري في الاختصار ما قدمته.

* * *

● ومن «فتاوى اللجنة الدائمة»[1]:

سؤال: كم عدد الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام؟

الجواب:

لا يعلم عددهم إلا اللَّه؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [غافر: ٧٨]، والمعروف منهم من ذكروا في القرآن أو صحت بخبره السنة.

وباللَّه التوفيق. وصلىٰ اللَّه علىٰ نبينا محمد، وآله وصحبه وسلم.

* * *

● ومن «الأجوبة المرضية» للسخاوي[2]:

الحمد للَّه. في «الغيلانيات»: و«الحلية» لأبي نعيم من طريق يزيد بن أبان الرقاشي، عن أنس، عن النبي ﷺ قال: «**بعث اللَّه عز وجل ثمانية آلاف نبي، منهم أربعة آلاف من بني إسرائيل**»[3].

---

(١) فتاوىٰ اللجنة (٣/ ٢٦٥).
(٢) «الأجوبة المرضية» (٢/ ٥٩١-٥٩٣).
(٣) أخرجه: أبو نعيم (٣/ ٥٣، ١٦٢).

وأخرجه أبو يعلىٰ في «مسنده» بلفظ: «**بعث اللَّه إلىٰ بني إسرائيل أربعة آلاف نبي، وأربعة آلاف إلىٰ سائر الناس**»[١] وبلفظ: «**كان ممن خلا من إخواني الأنبياء ثمانية آلاف نبي، ثم كان عيسىٰ بن مريم ثم كنت نبيًا**»[٢].

وهو عند الطبراني بلفظ: «**بعث نبي اللَّه ﷺ بعد ثمانية آلاف نبي**»[٣].

وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» أيضًا من طريق صفوان بن سليم عن أنس بلفظ: «**بعثت علىٰ إثر ثمانية آلاف نبي**»[٤].

وفي «فوائد تمام» من طريق معاوية بن قرة عن أنس قال: سُئل النبي ﷺ كم المرسلين؟ قال: «**ثلاثمائة وستة عشر عدة أصحاب بدر**».

ولأبي ذر حديث طويل فيه سؤاله للنبي ﷺ عن العمل، والإيمان، والإسلام، والهجرة، و الصيام والجهاد، والصدقة، وأعظم القرآن، وفضل آية الكرسي، وعدد الأنبياء والرسل، وعدد ما أنزل عليهم، وما كان في صحف إبراهيم، وصحف موسىٰ، وغير ذلك.

فأما ما يتعلق بعدد الأنبياء، فلفظه: قلت يا رسول اللَّه بأبي أنت وأمي كم الأنبياء؟ قال: «**مائة ألف وأربعة وعشرن ألفًا**» قلت: كم الرسل من

---

(١) أخرجه: أبو يعلىٰ (٤١٣٢).

(٢) أخرجه: أبو يعلىٰ (٤٠٩٢).

(٣) أخرجه: الطبراني في «الأوسط» (٧٧٤).

وراجع: «مجمع الزوائد» (٨/ ٢١٠-٢١١).

(٤) أخرجه: أبو نعيم في «الحلية» (٣/ ١٦٢).

ذلك؟ قال: «**ثلاثمائة وثلاثة عشر، جم غفير**». قلت: فمن كان أولهم؟ قال: «**آدم**» قلت: آدم نبي مرسل؟ قال: «**نعم خلقه اللَّه بيده، ونفخ فيه من روحه ثم سواه قبلًا، يا أبا ذر أربعة سريانيون: آدم، وشيث، وأخنوخ - وهو إدريس، وهو أول من خط بالقلم - ونوح**»، **وأربعة من العرب: هود وصالح، وشعيب، ونبيكم** - يعني نفسه -، **وإبراهيم من كوثىٰ ربا، وسائرهم من بني إسرائيل، فأول الأنبياء آدم، وآخرهم أنا، وأول أنبياء بني إسرائيل موسىٰ، وآخرهم عيسىٰ**[(١)]. أخرجه ابن حبان في «صحيحه»، والخلعي في «فوائده»، والآجري في «أربعينه»، وأبو نعيم في «الحلية»، والطبراني في «الكبير»، كلهم من حديث أبي إدريس الخلولاني عن أبي ذر.

ونحوه عند أحمد[(٢)]، وابن أبي شيبة في «مسنديهما» من حديث عبيد ابن الخشخاش عن أبي ذر، ولم يعد الأنبياء، وقال في الرسل: «**ثلاثمائة وبضعة عشر جمًّا غفيرًا**»، وقال مرة: «**خمسة عشر**».

وأخرجه أحمد أيضًا[(٣)]، وإسحاق بن راهويه في «مسنديهما» عن أبي أمامة أن أبا ذر سئل فذكر عدد الأنبياء والرسل، وجزم بثلاثمائة وخمسة عشر. وكذا هو عند إسحاق، عن عوف بن مالك، عن أبي ذر قال: «**ثلاثمائة وخمسة عشر**». واللَّه أعلم.

* * *

(١) أخرجه: ابن حبان (٣٦١)، والطبراني في «الكبير» (١٦٥١، ٧٨٧١)، وأبو نعيم في «الحليلة» (١/ ١٦٦-١٦٨).

(٢) «المسند» (٥/ ١٧٨-١٧٩).

(٣) «المسند» (٥/ ٢٦٥-٢٦٦).

حديث : «كذب النسابون»

● ومن «سؤالات ابن أيبك لابن سيد الناس»[١] :

ما يقول سيدنا الشيخ الإمام العالم الأوحد في حديث ابن عباس مرفوع ، قال - بعد عدنان - : «كذب النسابون» ، من أخرجه من الأئمة؟

فأجاب :

وحديث ابن عباس : «**كذب النسابون**» :

قرأت على الإمام أبي محمد عبد المحسن بن الإمام، محيي الدين محمد بن أحمد بن هبة اللّٰه بن أبي جرادة العقيلي، أخبركم الحافظ أبو الحجاج يوسف بن خليل قراءة عليه وأنت تسمع بحلب، أنا أبو محمد عبد اللّٰه بن دهبل بن علي بن كاره (ح).

وأنبأنا أبو الفرج عبد اللطيف بن عبد المنعم، عن ابن كاره، إن لم يكن سماعًا فإجازة، قال: أنا أبو بكر محمد بن عبد الباقي الأنصاري، أنا أبو محمد الحسن بن علي بن محمد الجوهري، ثنا أبو عمر محمد بن العباس ابن حيويه. أنا أبو الحسن أحمد بن معروف بن بشر بن موسىٰ الخشاب، ثنا أبو محمد الحارث بن محمد بن أبي أسامة التميمي، ثنا أبو عبد اللّٰه محمد بن سعد في كتاب «الطبقات الكبير»[٢] له.

(١) «فتاوىٰ ابن سيد الناس» (٩٩-١٠١).
(٢) أخرجه: ابن سعد (١/ ٥٦).

قال: أنا هشام - يعني ابن الكلبي - قال: أخبرني أبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس، أن النبي ﷺ كان إذا انتسب لم يجاوز في نسبه معد بن عدنان بن أدد، ثم يمسك ويقول: «**كذب النسابون**، قال اللَّه تعالىٰ: ﴿وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٨]». وقال ابن عباس: لو شاء رسول اللَّه ﷺ أن يعلمه لعلمه.

وبه، إلىٰ ابن سعد قال:

أنا عبيد اللَّه بن موسىٰ العبسي قال: أنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن عمرو بن ميمون، عن عبد اللَّه أنه كان يقرأ: ﴿وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ﴾ [إبراهيم: ٩]، وكذب النسابون».

وبه إلىٰ ابن سعد قال:

أنا هشام بن محمد عن أبيه قال: بين معد وإسماعيل ﷺ نيف وثلاثون أبًا، وكان لا يسميهم ولا ينفذهم، ولعله ترك ذلك حيث سمع حديث أبي صالح عن ابن عباس عن النبي ﷺ أنه كان إذا بلغ معد بن عدنان أمسك.

وذكر أبو عمر: قال خليفة بن خياط عن ابن الكلبي، عن أبيه، عن أبي صالح؛ عن ابن عباس: قال: بين معد بن عدنان إلىٰ إسماعيل ثلاثون أبًا.

قال ابن عبد البر: وليس هذا الإسناد ما يقطع بصحته، ولكنه عمن علم الأنساب صنعته.

قال أبو عمر: وقال أبو الأسود محمد بن عبد الرحمن، عن عروة بن الزبير قال: قال عمر بن الخطاب: إنما ننتسب إلىٰ معد. وما بعد معد لا ندري ما هو.

* * *

الأنبياء دينهم واحد

● ومن «بدائع الفوائد» لابن القيم[١]:

فائدة

قول النبي ﷺ: «**الأنبياء أولاد علات**»، وفي لفظ: «**أخوة من علات أمهاتهم شتىٰ ودينهم واحد**»[٢]، قال الجوهري: بنو العلات هم أولاد الرجل من نسوة شتىٰ، سميت بذلك؛ لأن الذي تزوجها عل أولىٰ كانت قبلها، ثم عل من الثانية العلل الشرب الثاني، يقال له: علل بعد نهل، وعله يعله إذا سقاه السقية الثانية، وقال غيره: سُموا بذلك؛ لأنهم أولاد ضرائر، والعلات الضرائر، وهذا الثاني أظهر.

وأما وجه التسمية؛ فقال جماعة منهم القاضي عياض وغيره: معناه أن الأنبياء مختلفون في أزمانهم وبعضهم بعيد الوقت من بعض فهم أولاد علات، إذ لم يجمعهم زمان واحد كما لم يجمع أولاد العلات بطن واحد، وعيسىٰ لما كان قريب الزمان من النبي ﷺ ولم يكن بينهما نبي كانا كأنهما في زمان واحد، فقال ﷺ: «**أنا أولىٰ الناس بعيسىٰ بن مريم** عَلَيْهِ السَّلَامُ» قالوا: يا رسول اللَّه؟ فقال: «**الأنبياء أخوة من علات**» الحديث.

---

(١) «بدائع الفوائد» (٣/ ٢٠١-٢٠٢).
(٢) أخرجه: البخاري (٤/ ٢٠٣)، ومسلم (٧/ ٩٦).

وفيه وجه آخر أحسن من هذا، وهو أن النبي ﷺ شبه دين الأنبياء الذي اتفقوا عليه من التوحيد، وهو عبادة اللّه وحده لا شريك له والإيمان به وبملائكته وكتبه ورسله ولقائه، بالأب الواحد لاشتراك جميعهم فيه، وهو الدين الذي شرعه اللّه لأنبيائه كلهم فقال تعالىٰ: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ [الشورىٰ: ١٣].

وقال البخاري في «صحيحه»: باب (ما جاء أن دين الأنبياء واحد) وذكر هذا الحديث، وهذا هو دين الإسلام الذي أخبر اللّه أنه دين أنبيائه ورسله من أولهم نوح إلىٰ خاتمهم محمد ﷺ فهو بمنزلة الأب الواحد.

وأما شرائع الأعمال والمأمورات فقد تختلف فهي بمنزلة الأمهات الشتىٰ التي كانت لقاح تلك الأمهات من أب واحد، كما أن مادة تلك الشرائع المختلفة من دين واحد متفق عليه، فهذا أولىٰ المعنيين بالحديث، وليس في تباعد أزمنتهم ما يوجب أن يشبه زمانهم بأمهاتهم، ويجعلون مختلفي الأمهات لذلك.

وكون الأم بمنزلة الشريعة، والأب بمنزلة الدين وأصالة هذا وتذكيره وفرعيته الأم وتأنيثها واتحاد الأب وتعدد الأم ما يدل علىٰ أنه معنىٰ الحديث. واللّه أعلم.

* * *

● ومن «الدرر السنية»[١]:

وسئل: بعضهم عما ذكر في «الهدي»، لما ذكر نسخ القبلة، قال ابن سعد: أنبأنا هاشم بن القاسم، أنبأنا أبو معشر، عن محمد ابن كعب القرظي، قال: ما خالف نبي قط في قبلة قط، ولا إسلام، إلا أن رسول اللّه ﷺ استقبل بيت المقدس حين قدم المدينة، مع قوله: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ [البَقَرَة: ١٤٨].

فأجاب:

الأنبياء - صلوات اللّه وسلامه عليهم أجمعين -، لم يختلفوا في الدين، بل دينهم واحد كما صح عنه ﷺ أنه قال: «**إنا معاشر الأنبياء ديننا واحد، الأنبياء إخوة لعلات**»[٢].

فأما القبلة فلم يكن يخالف بعضهم بعضًا فيها، بل كلهم يميلون إلىٰ قبلة إبراهيم عليه السلام، فأما محمد ﷺ فقد أُمر حين قدم المدينة أن يصلي قبل صخرة بيت المقدس، تأليفًا لقلوب اليهود؛ ليكون أقرب إلىٰ تصديقهم إياه، فصلىٰ ستة عشر أو سبعة عشر شهرًا، والكعبة علىٰ حالها، بالنسبة إلىٰ أنها قبلة أبيه من قبله، واستقباله بيت المقدس للحاجة العارضة لا ينافيها، ولذلك كان ﷺ يحب أن يوجه إلىٰ الكعبة فإنها قبلته وقبلة أبيه إبراهيم.

وأما من خالف من الأنبياء، فحصلت موافقته بالميل إلىٰ قبلة إبراهيم

---

(١) «الدرر السنية» (٤/ ٢٧٣-٢٧٤).

(٢) أخرجه: البخاري (٤/ ٢٠٣)، ومسلم (٧/ ٩٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وتفضيلها، فإنها الأصل في الاستقبال للأفضلية، فموافقته في القلب حاصلة علىٰ كل حال، وفي الجهة في بعض الأحيان، ففي الميل والأفضلية حصل عدم الاختلاف، كما لم يختلفوا في أصل الدين قط.

وهذا - واللَّه أعلم - مراد محمد بن كعب القرظي، فمن ذلك يعلم معنىٰ قوله: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ﴾ [البَقَرَة: ١٤٨] أي: لكل أهل ملة من الملل قبلة، والوجهة اسم للمتوجه إليه: ﴿هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ [البَقَرَة: ١٤٨]، ووليت عنه إذا أدبرب عنه، والمعنىٰ: لكل ملة من الملل جهة يستقبلونها بأمر اللَّه.

* * *

حكم من انتقص الرسول ﷺ

● ومن «مجموع الفتاوىٰ» لابن تيمية[1]:

سئل شيخ الإسلام رضي الله عنه: عن رجلين تكلما في «مسألة التأبير» فقال أحدهما: من نقص الرسول ﷺ، أو تكلم بما يدل علىٰ نقص الرسول كفر؛ لكن تكفير المطلق لا يستلزم تكفير المعين؛ فإن بعض العلماء قد يتكلم في مسألة باجتهاده فيخطئ فيها فلا يكفر؛ وإن كان قد يكفر من قال ذلك القول إذا قامت عليه الحجة المكفرة.

ولو كفرنا كل عالم بمثل ذلك لزمنا أن نكفر فلانًا - وسمي بعض العلماء المشهورين الذين لا يستحقون التكفير وهو الغزالي، فإنه ذكر في بعض كتبه تخطئة الرسول في مسألة تأبير

(١) «فتاوىٰ ابن تيمية» (٣٥/ ٩٩-١٠٤).

النخل - فهل يكون هذا تنقيصا بالرسول بوجه من الوجوه؟ وهل عليه في تنزيه العلماء من الكفر إذا قالوا مثل ذلك تعزير، أم لا؟

وإذا نقل ذلك، وتعذر عليه في الحال نفس الكتاب الذي نقله منه، وهو معروف بالصدق: فهل عليه في ذلك تعزيز أم لا؟ وسواء أصاب في النقل عن العالم أم أخطأ؟ وهل يكون في ذلك تنقيص بالرسول ﷺ، ومن اعتدىٰ علىٰ مثل هذا، أو نسبه إلىٰ تنقيص بالرسول، أو العلماء، وطلب عقوبته علىٰ ذلك: فما يجب عليه؟ أفتونا مأجورين.

فأجاب:

الحمد للّه. ليس في هذا الكلام تنقص بالرسول ﷺ بوجه من الوجوه باتفاق علماء المسلمين، ولا فيه تنقص لعلماء المسلمين؛ بل مضمون هذا الكلام تعظيم الرسول وتوقيره، وأنه لا يتكلم في حقه بكلام فيه نقص؛ بل قد أطلق القائل تكفير من نقص الرسول ﷺ، أو تكلم بما يدل علىٰ نقصه، وهذا مبالغة في تعظيمه؛ ووجوب الاحتراز من الكلام الذي فيه دلالة على نقصه.

ثم هو مع هذا بين أن علماء المسلمين المتكلمين في الدنيا باجتهادهم لا يجوز تكفير أحدهم بمجرد خطإ أخطأه في كلامه، وهذا كلام حسن تجب موافقته عليه؛ فإن تسليط الجهال علىٰ تكفير علماء المسلمين من أعظم المنكرات؛ وإنما أصل هذا من الخوارج، والروافض الذين يكفرون أئمة المسلمين؛ لما يعتقدون أنهم أخطئوا فيه من الدين.

وقد اتفق أهل السنة، والجماعة علىٰ أن علماء المسلمين لا يجوز تكفيرهم بمجرد الخطإ المحض؛ بل كل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول اللَّه ﷺ، وليس كل من يترك بعض كلامه لخطأ أخطأه يكفر ولا يفسق؛ بل ولا يأثم؛ فإن اللَّه تعالىٰ قال في دعاء المؤمنين: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البَقَرَة: ٢٨٦]، وفي «الصحيح» عن النبي ﷺ: «**أن اللَّه تعالىٰ قال قد فعلت**»[(١)].

واتفق علماء المسلمين علىٰ أنه لا يكفر أحد من علماء المسلمين المنازعين في عصمة الأنبياء، والذين قالوا: إنه يجوز عليهم الصغائر والخطأ ولا يقرون علىٰ ذلك، لم يكفر أحدهم منهم باتفاق المسلمين: فإن هؤلاء يقولون: إنهم معصومون من الإقرار علىٰ ذلك.

ولو كفر هؤلاء لزم تكفير كثير من الشافعية، والمالكية، والحنفية، والحنبلية، والأشعرية وأهل الحديث، و التفسير، والصوفية الذين ليسوا كفارًا باتفاق المسلمين؛ بل أئمة هؤلاء يقولون بذلك.

فالذي حكاه عن الشيخ أبي حامد الغزالي قد قال مثله أئمة أصحاب الشافعي، أصحاب الوجوه الذين هم أعظم في مذهب الشافعي من أبي حامد، كما قال الشيخ أبو حامد الإسفراييني، الذي هو إمام المذهب بعد الشافعي، وابن سريج في تعليقه.

وذلك أنا عندنا أن النبي ﷺ يجوز عليه الخطأ كما يجوز علينا؛ ولكن

(١) أخرجه: مسلم (١/ ٨٠)، وأحمد (٢/ ٤١٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

الفرق بيننا أنا نقر علىٰ الخطإ، والنبي ﷺ لا يقر عليه، وإنما يسهو ليسن، ورُوي عنه أنه قال: «**إنما أسهو لأسن لكم**»(١).

وهذه المسألة قد ذكرها في أصول الفقه هذا الشيخ أبو حامد، وأبو الطيب الطبري، والشيخ أبو إسحاق الشيرازي. وكذلك ذكرها بقية طوائف أهل العلم: من أصحاب مالك، والشافعي، وأحمد، وأبي حنيفة.

ومنهم من ادعىٰ إجماع السلف علىٰ هذا القول، كما ذكر ذلك عن أبي سليمان الخطابي ونحوه؛ ومع هذا فقد اتفق المسلمون علىٰ أنه لا يكفر أحد من هؤلا الأئمة؛ ومن كفرهم بذلك استحق العقوبة الغليظة التي تزجره وأمثاله عن تكفير المسلمين؛ وإنما يقال في مثال ذلك: قولهم صواب أو خطأ. فمن وافقهم قال: إن قولهم الصواب. ومن نازعهم قال: إن قولهم خطأ، والصواب قول مخالفهم.

وهذا المسئول عنه كلامه يقتضي أنه لا يوافقهم علىٰ ذلك؛ لكن ينفي التكفير عنهم. ومثل هذا تجب عقوبة من اعتدىٰ عليه، ونسبه إلىٰ تنقيص الرسول ﷺ أو العلماء؛ فإنه مصرح بنقيض هذا وهذا.

وقد ذكر القاضي عياض هذه المسألة، وهو من أبلغ القائلين بالعصمة، قسم الكلام في هذا الباب، إلىٰ أن قال: «الوجه السابع» أنه يذكر ما يجوز علىٰ النبي ﷺ، ويختلف في إقراره عليه، وما يطرأ من الأمور البشرية منه، ويمكن إضافتها إليه. أو يذكر ما امتحن به، وصبر في

(١) هو حديث باطل لا أصل له، كما في «الضعيفة» (١٠١).

ذات اللَّه علىٰ شدته من مقاسات أعدائه وأذاهم له، ومعرفة ابتداء حاله، وسيرته، وما لقيه من بؤس زمنه، ومر عليه من معانات عيشه.

كل ذلك علىٰ طريق الرواية، ومذاكرة العلم، ومعرفة ما صحت به العصمة للأنبياء، وما يجوز عليهم. فقال: هذا فن خارج من هذه الفنون الستة؛ ليس فيه غمض، ولا نقص، ولا إزراء، ولا استخفاف، ولا في ظاهر اللفظ، ولا في مقصد اللافظ؛ لكن يجب أن يكون الكلام مع أهل العلم، وطلبة الدين ممن يفهم مقاصده، ويحققون فوائده؛ ويجنب ذلك ممن عساه لا يفقه، أو يخشىٰ به فتنة.

وقد ذكر القاضي عياض قبل هذا: أن يقول القائل شيئًا من أنواع السب حاكيًا له عن غيره، وآثرًا له عن سواه. قال: فهذا ينظر في صورة حكايته، وقرينة مقالته؛ ويختلف الحكم باختلاف ذلك علىٰ «أربعة وجوه» الوجوب، والندب، والكراهة، والتحريم.

ثم ذكر أنه يحمل من ذلك ما ذكره علىٰ وجه الشهادة ونحوها، مما فيه إقامة الحكم الشرعي علىٰ القائل، أو علىٰ وجه الرذالة والنقص علىٰ قائله؛ بخلاف من ذكره لغير هذين. قال: وليس التفكه بعرض النبي ﷺ، والتمضمض بسوء ذكره لأحد، لا ذاكرًا ولا آثرًا لغير غرض شرعي مباح.

فقد تبين من كلام القاضي عياض أن ما ذكره هذا القائل ليس من هذا الباب؛ فإنه من مسائل الخلاف، وأن ما كان من هذا الباب ليس لأحد أن يذكره لغير غرض شرعي مباح.

وهذا القائل إنما ذكر لدفع التكفير عن مثل الغزالي وأمثاله من علماء

المسلمين، ومن المعلوم أن المنع من تكفير علماء المسلمين الذين تكلموا في هذا الباب؛ بل دفع التكفير عن علماء المسلمين وإن أخطئوا: هو من أحق الأغراض الشرعية؛ حتىٰ لو فرض أن دفع التكفير عن القائل يعتقد أنه ليس بكافر حماية له، ونصرًا لأخيه المسلم، لكان هذا غرضًا شرعيًّا حسنًا، وهو إذا اجتهد في ذلك فأصاب فله أجران، وإن اجتهد فيه فأخطأ فله أجر واحد.

فبكل حال؛ هذا القائل محمود علىٰ ما فعل، مأجور علىٰ ذلك، مثاب عليه إذا كانت له فيه نية حسنة؛ والمنكر لما فعله أحق بالتعزير منه؛ فإن هذا يتقضي قوله القدح في علماء المسلمين من الكفر، ومعلوم أن الأول أحق بالتعزير من الثاني إن وجب التعزير لأحدهما، وإن كان كل منهما مجتهدًا اجتهادًا سائغًا بحيث يقصد طاعة اللَّه ورسوله بحسب استطاعته فلا إثم علىٰ واحد منهما، وسواء أصاب في هذا النقل أو أخطأ فليس في ذلك تنقيص للنبي ﷺ.

وكذلك أحضر النقل أو لم يحضره؛ فإنه ليس في حضوره فائدة؛ إذ ما نقله عن الغزالي قد قال مثله من علماء المسلمين من لا يحصي عددهم إلا اللَّه تعالى؛ وفيهم من هو أجل من الغزالي، وفيهم من هو دونه.

ومن كفر هؤلاء استحق العقوبة باتفاق المسلمين؛ بل أكثر علماء المسلمين، وجمهور السلف يقولون مثل ذلك، حتىٰ المتكلمون، فإن أبا الحسن الأشعري قال: أكثر الأشعرية والمعتزلة يقولون بذلك؛ ذكره في «أصول الفقه»، وذكره صاحبه أبو عمرو بن الحاجب.

والمسألة عندهم من الظنيات؛ كما صرح بذلك الأستاذ أبو المعالي، وأبو الحسن الآمدي، وغيرهما؛ فكيف يكفر علماء المسلمين في مسائل الظنون؟!! أم كيف يكفر جمهور علماء المسلمين، أو جمهور سلف الأئمة وأعيان العلماء بغير حجة أصلا؟!! والله تعالىٰ أعلم.

* * *

● ومن «مجموع الفتاوى» لابن تيمية[1]:

وسئل - رحمه الله تعالىٰ -: عن هؤلاء «القلندرية» الذين يحلقون ذقونهم: ما هم؟ ومن أي الطوائف يحسبون؟ وما قولكم في اعتقادهم أن رسول الله ﷺ أطعم شيخهم قلندر عنبًا، وكلمه بلسان العجم؟

فأجاب:

أما هؤلاء «القلندرية» المحلقي اللحىٰ: فمن أهل الضلالة والجهالة، وأكثرهم كافرون بالله ورسوله، لا يرون وجوب الصلاة والصيام ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله، ولا يدينون دين الحق؛ بل كثير منهم أكفر من اليهود والنصارىٰ، وهم ليسوا من أهل الملة؛ ولا من أهل الذمة. وقد يكون فيهم من هو مسلم؛ لكن مبتدع ضال، أو فاسق فاجر.

ومن قال: إن «قلندر» موجود في زمن النبي ﷺ فقد كذب وافترىٰ؛ بل قد قيل: أصل هذا الصنف أنهم كانوا قومًا من نساك الفرس، يدورون علىٰ ما فيه راحة قلوبهم بعد أداء الفرائض، واجتناب المحرمات. هكذا

---

(١) «فتاوىٰ ابن تيمية» (٣٥/١٦٣-١٦٦).

فسرهم الشيخ أبو حفص السهروردي في «عوارفه»، ثم إنهم بعد ذلك تركوا الواجبات، وفعلوا المحرمات.

بمنزلة «الملامية» الذين كانوا يخفون حسناتهم، ويظهرون ما لا يظن بصاحبه الصلاح من زي الأغنياء، ولبس العمامة فهذا قريب. وصاحبه مأجور علىٰ نيته؛ ثم حدث قوم فدخلوا في أمور مكروهة في الشريعة، ثم زاد الأمر ففعل قوم المحرمات من الفواحش والمنكرات. وترك الفرائض والواجبات.

وزعموا أن ذلك دخول منهم في «الملاميات»، ولقد صدقوا في استحقاقهم اللوم والذم والعقاب من اللَّه في الدنيا والآخرة، وتجب عقوبتهم جميعهم، ومنعهم من هذا الشعار الملعون، كما يجب ذلك في كل معلن ببدعة أو فجور.

وليس ذلك مختصًا بهم؛ بل كل من كان من المتنسكة، والمتفقهة، والمتعبدة، والمتفقرة، والمتزهدة، والمتكلمة، والمتفلسفة، ومن وافقهم من الملوك، والأغنياء، والكتاب، والحساب، والأطباء، وأهل الديوان والعامة. خارجًا عن الهدىٰ، ودين الحق الذي بعث اللَّه به رسوله، لا يقر بجميع ما أخبر اللَّه به علىٰ لسان رسوله؛ ولا يحرم ما حرمه اللَّه ورسوله؛ أو يدين بدين يخالف الدين الذي بعث اللَّه به رسوله باطنًا وظاهرًا.

مثل من يعتقد أن شيخه يرزقه، أو ينصره، أو يهديه، أو يغيثه، أو يعينه، أو كان يعبد شيخه، أو يدعوه ويسجد له، أو كان يفضله علىٰ النبي ﷺ تفضيلا مطلقًا، أو مقيدًا في شيء من الفضل الذي يقرب إلىٰ اللَّه

تعالىٰ، أو كان يرىٰ أنه هو أو شيخه مستغن عن متابعة الرسول ﷺ، فكل هؤلاء كفار إن أظهروا ذلك؛ ومنافقون إن لم يظهروه.

وهؤلاء الأجناس وإن كانوا قد كثروا في هذا الزمان، فلقلة دعاة العلم والإيمان، وفتور آثار الرسالة في أكثر البلدان، وأكثر هؤلاء ليس عندهم من آثار الرسالة، وميراث النبوة ما يعرفون به الهدىٰ، وكثير منهم لم يبلغهم ذلك.

وفي أوقات الفترات، وأمكنة الفترات: يثاب الرجل علىٰ ما معه من الإيمان القليل، ويغفر اللَّه فيه لمن لم تقم الحجة عليه ما لا يغفر به لمن قامت الحجة عليه، كما في الحديث المعروف: «**يأتي علىٰ الناس زمان لا يعرفون فيه صلاة، ولا صيامًا، ولا حجًا، ولا عمرة، إلا الشيخ الكبير والعجوز الكبيرة. ويقولون: أدركنا آباءنا وهم يقولون: لا إله إلا اللَّه**»، فقيل لحذيفة ابن اليمان: ما تغني عنهم لا إله إلا اللَّه؟ فقال: تنجيهم من النار[(١)].

وأصل ذلك أن المقالة التي هي كفر بالكتاب والسنة والإجماع يقال: هي كفر قولًا يطلق، كما دل علىٰ ذلك الدلائل الشرعية؛ فإن «الإيمان» من الأحكام المتلقاة عن اللَّه ورسوله؛ ليس ذلك مما يحكم فيه الناس بظنونهم وأهوائهم.

ولا يجب أن يحكم في كل شخص قال ذلك بأنه كافر حتىٰ يثبت في حقه شروط التكفير، وتنتفي موانعه، مثل من قال: إن الخمر أو الربا حلال؛ لقرب عهده بالإسلام؛ أو لنشوئه في بادية بعيدة، أو سمع كلامًا

---

(١) أخرجه: ابن ماجه (٤٠٤٩)، والحاكم (٤/ ٥٢٠، ٥٨٧).

أنكره، ولم يعتقد أنه من القرآن، ولا أنه من أحاديث رسول اللَّه ﷺ، كما كان بعض السلف ينكر أشياء حتىٰ يثبت عنده أن النبي ﷺ قالها.

وكما كان الصحابة يشكون في أشياء مثل رؤية اللَّه، وغير ذلك حتىٰ يسألوا عن ذلك رسول اللَّه ﷺ، ومثل الذي قال: إذا أنا مت فاسحقوني، وذروني في اليم؛ لعلي أضل عن اللَّه، ونحو ذلك؛ فإن هؤلاء لا يكفرون حتىٰ تقوم عليهم الحجة بالرسالة، كما قال اللَّه تعالىٰ: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ﴾ [النّساء: ١٦٥].

وقد عفىٰ اللَّه لهذه الأمة عن الخطأ والنسيان، وقد أشبعنا الكلام في القواعد التي في هذا الجواب في أماكنها، والفتوىٰ لا تحتمل البسط أكثر من هذا. واللَّه أعلم.

* * *

عصمة الأنبياء

• من «فتاوى النووي»(١):

مسألة: جاء في الحديث: «ما منا إلا من عصىٰ أو هم بمعصية إلا يحيىٰ بن زكريا» هل هذا الحديث صحيح، ومن رواه من أصحاب الكتب، وما اسم راويه الصحابي؟

الجواب:

هذا حديث ضعيف لا يجوز الاحتجاج به، رواه أبو يعلى الموصلي في

(١) «فتاوىٰ النووي» (١٤٧-١٤٨). وانظر «المعيار المعرب» (١٢/ ٣٧٥-٣٧٦).

«مسنده» عن زهير، عن عفان، عن حماد بن سلمة، عن علي بن زيد بن جدعان - بضم الجيم، وإسكان الدال المهملة -، عن يوسف بن مهران، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ قال: «**ما منا من أحد من ولد آدم إلا وقد أخطأ أو هم بخطيئة ليس يحيىٰ بن زكريا**»(١).

ذكره في مسند ابن عباس، وهذا الإسناد ضعيف؛ لأن علي بن زيد بن جدعان فيه ضعف، ويوسف بن مهران مختلف في جرحه، والله أعلم.

* * *

• **ومن «الدرر السنية» أن عبد الله بن الشيخ محمد(٢):**

سئل عن قوله ﷺ: «ما منا إلا من عصىٰ أو هم بمعصية إلا يحيىٰ بن زكريا» والإجماع منعقد علىٰ: أن الأنبياء معصومون من الكبائر والصغائر؛ وإذا قيل: إنهم معصومون، فما بال أولاد يعقوب، ومعلوم بالضرورة أنهم أنبياء؟ وحال آدم حين قال الله تعالىٰ: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ [طه: ١٢١] وكذلك داود مع قوله عليه السلام: «كلنا خطاءون».

فذكر الجواب من وجوه:

الوجه الأول: أن لفظ الحديث المروي في ذلك: «**ما من أحد يلقىٰ الله يوم القيامة إلا وقد أذنب إلا يحيىٰ بن زكريا**» أخرجه عبد الرزاق في «مصنفه»، أنبأنا معمر، عن قتادة في قوله: ﴿وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ [مريم: ١٤]

---

(١) أخرجه: أحمد (١/ ٢٥٤، ٢٩١، ٢٩٥، ٣٠١، ٣٢٠)، وأبو يعلىٰ (٢٥٤٤).

(٢) «الدرر السنية» (١/ ٢٥٣-٢٥٥).

قال: كان ابن المسيب يذكر أن النبي ﷺ قال، فذكره وهذا مرسل لكن أصح المراسيل عند أهل الحديث: مرسل سعيد بن المسيب.

لكن أخرج أحمد في «مسنده»، عن ابن عباس موفوعًا إلىٰ النبي ﷺ: «**ما من أحد من ولد آدم إلا وقد أخطأ أو همَّ بخطيئة، ليس يحيىٰ بن زكريا، وما ينبغي لأحد أن يقول: أنا خير من يونس بن متىٰ**»[1].

الوجه الثاني: أن الذي عليه المحققون من العلماء: ، من الحنابلة، والشافعية، والمالكية، والحنفية: أن الأنبياء معصومون من الكبائر، وأما الصغائر فقد تقع منهم، لكنهم لا يقرون عليها، بل يتوبون منها، ويحصل لهم بالتوبة منها أعظم مما كان قبل ذلك.

وجميع أهل السنة والجماعة: متفقون علىٰ أنهم معصومون في تبليغ الرسالة، ولا يجوز أن يستقر في شيء من الشريعة خطأ باتفاق المسلمين.

قال: شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس رحمه اللَّه تعالىٰ، في كتاب «منهاج السنة النبوية، في نقض كلام الشيعة والقدرية»: واتفق المسلمون علىٰ أن الأنبياء معصومون في تبليغ الرسالة، فكل ما يبلغون عن اللَّه من الأمر والنهي، فهم مطاعون فيه باتفاق المسلمين.

وما أمروا به ونهوا عنه، فهم مطاعون فيه، عند جميع فرق الأمة إلا عند طائفة من الخوارج أن النبي معصوم فيما يبلغه عن اللَّه؛ لا فيما يأمر به وينهىٰ عنه؛ وهؤلاء: ضلال باتفاق أهل السنة والجماعة.

---

(١) أخرجه: أحمد (١/ ٢٥٤، ٢٩١)، وأبو يعلىٰ (٢٥٤٤).

وأكثر الناس، أو كثير منهم، لا يجوزون عليهم الكبائر؛ والجمهور: يجوزون الصغائر، يقولون: إنهم لا يقرون عليها، بل يحصل لهم بالتوبة منها من المنزلة، أعظم مما كان قبل ذلك، انتهىٰ كلامه.

فتبين: بما ذكرنا وهم السائل وخطؤه في نقل الإجماع علىٰ أنهم معصومون من الكبائر والصغائر، ولعله قد غره كلام بعض المتأخرين، الذين يقولون بذلك، أو يقلدون من يقول من أئمة الكلام، الذين لا يحققون مذهب أهل السنة والجماعة، ولا يميزون بين الأقوال الصحيحة، والضعيفة، والباطلة.

كيف والقرآن محشو من الدلائل، علىٰ وقوع الذنوب منهم؟! كقوله تعالىٰ: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ [طه: ١٢١] وقوله عن موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى﴾ [القصص: ١٦].

وقول يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧]، وقول نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [هود: ٤٧]، وقوله عن آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾ الآية [الأعراف: ٢٣].

وقول إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ [الشُّعَرَاء: ٨٢]، وقوله عن داود عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ﴾ [ص: ٢٤]، وقول موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٥١].

وقوله عن نبيه ﷺ: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ الآية [محمد: ١٩]، وقوله: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ الآية [الفتح: ٢].

وكذلك ما ثبت في الأحاديث الصحيحة: أن رسول اللَّه كان يدعو، يقول: «**رب اغفر لي ذنبي كله، دقه، وجله، وأوله، وآخره، و سره، وعلانيته**»(١). وقوله: «**اللَّهم اغفر لي جهلي وإسرافي في أمري، وما أنت أعلم به مني، اللَّهم اغفري لي جدي وهزلي وخطئي وعمدي وكل ذلك عندي**»(٢) وأشباه ذلك كثير، واللَّه أعلم.

* * *

• ومن «الأجوبة المرضية» للسخاوي(٣):

سئلت: عن حديث في «صحيح ابن حبان» ابن حبان عن أبي هريرة قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «لو أن اللَّه يؤاخذني وعيسىٰ بذنوبنا لعذبنا ولا يظلمنا شيئًا» قال: «وأشار بالسبابة والتي تليها». ولا شك في عصمة الأنبياء، فما معنىٰ ذلك؟

فأجبت بما نصه:

أما الحديث: فهو في موضعين من «صحيح ابن حبان» ولفظه في أحدهما: «**لو يؤاخذني اللَّه وابن مريم بما جنت هاتان**» يعني الإبهام والتي تليها «**لعذبنا ثم لم يظلمنا شيئًا**».

ولفظه في الآخر: «**لو أن اللَّه يؤاخذني وعيسىٰ بذنوبنا لعذبنا ولا يظلمنا شيئًا**» قال: وأشار السبابة والتي تليها(٤).

---

(١) أخرجه: مسلم (٢/ ٥٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه: البخاري (٨/ ١٠٥) من حديث أبي موسىٰ رضي الله عنه.

(٣) «الأجوبة المرضية» (٢/ ٤٨٦-٤٨٨).

(٤) «صحيح ابن حبان» (٦٥٧، ٦٥٩).

وأخرجه بنحو اللفظ الأول أبو نعيم في «الحلية»[١] ورجاله ثقات، مخرج لهم في «الصحيحين» وهو وإن كان مداره علىٰ حسين بن علي الجعفي كما جزم به أبو نعيم وقال: إنه غريب، فهو من الأفراد الصحيحة، ولذا صححه ابن حبان، وهو من رواية حسين المذكور، عن فضيل بن عياض، عن هشام بن حسان، :عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة.

قلت: ودعوىٰ أبي نعيم أنه غريب ليست بجيدة، فقد رواه البيهقي[٢]، في أوائل فصل «ما في الأوجاع والأمراض والمصيبات من الكفارات» من «الشعب» من طريق محمد بن سهل بن عسكر، عن الفريابي، عن الثوري، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، ولفظه: قال رسول اللَّه ﷺ: «**لو يؤاخذني اللَّه بما جنت هؤلاء**» يعني يديه «**لأوبقني**» وقال: إنه غريب بهذا الإسناد تفرد به ابن عسكر. انتهىٰ.

وأما عصمته ﷺ، فهو وسائر الأنبياء - صلوات اللَّه وسلامه عليهم - معصومون من الكبائر والصغائر، قبل النبوة وبعدها، وما ورد عنهم من شدة الخوف من اللَّه عز وجل فهو محمول علىٰ أنه خوف إعظام، وتعبد للَّه عز وجل؛ لأنهم قد آمنوا قطعًا.

وكذا ما جاء عنهم من الاستغفار وشبهه فهو أيضًا علىٰ وجه ملازمة الخضوع والعبودية والاعتراف بالتقصير، شكرًا للَّه علىٰ نعمه.

---

(١) «حلية الأولياء» (٨/ ١٣٢).

(٢) «شعب الإيمان» (٩٨١٨).

وأيضًا فلتقتدي بهم الأمم، وتستن بهم فلا يتكل أحد من الأمة وإن عظم علىٰ فعل الطاعات، وإن كان مجتهدًا في إتيانها.

وفي الإشارة إلىٰ الإصبعين إيماء إلىٰ مزيد الاهتمام بالخوف؛ فإنه إذا كان هذا القدر اليسير يقضتي ذلك فكيف بما هو أعلىٰ؟ ويساعد هذا إيراد الحافظ الزكي المنذري له في «الترهيب من ارتكاب الصغائر» وقد روي عنه ﷺ قال: «**أوحىٰ اللَّه عز وجل إلىٰ نبي من الأنبياء: قل لعبادي الصديقين: لا تغترو بي، فإني إن أقم عليهم قسطي وعدلي أعذبهم غير ظالم لهم، وقل لعبادي المذنبين: لا تيئسوا من رحمتي؛ فإنه لا يكبر علي ذنب أغفره لهم**».

وفي (د ق) حديث آخر: «**لو أن اللَّه عذب أهل سماواته وأرضيه لعذبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم كانت رحمته خيرًا لهم**»[(١)].

ولا شك أن جميع العمل لا يوازي نعمة واحة فتبقىٰ سائر نعمته مقتضيه لشكرها، وهو لم يقم بشكرها. فلو عذبه في هذه الحالة لعذبه وهو غير ظالم. وإذا رحمه في هذه الحالة كانت رحمته خيرًا من عمله إلىٰ غير ذلك مما لا نطيل بإيراده. وفي التنزيل: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ [الإسراء: ٥٧]، ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ﴾ [إبراهيم: ١٤].

إذا علم هذا فقد بوب ابن حبان لهذا الحديث في أحد الموضعين: ذكر الخبر الدال علىٰ أن علىٰ المرء الرجوع باللوم علىٰ نفسه فيما قصر في الطاعات، وإن كان سعيه فيها كثيرًا.

---

(١) أخرجه: أبو داود (٤٦٩٩)، وابن ماجه (٧٧)، وأحمد (٥/ ١٨٢، ١٨٩) عن أبي بن كعب رضي الله عنه.

وقال في الموضع الآخر: الإخبار عن ترك الاتكال على الطاعات، وإن كان المرء مجتهدًا في إتيانها.

* * *

هل للأنبياء داية خاصة

● ومن «فتاوى عبد الله الغماري»[1]:

سؤال: الأنبياء هل لهم داية خاصة بولادتهم، أم هي داية العوام؟

الجواب:

إنه لم يرد في ذلك حديث ولا أثر، وليست المسألة بمهمة، وأي معنًى في أن تكون لهم داية خاصة بهم؟ فالصواب أن دايتهم هي داية العوام، ومن ادعى خلاف هذا فعليه الدليل، واللَّه أعلم.

* * *

● ومن «فتاوى اللجنة الدائمة»[2]:

سؤال: بعض الناس يقولون ومنهم الملحدون: إن الأنبياء والرسل يكون في حقهم الخطأ يعني يخطئون كباقي الناس قالوا: إن أول خطأ ارتكبه ابن آدم قابيل هو قتل هابيل، داود عندما جاء إليه الملكان سمع كلام الأول، ولم يسمع قضية الثاني فأفتى، يونس وقصته لما التقمه الحوت، وقصة الرسول

---

(١) فتاوى الغماري (٢٢٠).

(٢) «فتاوى اللجنة» (٣/ ٢٦٣-٢٦٤).

مع زيد بن حارثة قالوا بأنه أخفىٰ في نفسه شيئًا يجب عليه أن يقوله ويظهره قصته مع الصحابة: أنتم أدرىٰ بأمور دنياكم، قالوا: بأنه أخطأ في هذا الجانب، قصته مع الأعمىٰ وهي: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ﴾ [عبس: ١-٢]، فهل الأنبياء والرسل حقًا يخطئون؟ وبماذا نرد علىٰ هؤلاء الآثمين؟

الجواب:

نعم، الأنبياء والرسل قد يخطئون، ولكن اللَّه تعالىٰ لا يقرهم علىٰ خطئهم، بل يبين لهم خطأهم، رحمة بهم وبأممهم، ويعفو عن زلتهم، ويقبل توبتهم؛ فضلا منه ورحمة، واللَّه غفور رحيم. كما يظهر ذلك لمن تبع الآيات القرآنية التي جاءت فيما ذكر من الموضوعات في هذا السؤال.

ولم ينكر اللَّه تعالىٰ علىٰ نبيه محمد ﷺ إخباره أمته بحديث الذباب، وما في جناحيه من الداء والدواء بل أقره فكان صحيحًا.

وأما أبناء آدم فمع أنهما ليسا من الأنبياء لما قتل أحدهما الآخر ظلمًا وعدوانًا، بين اللَّه سوء صنيعه بأخيه، وبين نبينا محمد ﷺ أن «**ما من نفس تقتل ظلمًا إلا كان علىٰ ابن آدم الأول كفل من دمها؛ لأنه أول من سن القتل**»[1].

وباللَّه التوفيق. وصلىٰ اله علىٰ نبينا محمد، وآله وصحبه وسلم.

* * *

(١) أخرجه: البخاري (٤/ ١٦٢) (٩/ ٣، ١٢٧)، ومسلم (٥/ ١٠٦، ١٠٧) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

الأنبياء معصومون فيما يبلغونه

● ومن «فتاوى ابن باز»(١):

سؤال: سمعت من عالم إسلامي يقول: إن الرسول ﷺ يخطئ، فهل هذا صحيح؟ وقد سمعت أيضًا أن الإمام مالك يقول: كل منا راد ومرود عليه إلا صاحب هذا القبر، مع بيان حديث الذباب بعد أن تجرأ علىٰ تكذيبه بعض الناس؟

الجواب:

قد أجمع المسلمون قاطبة علىٰ أن الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام -، ولا سيما خاتمهم محمد ﷺ معصمون من الخطأ فيما يبلغونه عن اللَّه عز وجل من أحكام. كما قال عز وجل: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾ [النجم:١-٥].

فنبينا محمد ﷺ معصوم في كل ما يبلغ عن اللَّه من الشرائع قولًا، وعملًا، وتقريرًا، هذا لا نزاع فيه بين أهل العلم، وقد ذهب جمهور أهل العلم أيضًا إلى أنه معصوم من المعاصي الكبائر دون الصغائر.

وقد تقع منه الصغيرة لكن لا يقر عليها، بل ينبه عليها فيتركها، أما من أمور الدنيا فقد يقع الخطأ ثم ينبه علىٰ ذلك؛ كما وقع من النبي ﷺ لما مر علىٰ جماعة يلقحون النخل فقال: «**ما أظنه يضره لو تركتموه**»، فلما

(١) «فتاوىٰ ابن باز» (٦/ ٢٩٠-٢٩١).

تركوه صار شيصًا، فأخبروه ﷺ فقال - عليه الصلاة والسلام -: «**إنما قلت ذلك ظنًا مني، وأنتم أعلم بأمر دنياكم، أما ما أخبركم به عن اللَّه عز وجل فإني لم أكذب علىٰ اللَّه**»[(١)] رواه مسلم في «الصحيح»، فبين - عليه الصلاة السلام - أن الناس أعلم بأمور دنياهم، كيف يلقحون النخل؟ وكيف يغرسون؟ وكيف يبذرون ويحصدون؟ أما ما يخبر به الأنبياء عن اللَّه سبحانه وتعالىٰ فإنهم معصومون من ذلك.

فقول من قال: إن النبي ﷺ يخطئ، فهذا قول باطل، ولا بد من التفصيل كما ذكرنا، وقول مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما منا إلا راد ومردود عليه إلا صاحب هذا القبر، قول صحيح تلقاه العلماء بالقبول.

ومالك رحمه اللَّه من أفضل علماء المسلمين، وهو إمام دار الهجرة في زمانه في القرن الثاني، وكلامه هذا كلام صحيح تلقاه العلماء بالقبول، فكل واحد من أفراد العلماء يرد ويرد عليه، أما الرسول ﷺ فهو لا يقول إلا الحق، فليس يرد عليه، بل كلامه كله حق فيما يبلغ عن اللَّه تعالىٰ، وفيما يخبر به جازمًا به أو يأمر به أو يدعو إليه.

أما حديث الذباب فهو حديث صحيح رواه البخاري في «صحيحه»، وقد أخبر به النبي ﷺ جازمًا به، فقال - عليه الصلاة والسلام -: «**إذا وقع الذباب في شراب أحدكم فليغمسه ثم لينزعه فإن في أحد جناحيه داء وفي الآخر شفاء**»[(١)] وله شواهد من حديث أبي سعيد الخدري، وحديث أنس بن مالك، وكلها صحيحة.

---

(١) أخرجه: البخاري (٤/١٥٨) (٧/١٨١)، وأحمد (٢/٣٩٨، ٤٤٣) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وقد تلقتها الأمة بالقبول ومن طعن فيها فهو غالط وجاهل لا يجوز أن يعول عليه في ذلك، ومن قال إنه من أمور الدنيا وتعلق بحديث «**أنتم أعلم بشؤون دنياكم**» فقد غلط؛ لأن الرسول ﷺ جزم بهذا، ورتب عليه حكمًا شرعيًا، ولا قال أظن، بل جزم وأمر، وهذا فيه تشريع من الرسول ﷺ؛ لأنه قال: «**إذا وقع الذباب في شراب أحدكم فليغمسه ثم لينزعه**»، فهذا أمر من الرسول ﷺ وتشريع للأمة، وهو لا ينطق عن الهوىٰ إن هو إلا وحي يوحىٰ. واللَّه ولي التوفيق.

* * *

● **ومن «أجوبة بن حجر العسقلاني»**(١):

سؤال: وقد روىٰ يعقوب الفسوي في مشيخته حديثًا عن زيد ابن أسلم(٢) **مرفوعًا: «ما بعث اللَّه نبيًا إلا عاش نصف ما عاش الذي قبله». فما تفسير هذا الحديث؟ وهل هو صحيح أم لا؟**

الجواب:

وأما حديث زيد بن أرقم(٣): فتفسيره في حديث عائشة الذي أذكره.

وأما حال سنده، فهو حسن؛ لاعتضاده، لكن يعكر علىٰ ذلك ما ورد في عمر عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

---

(١) «أجوبة ابن حجر» (٧٦-٨٠).

(٢) انظر ما سيأتي.

(٣) تقدم في السؤال أنه من حديث «زيد بن أسلم»، والصواب ما في الجواب «زيد بن أرقم»، وقد أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٥/ ٦٨) من حديثه. واللَّه أعلم.

وقد أخرج الطبراني في «المعجم الكبير» بسنده رجاله ثقات إلىٰ محمد ابن عبد اللَّه بن عمر بن عثمان بن عفان وهو المعروف بالديباج، عن أمه فاطمة بنت الحسين بن علي: أن عائشة كانت تقول: إن رسول اللَّه ﷺ قال في مرضه الذي قبض فيه لفاطمة: إن جبريل كان يعارضه بالقرآن في كل عام مرة، **وإنه عارضني بالقرآن العام مرتين**. وأخبرني أنه أخبره: «أنه لم يكن نبي إلا عاش نصف عمر الذي كان قبله». وأخبرني أن عيسىٰ بن مريم عاش عشرين ومائة سنة، **ولا أراني إلا ذاهبًا علىٰ رأس الستين**، فبكت...» الحديث[1].

* * *

● ومن «الأجوبة المرضية» للسخاوي[2]:

الحمد لله. سئلت: عن حديث «إنه لم يكن نبي إلا عاش نصف عمر الذي قبله».

فقلت:

هذا الحديث اختلف فيه علىٰ راويه سعيد بن أبي مريم، أحد الأثبات، فأخرجه البزار في «مسنده»، عن عمر بن الخطاب السجستاني، عنه، فقال: عن ابن لهيعة، عن جعفر بن ربيعة، عن عبد اللَّه بن عبد اللَّه بن الأسود، عن عروة، عن عائشة رضي الله عنها قال: دخل عليَّ رسول اللَّه ﷺ أنا وفاطمة، فناجىٰ فاطمة بشيء، فلما فرغ بكت، ثم ناجاها الثانية

---

(١) أخرجه: الطبراني في «الكبير» (٢٢/ ١٠٣١)، والقسم الأول منه، أخرجه: البخاري (٤/ ٢٤٧) (٨/ ٧٩)، ومسلم (٧/ ١٤٢، ١٤٣).

(٢) «الأجوبة المرضية» (٢/ ٨٤٧-٨٥٠).

فضحكت، فقلت: ما رأيت ضحكًا أقرب من بكاء من هذا، وسألتها، فقالت: ما كنت لأطلعك علىٰ سر رسول اللَّه ﷺ، فلما توفي رسول اللَّه سألتها، فقالت: قال لي: «**ما بعث نبي إلا كان له من العمر نصف عمر الذي قبله، وقد بلغت نصف عمر الذي قبلي**» فبكيت، ثم قال لي: «**أنت سيدة نساء أهل الجنة إلا مريم ابنة عمران**» فضحكت[1].

وأخرجه الطبراني في «معجمه الكبير» عن يحيىٰ بن أيوب العلاف المصري عنه، فقال: عن نافع بن يزيد، عن عمارة بن غزية، عن محمد ابن عبد اللَّه بن عمرو بن عثمان بن عفان، أن أمه فاطمة ابنة حسين حدثته، أن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كانت تقول: إن رسول اللَّه ﷺ في مرضه الذي قبض فيه قال لفاطمة: «**يا بنية أحني علي**» فأحنت عليه، فناجاها ساعة، ثم انكشفت وهي تبكي، وعائشة حاضرة، ثم قال رسول اللَّه ﷺ بعد ذلك بساعة: «**أحني علي يا بنية**» فأحنت عليه، فناجاها ساعة، ثم انكشفت عنه فضحكت، قالت عائشة: فقلت: أي بنية أخبريني ماذا ناجاك به أبوك؟ فقالت فاطمة: حال سر، ظننت أني أخبر بسره وهو حي، فشق ذلك علىٰ عائشة أن يكون سرًا دونها، فلما قبضه اللَّه قالت عائشة لفاطمة: يا بنية ألا تخبريني بذلك الخبر؟ قالت: أما الآن، فنعم. ناجاني في المرة الأولىٰ فأخبرني أن جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ كان يعارضه بالقرآن في كل عام مرة، وأنه عارضه بالقرآن العام مرتين، وأخبرني أنه أخبره: «**أنه لم يكن نبي كان بعده نبي إلا عاش نصف عمر الذي كان قبله، وأنه أخبرني**

(١) أخرجه: البزار (٨٤٦-كشف).

أن عيسىٰ ابن مريم عاش عشرين ومائة سنة، ولا أراني إلا ذاهبًا علىٰ رأس الستين» فأبكاني ذلك، وقال: «**يا بنية إنه ليس من نساء المسلمين امرأة أعظم رزية منك فلا تكوني أدنىٰ من امرأة صبرًا**».

وناجاني في المرة الأخيرة فأخبرني أنني أول أهله لحوقًا به، وقال: «**إنك سيدة نساء أهل الجنة إلا ما كان من البتول مريم ابنة عمران**» فضحكت بذلك[(١)].

وهكذا رواه يعقوب بن سفيان الفسوي في «تاريخه»[(٢)] وابن واره وغيرهما عن ابن أبي مريم. ومن هذا الوجه أخرجه الحاكم في «الإكليل».

ورواية الجماعة أرجح، مع جواز أن يكون عند سعيد بكل من الوجهين، ولكن في الوجه الأول ابن لهيعة، وليس هو بانفراده بحجة، وفي الثاني محمد بن عبد اللّٰه وهو الملقب بالديباج وفيه: مقال. قال فيه البخاري: عنده عجائب، وقال ابن الجارود: لا يكاد يتابع علىٰ حديثه، وقال النسائي: إنه ليس بالقوي، وروي عن النسائي أيضًا أنه وثقه، وكذا وثقه ابن حبان، والعجلي.

وروايته مع ذلك معلولة بأن الصحيح - كما قال الحافظ ابن عساكر في «تاريخ دمشق» - أن عيسىٰ عليه السلام لم يبلغ هذا العمر، قال: وإنما أراد مقامه في أمته، ويؤيده أن سفيان بن عيينة روىٰ عن عمرو بن دينار، عن

---

(١) أخرجه: الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٢/ رقم ١٠٣١).

(٢) راجع: «المعرفة والتاريخ» (٣/ ٢٦٥-٢٦٦).

يحيىٰ بن جعدة، قال: دعا النبي ﷺ فاطمة رضي الله عنها في مرضه فسارها فقال: «**إن اللَّه لم يبعث نبيًا إلا وقد عمر نصف عمر الذي قبله، وإن عيسىٰ لبث في بني إسرائيل أربعين سنة وهذه توفي لي عشرين**».

وهي مع إرسالها مقوية لرواية ابن لهيعة، لا سيما وقد روىٰ الأعمش عن إبراهيم قال: مكث عيسىٰ في قومه أربعين عامًا.

نعم يخدش في هذا قول الحسن البصري: كان عمر عيسىٰ عليه السلام يوم رفع أربعًا وثلاثين سنة.

ونحوه ما رواه عفان، عن حماد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن سعيد ابن المسيب قال: رفع عيسىٰ عليه السلام ابن ثلاث وثلاثين سنة.

بل يروىٰ في بعض طرق الحديث المرفوع في وصف أهل الجنة بأنهم أبناء ثلاث وثلاثين علىٰ ميلاد عيسىٰ، وحسن يوسف - عليهما السلام.

وأما ما ورد من أن بين نبينا محمد ﷺ وعيسىٰ عليه السلام أنبياء، ففيه مقال، وما فيه الصحيح من التصريح بقوله ﷺ: «**أنا أولىٰ الناس بعيسىٰ؛ لأنه لم يكن بيني وبيه نبي**»(١) أصح.

وبالجملة فقد ضعف الحديث من الوجهين شيخ شيوخنا الحافظ الزاهد أبو الحسن الهيثمي(٢) وقال العماد ابن كثير(٣) إنه غريب جدًا.

* * *

(١) أخرجه: البخاري (٤/ ٢٠٣)، ومسلم (٧/ ٩٦)، وأبو داود (٤٦٧٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) راجع: «مجمع الزوائد» (٩/ ٢٣). (٣) راجع: «البداية والنهاية» (٢/ ٩٥).

حياة الأنبياء

• ومن «الفتح الرباني» للشوكاني(١):

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سؤال: عن حديث: «الأنبياء أحياء في قبورهم» وقول المفسرين: إن مريم بنت ناموس دلت على عظام يوسف عليه السلام.

قال رضي الله عنه:

أقول: حديث: «**الأنبياء أحياء في قبورهم**» صححه البيهقي وألف فيه جزءًا، ويؤيد ذلك ما ثبت أن الشهداء أحياء يرزقون في قبورهم، وهو ﷺ رأس الشهداء.

قال الأستاذ أبو منصور البغدادي: قال المتكلمون المحققون من أصحابنا: إن نبينا ﷺ حي بعد وفاته. انتهى.

ويعكر على هذه أمور:

الأول: ما ورد في «الصحيح» في حديث الإسراء أنه ﷺ لقي جماعة من الأنبياء في السماوات.

وثانيًا: ما ورد أن الأنبياء لا يتركون في قبورهم فوق ثلاث، وروي فوق أربعين يومًا إن صح ذلك. والله أعلم.

---

(١) الفتح الرباني (٢/ ٦٦٣-٦٦٨)، (٧/ ٣٣٣٤-٣٣٣٩).

وقد تكلم علىٰ ذلك أهل العلم فأطالوا وأطابوا، فبعضهم ضعف حديث «**الأنبياء أحياء في قبورهم**»[١].

وبعضهم جمع بينه وبين ما عارضه، فإنه لا مانع من رفعهم إلىٰ السماء، ثم عودهم، وبعضهم جزم بأنهم باقون في قبورهم، و في السماء ملائكة علىٰ صورهم.

والحاصل أن المقام من المحارات لا باعتبار القصة المسئول[٢] عنها، فهي لا تنتهض لمعارضة ما ثبت عن الشارع، ولا تستشكل الأحاديث باعتبارها فكثيرًا ما وقع من الأكاذيب في كتب التفسير لا سيما المشتملة علىٰ حكاية القصص المطولة فهي متلقاة من أهل الكتاب المنصوص علىٰ أنهم يحرفون الكلم عن مواضعه ويبدلون القول، بل كثير من الحكايات المدونة في كتب التفسير لا مستند لها إلا ما يعتاده القصاص من تطويل ذيول المقال بالأكاذيب الحرية بالإبطال، فما كان كذلك لا ينبغي أن يلتفت إليه أو يعتقد صحته علىٰ فرض عدم معارضته لشيء مما ورد عن الشارع، فكيف إذا عارض ما ورد وإن كان قاصرًا عن رتبة الصحة؟

والحاصل أن التفسير الذي ينبغي الاعتداد به، والرجوع إليه هو تفسير كتاب اللَّه جل جلاله باللغة العربية حقيقة ومجازًا إن لم يثبت في ذلك حقيقة شرعية، فإن ثبتت فهي مقدمة علىٰ غيرها.

وكذلك إذا ثبت تفسير ذلك من الرسول ﷺ فهو أقدم من كل شيء بل حجة متبعة لا تسوغ مخالفتها لشيء آخر، ثم تفاسير علماء الصحابة

---

(١) أخرجه: أبو يعلىٰ في «مسنده» (٣٤٢٥) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) أخرجها: ابن حبان (٧٢٣)، والحاكم (٢/ ٤٠٤) وراجع «الصحيحة» (٣١٣) للأهمية.

المختصين برسول اللَّه ﷺ، فإنه يبعد كل البعد أن يفسر أحدهم كتاب اللَّه ولم يسمع في ذلك شيئًا عن رسول اللَّه ﷺ. وعلى فرض عدم السماع فهو أحد العرب الذين عرفوا من اللغة دقها وجلها.

وأما تفاسير غيرهم من التابعين، ومن بعدهم فإن كان من طريق الرواية نظرنا في صحتها سواء كان المروي عن الشارع أو أهل اللغة، وإن كان بمحض الرأي فليس ذلك شيء ولا يحل التمسك به ولا جعله حجة، بل الحجة ما قدمناه.

ولا نظن بعالم من علماء الإسلام أن يفسر القرآن برأيه، فإن ذلك مع كونه من الإقدام على ما لا يحل بما لا يحل قد ورد النهي عنه في حديث: «**من فسر القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ، ومن فسر القرآن برأيه، فأخطأ فقد كفر**»(١) أو كما قال، إلا أنا لم نتعبد بمجرد هذا الإحسان للظن على أن نقبل تفسير كل عالم كيف ما كان، بل إذا لم نجده مستندًا إلى الشارع ولا إلى أهل اللغة لم يحل لنا العمل به مع التمسك بحمل صاحبه على السلامة.

ونظير ذلك اختلاف العلماء في سائر المسائل العلمية، فلو كان إحسان الظن مسوغًا للعمل بما ورد عن كل واحد منهم لوجب علينا قبول الأقوال المتناقضة في تفسير آية واحدة، أو في مسألة علمية واللازم باطل فالملزوم مثله.

---

(١) أخرجه: أبو داود (٣٦٥٢)، والترمذي (٢٩٥٢)، والنسائي في «فضائل القرآن» (١١١) من حديث جندب رضي الله عنه، ولفظه: «**من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ**».

وكثيرًا ما نسمع من أسراء التقليد الذين يعرفون الحق بالرجال لا بالإستدلال إذا قال لهم القائل: الحق في هذه المسألة كذا أو الراجح قول فلان. قالوا: لست أعلم من فلان يعنون القائل من العلماء بخلاف الراجح في تلك المسألة.

فنقول لهم: نعم لست أعلم من فلان، ولكن هل يجب عليَّ اتباعه، والأخذ بقوله.

فيقولون: لا ولكن الحق لا يفوته.

فتقول لهم: لا يفوته وحده بخصوصية فيه أم لا يفوته هو ومن يشابهه من العلماء ممن بلغ إلىٰ الرتبة التي بلغ إليها في العلم؟

فيقول: نعم لا يفوته هو وأشباهه ممن هو كذلك.

فيقال لهم: له من الأشباه والأنظار في علماء السلف والخلف آلاف مؤلفة، بل فيهما أعداد متعددة يفضلونه ولهم في المسألة الواحدة الأقوال المتقابلة فربما كانت العين الواحدة عند بعضهم حلالًا، وعند الآخر حرامًا، فهل تكون العين حلالًا حرامًا لكون كل واحد منهم لا يفوته الحق كما زعمتم؟

فإن قلتم: نعم، فهذا باطل ومن قال بتصويب المجتهدين إنما يجعل قول كل واحد منهم صوابًا لا إصابة، وفرق بين المعنيين.

أو يقول القائل في جواب مقالتهم: فلان أعرف منك بالحق؛ لكونه أعلم إذا كان الأسعد بالحق الأعلم فما أحد إلا وغيره أعلم منه، ففلان الذي يعنون غيره أعلم منه فهو أسعد منه بالحق، فلم يكن الحق حينئذ بيده ولا بيد أتباعه.

وهذه المحاورات إنما يحتاج إليها من ابتلي بمحاورة المقصرين الذين لا يعقلون الحجج، ولا يعرفون أسرار الأدلة، ولا يفهمون الحقائق فيحتاج من ابتلي بهم، وبما يرد عليه من قبلهم إلىٰ هذه المناظرات التي لا يحتاج إلىٰ مثلها من له أدنىٰ تمسك بأذيال العلم.

فإن كل عارف يعرف أن وظيفة المجتهد ليست قبول قول العالم المختص بمرتبة من العلم فوق مرتبته، إنما وظيفته قبول حجته، فإذا لم تبرز الحجة لم يحل للمجتهد الأخذ بذلك القول الخالي عن الحجة في علمه.

وإن كان في الواقع ربما له حجة لم يطلع عليها العالم الآخر إلا أن مجرد هذا التجويز التمسك به في إحسان الظن بالعالم الأول، وحمله علىٰ السلامة لا أنه يجوز التمسك به في أن المقالة حق يجوز التمسك بها كما يجوز التمسك بالدليل فهو لا يقوله إلا من لا حظ له من العلم، ولا نصيب له من العقل. واللَّه سبحانه أعلم.

* * *

قبر هود عليه السلام

● **ومن «فتاوىٰ المنار»[1]:**

سؤال: أفيدوني عن قبر نبي اللَّه هود، هل هو في حضرموت كما يزعم بعض الحضارمة أم لا؟

---

(١) «المنار» (٩/ ٢١٣).

الجواب:

من خصوصيات نبينا - عليه الصلاة والسلام - أن قبره معروف بطريق القطع واليقين، ولا يعرف قبر لنبي آخر، ولا بالظن الراجح، وإنما هي شبهات وأوهام.

وأما السؤال الرابع فهو عن نبي اسمه عياد إلا أن تكون قراءة العبارة قد تعذرت علي، ولا أعرف في الأنبياء من اسمه عياد.

* * *

إبراهيم عليه السلام

● ومن «فتاوى اللجنة الدائمة»[(١)]:

سؤال: أريد أن أستفيد من جنابكم استفادة علمية لأشفي القلب بها، وقد قال الله تبارك وتعالىٰ: ﴿فَسْئَلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٧] **والله سبحانه وتعالىٰ ولي الحق والصواب وإليه المرجع والمآب.**

وذلك أني بعدما درست الفنون، وعلوم الحديث، وعلوم القرآن بحمد الرحمن وقع ورسخ في قلبي أن الذي ألقىٰ في النار سيدنا إبراهيم - عليه، وعلىٰ نبينا الصلاة والتسليم -، ليس هو نمروذ الذي ملك الأرض كلها كما هو بين الخواص والعوام.

(١) فتاوىٰ اللجنة (٣/ ٢٧٩-٢٨١).

والمذكور في التفاسير والتواريخ لعلماء الإسلام، بل ما ألقاه إلا قومه.

وذلك؛ لأن القرآن العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه حينما وأيما ذكر هذه القصة يصرح تصريحًا بأن الواقعة هذه، قد وقعت مع قومه وأبيه؛ لأنهم كانوا يعبدون الأصنام، وهو - صلىٰ اللَّه عليه، وعلىٰ نبينا محمد - يمنعهم إلىٰ أن جعل الأصنام جذاذًا، وجوز القوم هذا الجزاء بإزاء ما فعل حيث قال جل شأنه: ﴿قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَـٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ﴾ [الصَّافات: ٩٧] وغيرها.

فالمباشرون لإجراء هذا الجزاء والمجوزون بعد المشاورة له ليس إلا قومه، فالسياق والسباق، وإرجاع هذه الضمائر إلىٰ القوم لا يصرح تصريحًا لا يقبل التأويل، إلا بأن الواقعة هذه، قد وقعت مع قومه لا مع نمروذ.

نعم الواقعة المبينة في قوله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٨] ، القصة تدل علىٰ أنها وقعت مع نمروذ لا مع القوم، مع أن المعلوم من التاريخ أن نمروذ هذا ليس من قوم إبراهيم - عليه الصلاة والتسليم - فإلىٰ جانب سياق القرآن وتصريحه الذي لا يقبل التأويل، وإلىٰ جانب التواريخ، والتفاسير، وضعاف الأحاديث التي لا يساوي السياق القرآني، وتصريحه، فبهذا نشأ القلق والاضطراب، وإني راجعت التفاسير فما وجدت لهذه المعضلة شفاء.

فالمرجو من حضرتكم الجواب الشافي المؤيد بالروايات الصحيحة من الأحاديث النبوية مع الإحاطة، ولا يقبل إلا

الحديث الصحيح، وأقوال علماء المحققين أجري وأجركم علىٰ اللَّه.

الجواب:

إن اللَّه تعالىٰ ذكر في سورة البقرة قصة الذي حاج إبراهيم في ربه، وختمها بانتصار إبراهيم عليه، ودحضه شبهته، فقال: ﴿فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٨] ، ولم يشر سبحانه في القصة إلىٰ أنه تعرض لإبراهيم - عليه الصلاة والسلام - بأذًى أو أنذره بشرٍّ.

وذكر سبحانه في سورة الأنعام والأنبياء والشعراء والعنكبوت دعوة إبرهيم الخليل - عليه الصلاة والسلام - أباه، وقومه إلىٰ التوحيد، وإنكاره عليهم عبادة غير اللَّه، وتحطيمه أصنامهم، وما دار بينه وبينهم من المحاجة، وختمها بإلقائهم إياه في النار، وإنجائه منها، فقال سبحانه: ﴿قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَـٰعِلِينَ ۝٦٨ قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ۝٦٩ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَـٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ۝٧٠ وَنَجَّيْنَـٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ٦٨-٧١].

وهذا بين في أن قومه هم الذين ألقوه في النار، وأن اللَّه تعالىٰ رد كيدهم، وأحبط سعيهم، ونجىٰ خليله إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - مما أرادوه به من الهلاك، فلا إشكال في المسألة ولا إعضال، فالمقصود هو بيان أن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ بلغ البلاغ المبين، وأقام الحجة علىٰ الكافرين.

وأنه ابتلي البلاء العظيم فصبر ابتغاء وجه اللَّه الكريم، فأنجاه اللَّه من

النار، وأبطل كيد الكفار، وقد تم كل ذلك بفضل اللَّه ورحمته، فهون علىٰ نفسك، وأشغل بالك بما هو أهم من ذلك، زادك اللَّه فقهًا في الدين وعناية، ووفقنا وإياك للنافع من العلم وصالح العمل، ونفع بنا وبك المسلمين.

وباللَّه التوفيق، وصلىٰ اللَّه علىٰ نبينا محمد، وآله و صحبه وسلم.

* * *

الذبيح

● ومن «مجموع الفتاوىٰ» لابن تيمية[1]:

سئل الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: عن «الذبيح» من ولد خليل اللَّه إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، هل هو: إسماعيل، أو إسحاق؟

فأجاب:

الحمد للَّه رب العالمين. هذه المسألة فيها مذهبان مشهوران للعلماء، وكل منهما مذكور عن طائفة من السلف، وذكر أبو يعلى في ذلك روايتين عن أحمد، ونصر أنه إسحاق، اتباعًا لأبي بكر عبد العزيز، وأبو بكر اتبع محمد بن جرير. ولهذا يذكر أبو الفرج ابن الجوزي: أن أصحاب أحمد ينصرون أنه إسحاق، وإنما ينصره هذان، ومن اتبعهما، ويحكى ذلك عن مالك نفسه لكن خالفه طائفة من أصحابه.

(١) فتاوىٰ ابن تيمية (٤/ ٣٣١-٣٣٦).

وذكر الشريف أبو علي ابن أبي يوسف، أن الصحيح في مذهب أحمد أنه إسماعيل، وهذا هو الذي رواه عبد اللَّه بن أحمد عن أبيه، قال: مذهب أبي أنه إسماعيل.

وفي الجملة فالنزاع فيها مشهور، لكن الذي يجب القطع به أنه إسماعيل، وهذا الذي عليه الكتاب والسنة والدلائل المشهورة، وهو الذي تدل عليه التوارة التي بأيدي أهل الكتاب.

وأيضًا: فإن فيها أنه قال لإبراهيم: اذبح ابنك وحيدك. وفي ترجمة أخرىٰ: بكرك، وإسماعيل هو الذي كان وحيده وبكره باتفاق المسلمين، وأهل الكتاب، لكن أهل الكتاب حرفوا فزادوا إسحاق، فتلقىٰ ذلك عنهم من تلقاه، وشاع عند بعض المسلمين أنه إسحاق، وأصله من تحريف أهل الكتاب.

ومما يدل علىٰ أنه إسماعيل قصة الذبيح المذكورة في سورة الصافات. قال تعالىٰ: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ﴾ [الصافات: ١٠١]، وقد انطوت البشارة علىٰ ثلاث: علىٰ أن الولد غلام ذكر. وأنه يبلغ الحلم. وأنه يكون حليمًا.

وأي حلم أعظم من حلمه حين عرض عليه أبوه الذبح فقال: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الصّافات: ١٠٢] وقيل: لم ينعت اللَّه الأنبياء بأقل من الحلم، وذلك لعزة وجوده، ولقد نعت إبراهيم به في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٤] ، ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ﴾ [هود: ٧٥] ، لأن الحادثة شهدت بحلمهما: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ

ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الصافات: ١٠٢] إلىٰ قوله: ﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ﴾ [الصافات: ١٠٧-١١٣].

فهذه القصة تدل علىٰ أنه إسماعيل من وجوه:

أحدها: أنه بشره بالذبيح، وذكر قصته أولًا، فلما استوفىٰ ذلك قال: ﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ۚ﴾ [الصافات: ١١٢-١١٣]، فبين أنهما بشارتان: بشارة بالذبيح، وبشارة ثانية بإسحاق، وهذا بين.

الثاني: أنه لم يذكر قصة الذبيح في القرآن إلا في هذا الموضع، وفي سائر المواضع يذكر البشارة بإسحاق خاصة، كما في سورة هود: من قوله تعالىٰ: ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود: ٧١].

فلو كان الذبيح إسحاق لكان خلفًا للوعد في يعقوب. وقال تعالىٰ: ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ [الذاريات: ٢٨-٢٩].

وقال تعالىٰ في سورة الحجر: ﴿قَالُوا۟ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِى عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِىَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا۟ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا

تَكُن مِّنَ ٱلْقَـٰنِطِينَ﴾ [الحجر: ٥٣-٥٥]، ولم يذكر أنه الذبيح، ثم لما ذكر البشارتين جميعًا: البشارة بالذبيح، والبشارة بإسحاق بعده، كان هذا من الأدلة علىٰ أن إسحاق ليس هو الذبيح.

ويؤيد ذلك أنه ذكر هبته وهبة يعقوب لإبراهيم في قوله تعالىٰ: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَـٰلِحِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٢]، وقوله: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَـٰبَ وَءَاتَيْنَـٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ [العنكبوت: ٢٧]: ولم يذكر اللَّه الذبيح.

الوجه الثالث: أنه ذكر في الذبيح أنه غلام حليم، ولما ذكر البشارة بإسحاق ذكر البشارة بغلام عليم في غير هذا الموضع، والتخصيص لا بد له من حكمة، وهذا مما يقوي اقتران الوصفين، والحلم هو مناسب للصبر الذي هو خلق الذبيح.

وإسماعيل وصف بالصبر في قوله تعالىٰ: «واذكر إسماعيل واليسع، وذا الكفل، كل من الصابرين»[1]، وهذا أيضًا وجه ثالث، فإنه قال في الذبيح: ﴿يَـٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾.

وقد وصف اللَّه إسماعيل أنه من الصابرين، ووصف اللَّه تعالىٰ

---

(١) كذا ساق شيخ الإسلام الآية، وإنما هي في التلاوة: ﴿وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٥]، وفي آية أخرىٰ: ﴿وَٱذْكُرْ إِسْمَـٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ﴾ [ص: ٤٨]، وليس هي التي يقصدها شيخ الإسلام؛ لأن موضع الشاهد عنده قوله سبحانه: ﴿مِّنَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٥].

إسماعيل أيضًا بصدق الوعد في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ﴾ [مريَم: ٥٤] ؛ لأنه وعد أباه من نفسه الصبر علىٰ الذبح فوفىٰ به.

الوجه الرابع: أن البشارة بإسحاق كانت معجزة؛ لأن العجوز عقيم؛ ولهذا قال الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿أَبَشَّرْتُمُونِى عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِىَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾ [الحِجر: ٥٤] وقالت امرأته: ﴿ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا﴾ [هُود: ٧٢]، وقد سبق أن البشارة بإسحاق في حال الكبر، وكانت البشارة مشتركة بين إبراهيم وامرأته.

وأما البشارة بالذبيح: فكانت لإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وامتحن بذبحه دون الأم المبشرة به، وهذا مما يوافق ما نقل عن النبي ﷺ وأصحابه في «الصحيح» وغيره: من أن إسماعيل لما ولدته هاجر غارت سارة، فذهب إبراهيم بإسماعيل وأمه إلىٰ مكة، وهناك أمر بالذبح. وهذا مما يؤيد أن هذا الذبيح دون ذلك.

ومما يدل علىٰ أن الذبيح ليس هو إسحاق أن اللَّه تعالىٰ قال: ﴿فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود: ٧١]، فكيف يأمر بعد ذلك بذبحه؟ والبشارة بيعقوب تقتضي أن إسحاق يعيش، ويولد له يعقوب، ولا خلاف بين الناس أن قصة الذبيح كانت قبل ولادة يعقوب، بل يعقوب إنما ولد بعد موت إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقصة الذبيح كانت في حياة إبراهيم بلا ريب.

ومما يدل علىٰ ذلك: أن قصة الذبيح كانت بمكة، والنبي ﷺ لما فتح مكة كان قرنا الكبش في الكعبة، فقال النبي ﷺ للسادن: «**إني آمرك أن تخمر قرني الكبش، فإنه لا ينبغي أن يكون في القبلة ما يلهي المصلي**».

ولهذا جعلت منًى محلًّا للنسك من عهد إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وهما اللذان بنيا البيت بنص القرآن.

ولم ينقل أحد أن إسحاق ذهب إلىٰ مكة، لا من أهل الكتاب، ولا غيرهم، لكن بعض المؤمنين من أهل الكتاب يزعمون أن قصة الذبح كانت بالشام، فهذا افتراء. فإن هذا لو كان ببعض جبال الشام لعرف ذلك الجبل، وربما جعل منسكًا كما جعل المسجد الذي بناه إبراهيم وما حوله من المشاعر.

وفي المسألة دلائل أخرىٰ علىٰ ما ذكرناه، وأسئلة أوردها طائفة كابن جرير، والقاضي أبي يعلى، و السهيلي، ولكن لا يتسع هذا الموضوع لذكرها والجواب عنها. واللَّه عز وجل أعلم.

والحمد للَّه رب العالمين، وصلىٰ اللَّه علىٰ محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا.

* * *

● **ومن «المعيار المعرب»[(١)]:**

وسئل الشيخ الأستاذ المفتي أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي رضي الله عنه وغفر له عن تفسير الذبيح من هو؟

فأجاب بما نصه:

الحمد للَّه علىٰ آلائه، ونشكره علىٰ نعمائه، ونصلي علىٰ خير خلقه، محمد النبي وعلىٰ أهله.

(١) المعيار العرب (١١/ ٢٠٧-٢١٣).

اختلف العلماء في الذبيح، فقال ابن عمر ومعاوية ابن أبي سفيان، ومحمد بن عبد العزيز، ومجاهد ومحمد بن كعب القرظبي، والحسن البصري، وسعيد بن المسيب، وهو أحد قولي ابن عباس. وروي مثله عن مجاهد أيضًا - رضوان اللَّه عليهم أجمعين(١).

قال أبو محمد لمن قال: إنه إسماعيل حجج ودلائل من القرآن، وكذلك لمن قال: إسحاق فنبدأ بدلائل القرآن أنه إسماعيل، ثم نتبع ذلك دلائل الأخبار.

فمن دلائل القرآن: قوله تعالىٰ: ﴿فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ﴾ [هُود: ٧١] يعني: سارة؛ لأنها أم إسحاق بإجماع ثم قال: ﴿وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾ [هُود: ٧١] وهو ولد الولد، فبشر اللَّه إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ وسارة زوجته بولادة إسحاق، وبشرهما أن إسحاق يعيش حتىٰ يولد له ولد اسمه يعقوب، فكان في ذلك إعلام من اللَّه لإبراهيم أن اللَّه يمد في عمر إسحاق حتىٰ يكون له ولد، وأنه ممن لا يموت صغيرًا، فغير جائز أن يأمره بذبح إسحاق وهو دون البلوغ، وقد كان أعلمه أنه لا يموت حتىٰ يكون له ولد. فكأنه أمره بذبح من قد أعلمه أنه لا يذبح، وهذا غير مستقيم.

وقوله: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ﴾ [الصافات: ١٠٢] يدل علىٰ أنه كان دون البلوغ، ولم يقل أحد من الناس إن إبراهيم «أمر بذبح ولده، وولد قد ولد له ولد، وإنما أمر بذبحه وهو صغير. فإذا دلت الآية علىٰ بقاء إسحاق حتىٰ يكون له ولد، ولم يجز في العقل أن يأمر اللَّه بذبح إسحاق وهو

(١) لم يذكر قولهم، ولعله سقط من الناسخ.

صغير، وقد أعلمه أنه لا يموت دون البلوغ دل علىٰ أن الذبيح ليس هو إسحاق، وإذا لم يكن إسحاق، فهو إسماعيل، إذ لا ثالث.

ومن دلائل القرآن على أنه إسماعيل قوله في «والصافات» بعد ذكر الذبح والفداء: ﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ﴾ [الصافات: ١١٢]. وقد علم بإجماع أن إسماعيل أكبر من إسحاق، فذكر البشارة بإسحاق بعد ما مضى الفداء والذبح يدل على أن الذبيح إسماعيل، إذا كان هو الذي كان قبل البشارة بإسحاق فإنما بشر إبراهيم بإسحاق بعد أن ابتلي بذبح إسماعيل، وتفضل الله عليهما بالفداء. فهو ظاهر النص.

وقد روي عن ابن عباس أنه قال: إن الله جل ذكره لما أمر إبراهيم بالمناسك عرض له الشيطان عند المسعى، فسابقه فسبقه إبراهيم، ثم ذهب به جبريل عليه السلام إلى جمرة العقبة، فعرض له الشيطان، فرمى له سبع حصيات ثم ذهب ثم عرض له عند الجمرة الوسطى، فرماه بسبع حصيات حتى ذهب، ثم تله للجبين، وعلى إسماعيل قميص أبيض. فقال له: يا أبت ليس لي ثوب تكفني فيه غير هذا فاجعله عني تكفني فيه، فالتفت إبراهيم فإذا هو بكبش أبيض أعين أقرن فذبحه. قال ابن عباس: لقد رأيتنا نتبع هذا الضرب من الكباش، يريد في الضحايا، فدل ذلك على أن الذبيح كان بمنى، وأنه إسماعيل؛ لأن إسماعيل هو الذي كان بالحجاز وبها مات وإسحاق إنما كان بالشام وبها مات، صلى الله عليهم.

ومن دلائل القرآن: أن الله جل ذكره ذكر البشارة لسارة وإبراهيم بإسحاق على لسان الملائكة المرسلين إلى إهلاك قوم لوط، وكررها للأفهام في مواضع فقال في هود: ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا

بِإِسْحَٰقَ﴾ [هود: ٧١] وقال في الحجر: ﴿قَالُواْ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾ [الحجر: ٥٣] وقال في «والذاريات»: ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾ [الذاريات: ٢٨] فوصف إسحاق بالعلم في الموضعين، ثم قال في: «والصافات» ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ﴾ [الصافات: ١٠١] فوصف الغلام هاهنا بالحلم. فدل اختلاف الصفتين على اختلاف الموصوفين، ولا اختلاف أن الموصوف بالعلم في «والذاريات» و«الحجر» هو إسحاق، لأنه كان على لسان المرسلين إلى إهلاك قوم لوط، ولأنه قد ذكر امرأة إبراهيم في «والذاريات»، كما ذكرها في «هود». وسارة هي أم إسحاق بلا اختلاف وهي امرأة إبراهيم، فدل اختلاف الصفتين في الغلامين أنهما اثنان، كما دل اتفاق الصفتين في الحجر والذرايات أنهما لواحد وهو إسحاق.

وإذا كان الذي في «الحجر» و«الذاريات» هو إسحاق بلا اختلاف فالذي في «الصافات» إسماعيل هو الذبيح.

ومن دلائل القرآن أيضًا: أن اللّه ذكر في «و الصافات» أن إبراهيم قال: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الصَّافات: ١٠٠] فسأل اللّه في ذلك قال اللّه: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ﴾ [الصافات: ١٠١] فنص على أمره له بذبح الغلام، واعلمنا في «الحجر» أن إبراهيم لما بشر بغلام أنكر ذلك، وقال: ﴿أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾ [الحجر: ٥٤]، فعلم أنه لم يتقدم له فيه رغبة ولا سؤال. هو إسحاق بلا اختلاف.

وكذلك أعلمنا أن امرأته أنكرت ما بشرت به، وصكت وجهها، واعتذرت بالكبر والعقم، كما اعتذر إبراهيم بالكبر، فدل ذلك على أن

إسحاق أتىٰ من غير سؤال منهما، إذ لو كان سؤال ورغبة منهما أو من أحدهما ما أنكر ذلك؛ لأنه موضع شكر لا موضع إنكار، فدل ذلك علىٰ أن الذي أمر بذبحه في «والصافات» هو إسماعيل، أعطاه اللَّه إياه من بعد رغبته وسؤاله فيه، وهو الذي أمر بذبحه في نص الآية.

وإذا كان إسحاق أعطيه من غير سؤال ولا رغبة؛ لأنه ابن سارة وجب أن يكون الذي أعطيه برغبته وسؤاله إسماعيل؛ إذ لا ثالث، والذبيح إسماعيل بهذا النص الظاهر.

ومن دلائل القرآن أن إبراهيم ﷺ بشر بإسحاق في حال الكبر، يدل علىٰ ذلك قوله في «هود» حكاية عن زوجة إبراهيم سارة، إذ قالت: ﴿وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًاۖ﴾ [هود: ٧٢] وقوله في «الحجر»: ﴿أَبَشَّرۡتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلۡكِبَرُ﴾ [الحجر: ٥٤] وقالت سارة: ﴿ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٞ وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًاۖ﴾ [هود: ٧٢] وقد ذكر المفسرون: أنها كانت ابنة تسعين سنة، وقيل: ابنة سبع وتسعين سنة، وكان إبراهيم ﷺ ابن مائة سنة، وبشر في «والصافات» وهو في حال معاندة لوالده وللكفار، وكسر أصنامهم، ومجادلتهم، ولم يذكر ذلك في غير هذا الموضع مع البشرىٰ، فدل اختلاف حالتيه أنهما بشارتان من اللَّه. كانت له إحداهما بإسماعيل في غير حال الكبر، ولم يتقدم له في ذلك رغبة ولا سؤال، ولم يختلف في أن إسماعيل هو الأكبر.

وإذا ثبت أن البشرىٰ التي في «هود» و«الحجر» و«الذاريات» هي بإسحاق، فدلالة كون البشرىٰ في الثلاثة المواضع علىٰ لسان الملائكة

الذين أرسلوا إلىٰ إهلاك قوم لوط، دل علىٰ أن البشرىٰ الثانية بإسماعيل، وهي التي في «الصافات» وبدلالة البشرىٰ بإسحاق بعد الفداء، فدل ذلك علىٰ أن إسماعيل هو الذبيح، لما بينا أنهما بشارتان له، واحدة مكررة في ثلاثة مواضع بإسحاق، وأخرىٰ في موضع بإسماعيل.

ومن دلائل القرآن أن بعض المفسرين قال في قوله تعالىٰ في مدح إسماعيل: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ﴾ [مريم: ٥٤] إن ذلك الصدق هو صبره علىٰ الاضجاع للذبح، وإتمامه لما وعد إياه إذ قال له: ﴿ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الصَّافات: ١٠٢] فصبر حتىٰ اضجع، وصبر عند أخذ السكين للذبح، ولم يرجع عما وعد أباه من الصبر علىٰ الذبح حتىٰ تفضل اللَّه عليهما بالفداء، فلذلك مدحه اللَّه بصدق الوعد، وأثنىٰ عليه.

ومن دلائل الأخبار: أن معاوية بن أبي سفيان، روىٰ أن النبي ﷺ قال: «**أنا ابن الذبيحين**»(١) يعني إسماعيل؛ لأنه من ولد إسماعيل. والذبيح الثاني هو ما ذكر في «المغازي» في قصة جرت لعبد المطلب أبي عبد اللَّه والد النبي ﷺ، وذلك أن عبد المطلب جد النبي ﷺ نذر ذبح ابنه عبد اللَّه والد النبي ﷺ فأراد ذبحه فرأىٰ في المنام أن يذبح مائة ناقة عوضه، ففعل، فكان ذلك فداه، فلذلك قال ﷺ: «**أنا ابن الذبيحين**» يعني: إسماعيل، وعبد اللَّه.

---

(١) راجع: «المستدرك» (٢/ ٦٠٩)، و«كشف الخفاء» (١/ ٢٢٩)، و«الضعيفة» (٣٣١، ١٦٧٧). وقال الألباني: «لا أصل له».

وقيل: بل نذر أنه إذا ولد له عشرة أولاد، وبلغوا النفع، ذبح أحدهم، فلما رزقه اللَّه ذلك ألقىٰ القرعة بينهم، فوقعت علىٰ عبد اللَّه والد النبي ﷺ ففداه بمائة من الإبل بعد شخوصه إلىٰ الكاهن في ذلك. وكان عبد اللَّه أصغر ولده وأحبهم إليه. وهي قصة طويلة مشهورة تركنا ذكرها؛ لأنا لم نقصد إلىٰ ذكر القصص إنما نذكر عيون الحجج.

ومن دلائل الأخبار: ما تواتر به النقل أن قرني الكبش الذي فُدي به الذبيح كانا في البيت، إلىٰ أن بعث اللَّه النبي ﷺ، وإسماعيل هو الذي بنىٰ البيت مع إبراهيم، قال اللَّه عز وجل: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ﴾ [البَقَرَة: ١٢٧] . وهو الذي سكن الحرم، وبه دفن ، فهو الذبيح الذي فدي بالكبش، لكون قرني الكبش في البيت الذي هو بناه، وهو وبنوه عمروه. ومن زعم أن الذبيح إسحاق، يقول: إن الكبش إنما ذبح بالشام. وهذا نقض لما نقل الكافة عن الكافة أن الذبح كان بمنًى، وهو مذبح المسلمين إلىٰ الآن.

ومن دلائل الأخبار: ما أجمع عليه المسلمون أن الذبح الذي كان إنما كان بمنًى، وهو مذبح الناس الآن، ولا خلاف أن إسماعيل هو الذي كان بمكة، وهو الذي عمرها وبنوه، وأن إسحاق إنما كان بالشام وبها قبره ﷺ.

وقد طعن في أكثر ما ذكرنا من الحجج من يقول: إن الذبيح إسحاق، ونحن نذكر ما طعن به ونجاوب عنه.

فمن ذلك: أنهم استشهدوا بما روىٰ أبو هريرة أن النبي ﷺ قال لما

فدي إسحاق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**قال اللَّه له: إن لك دعوة مستجابة قال: نعم فقال إبراهيم لإسحاق: تعجل وادع قبل أن يدخل الشيطان فيها شيئًا، فقال إسحاق: اللَّهم من لقيك من الأولين والآخرين لا يشرك بك شيئًا فاغفر له**».

وروىٰ أبو هريرة عنه ﷺ أنه قال: «**لولا ما سبقني به العبد الصالح لتعجلت دعوتي**» قالوا: من يا رسول اللَّه؟ قال: «**إن اللَّه لما فرج عن إسحاق كرب الذبح قيل له: سل تعطه. قال: أما واللَّه لا تعجلنها قبل نزغات الشيطان، اللَّهم من مات لا يشرك بك شيئًا فاغفر له وأدخله الجنة**»[1].

ثم اعترض فيما تقدم من الأدلة اعتراضات:

من ذلك: أنه قيل: لا يلزم منع اللَّه لإبراهيم بذبح إسحاق مع إعلامه له أنه يعيش حتىٰ يولد له؛ لأنه لا يجوز أن يكون اللَّه أمره بذبحه، وأنساه ما كان أعلمه من بقاء إسحاق حتىٰ يولد له.

والجواب عن هذا: أن الدعوىٰ التي تجوز ولا تجوز، وتمكن ولا تمكن، لا تقدح في النص الذي لا شك فيه. فالنص بإخبار اللَّه أن إسحاق يعيش حتىٰ يولد له ظاهر، فكون اللَّه قد أنساه ما أعلمه به، دعوىٰ يمكن أن تكون، ويمكن أن لا تكون، ولا يجوز دفع الحق بالشك ولا الثابت بالحدس.

(١) أخرجه: الطبراني في «الأوسط» (٦٩٩٤)، وإسناده ضعيف.
وراجع: «مجمع الزوائد» (٣٧٢١٨)، و«الضعيفة» (٣٣٣).

ومن ذلك: أنه قيل: لا حجة في قوله: ﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ﴾ [الصَّافات: ١١٢] ؛ لأن المعنىٰ وبشرناه بنبوة إسحاق، وذلك بعد أن فداه من الذبح فحذف المضاف. مثل: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢]. وقد روي ذلك عن ابن عباس.

والجواب عن هذا: أن القرآن علىٰ ظاهره، وتقديره الحذف من غير ضرورة ولا دليل لا يجوز. والظاهر لا ينتقل عنه إلىٰ تقدير لفظ ليس في النص إلا بدليل أو ضرورة، علىٰ أنه غير جائز في العربية هذا الإضمار؛ لأنك لو قلت: نبشرك بقدوم زيد قادمًا، وبقيام عمرو قائمًا، لم يجز؛ لأن الحال تصير لا فائدة فيها. إذ صدر الكلام قد دل علىٰ المعنىٰ فأغنىٰ عن الحال، فلا فائدة في الحال، فكذلك لو أظهرت هذا المضمر فقلت: وبشرناه بنبوة إسحاق نبيًّا لم يجز في الإظهار. وكان في الإضمار أبعد من الجواز. فحمل الكلام علىٰ ظاهره أولىٰ من حمله علىٰ تقدير محذوف إذا ظهر ذلك المحذوف فسد الكلام.

ومن ذلك: أنه قيل في: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ﴾ [مريم: ٥٤] ، إنما معناه أنه واعد رجلا في حاجة لرجل، فيكون لانتظاره سنة، فأثنىٰ اللَّه عليه بذلك.

والجواب عن هذا التفسير قد قيل، والأول قد قيل، وإذا قاله قائل لم يمتنع الاحتجاج به علىٰ قول ذلك القائل، وإن كان غيره قد خالفه.

ومن ذلك: أنه قيل: قد ذكر أهل التوراة، وأهل الإنجيل أنه إسحاق، وهو المنصوص عندهم في كتبهم.

فالجواب: أن أهل التوراة والإنجيل غير عدول فيما ينقلون؛ لأنهم بدلوا وغيروا، وزادوا ونقصوا، ومن كان هذا حاله لم يقبل منه شيء منهم، ولوجب قبول غيره مما يحكون ويقولون، وقد أخبرنا اللَّه عنهم بأنهم بدلوا وغيروا، فليس بجائز أن يقبل ممن بدل وغير.

وأيضًا، فإنهم يحكون أن الذبح والفداء إنما كانا في الشام. ونقل المسلمون كافة عن كافة، أنه إنما كان بمنًى يدل علىٰ كذبهم، والمسلمون أولىٰ بالتصديق منهم، فإذا كذبوا في هذا كانوا فيما سواه أكذب.

وقد تواتر النقل عنهم أن في التوراة مكتوبًا إن اللَّه قال لإبراهيم: من أجل أنك جدت بواحدك، ولم يختلف إسماعيل هو الأكبر. فهو الواحد المتقدم الذي جاد بذبحه إبراهيم فأضجعه للذبح. ولا يجوز أن يقول له: جدت بواحدك وعنده اثنان، وهذا موجود الآن في التوراة، فدل ذلك علىٰ أن الذبيح إسماعيل؛ لأنه كان واحد إبراهيم قبل أن يولد له إسحاق. ولو كان الذبيح إسحاق، لم يقل له جدت بواحدك؛ لأن معه إسماعيل أتاه قبل إسحاق بلا خلاف.

وقد احتج من قال: إنه إسحاق بقوله تعالىٰ: ﴿كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ﴾ [يوسف: ٦] . فقال: النعمة التي أتمها اللَّه علىٰ إبراهيم هو نجاته من النار، وعلىٰ إسحاق فداؤه عن الذبح.

والجواب عن هذا: أن معنىٰ الآية: إن اللَّه جل ذكره، وعد يعقوب أنه يتنبأ يوسف كما تنبأ إبراهيم وإسحاق، فقال يعقوب ليوسف: ﴿وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ﴾ [يوسف: ٦] أي: بالنبوة: ﴿كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ

إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ﴾ [يوسف: ٦]. أي: يجعلك نبيًّا كما جعل أبويك نبيين، وهذا التأويل أقرب، وأبين من الأول، ولو لم يكن في الاعتقاد أنه إسماعيل إلا أنه تشريف لنبينا ﷺ، وتصديق لما روى معاوية عنه أنه ابن الذبيحين، وموافقة لما ذكرنا من الآية الدالة علىٰ ذلك، ولم يختلف أحد من الموافق والمخالف أن إسماعيل هو ابن هاجر السرية، وأنه بمكة نشأ، وأنه الأكبر، وأن إسحاق هو ابن سارة الحرة، وأنه الأصغر وأنه بالشام كان وبها نشأ، وفي ذلك دليل علىٰ صحة ما انتحلناه. واللَّه ولي التوفيق.

فهذا اختصار ما ظهر لنا من القول في هذه المسألة، واللَّه أعلم بحقيقة ذلك، صلوات اللَّه عليهم أجمعين، وعلىٰ نبينا محمد أفضل الصلاة وأنماها وأعلاها، وعلىٰ أهله مثل ذلك، وسلم تسليمًا كثيرًا. انتهىٰ.

* * *

الحكمة في كون الأنبياء لا يورثون

● ومن «فتاوى المنار»(١):

سؤال: ما الحكمة في كون الأنبياء عليهم السلام لا يورثون؟

الجواب:

الحكمة في ذلك دفع تهمة الكافرين والمرتابين الذين يظنون أن الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - كالملوك والأمراء كانوا يريدون بدعوتهم الثروة، والجاه، والسيادة.

(١) «المنار» (٦/ ٨٥٧).

والحجة علىٰ هؤلاء أن سيرة الأنبياء ترد هذا الزعم وتبطله، فقد كانوا معروفين بالزهد في الدنيا، وعدم المبالاة بزخرفها، والعناية بمجدها.

وقد يقول المنكر: إن المعهود في كثير من الناس أن يضيقوا ويقتروا علىٰ أنفسهم ليوفروا التراث لذرياتهم، وهؤلاء كذلك، فكان من تمام الحجة أن يجعلوا ما يتركون صدقة لأمتهم؛ ليعلم أنه لم يكن لهم حظ في الدنيا لا لأنفسهم في حياتهم، ولا لذرياتهم بعد مماتهم، وإنما كانوا يقصدون بدعوتهم مرضاة اللَّه تعالىٰ بهداية خلقه وإرشادهم إلىٰ ما فيه خيرهم، وسعادتهم في الدنيا والآخرة.

* * *

أول الرسل

- ومن «فتاوى اللجنة الدائمة»[(١)]:

سؤال: الرسل الثلاثمائة والثلاثة عشر، أولهم نوح وآخرهم محمد - عليهم الصلاة والسلام -، أرسل قبل نوح رسول، أم لا؟

الجواب:

نوح أول الرسل إلىٰ أهل الأرض بعد آدم؛ لما ثبت في «الصحيحين» في حديث الشفاعة الطويل: «**أن المؤمنين أتوا نوحًا فقالوا: أنت أول رسول أرسله اللَّه إلىٰ أهل الأرض، فاشفع إلىٰ ربنا**» الحديث[(٢)].

---

(١) «فتاوىٰ اللجنة» (٣/ ٢٧٧).

(٢) أخرجه: البخاري (٤/ ١٦٣، ١٧٢) (٦/ ١٠٥)، ومسلم (١/ ١٢٧) من حديث أبي هريرة رَضِوَاللَّهُعَنْهُ.

وباللَّه التوفيق. وصلىٰ اللَّه علىٰ نبينا محمد، وآله وصحبه وسلم.

* * *

● ومن «فتاوىٰ اللجنة الدائمة»[(١)]:

سؤال: إن هذا أيضًا من المعتقدات أي: من الإيمان أن آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ أول نبي من الأنبياء كما أشار إليه اللَّه تعالىٰ في القرآن الحكيم بقوله: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ﴾ [البَقَرَة: ٣٧]، **أين الدلائل الظاهرة المبينة لرسالة آدم؟**

الجواب:

أول الرسل عَلَيْهِمُ السَّلَامُ إلىٰ أهل الأرض نوح، كما جاء ذلك في حديث الشفاعة المخرج في «الصحيحين».

وأما آدم، فقيل: إنه نبي، وعلىٰ ذلك يكون أول الأنبياء، بدليل الآية التي ذكرت في السؤال، وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدۡ عَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبۡلُ فَنَسِيَ وَلَمۡ نَجِدۡ لَهُۥ عَزۡمٗا﴾ [طه: ١١٥]، وغير ذلك من الآيات التي فيها إيحاء اللَّه إليه، ولا نعلم دليلًا صحيحًا صريحًا يدل علىٰ أنه رسول - عليه الصلاة والسلام.

وباللَّه التوفيق. وصلىٰ اللَّه علىٰ نبينا محمد، وآله وصحبه وسلم.

* * *

(١) «فتاوىٰ اللجنة» (٣/ ٢٧٨).

قبر إسماعيل عليه السلام

• ومن «فتاوىٰ اللجنة الدائمة»[(١)]:

سؤال: يروىٰ في كتب السير بأن إسماعيل عليه السلام دفن في (الحطيم) بمكة المكرمة، إذا كان القبر في (الحطيم) فكيف تجوز الصلاة في ذلك المكان؟

الجواب:

ما قيل من أن إسماعيل - عليه الصلاة والسلام -، مدفون في (الحطيم) غير صحيح، فلا يعول عليه بحال.

وباللَّه التوفيق. وصلىٰ اللَّه علىٰ نبينا محمد، وآله وصحبه وسلم.

* * *

يوسف عليه السلام

• ومن «بدائع الفوائد» لابن القيم[(٢)]:

فائدة

قول النبي ﷺ عن يوسف «**أوتي شطر الحسن**»[(٣)]. قالت طائفة: المراد منه أن يوسف أوتي شطر الحسن الذي أوتيه محمد ﷺ، فالنبي بلغ

(١) فتاوىٰ اللجنة (٣/ ٢٨٣).
(٢) «بدائع الفوائد» (٣/ ٢٠٦).
(٣) أخرجه: مسلم (١/ ١٠٠) من حديث أنس رضي الله عنه.

الغاية في الحسن ويوسف بلغ شطر تلك الغاية، قالوا: ويحقق ذلك ما رواه الترمذي من حديث قتادة عن أنس قال: «ما بعث اللَّه نبيًّا إلا حسن الوجه، حسن الصوت، وكان نبيكم ﷺ أحسنهم وجهًا وأحسنهم صوتًا».

والظاهر أن معناه أن يوسف ﷺ اختص علىٰ الناس بشطر الحسن، واشترك الناس كلهم في شطره، فانفرد عنهم بشطره وحده، وهذا ظاهر اللفظ، فلماذا يعدل عنه؟ واللام في «الحسن» للجنس لا للحسن المعين المعهود المختص بالنبي ﷺ، وما أدري ما الذي حملهم علىٰ العدول عن هذا إلىٰ ما ذكروه؟

وحديث أنس لا ينافي هذا، بل يدل علىٰ أن النبي ﷺ كان أحسن الأنبياء وجهًا وأحسنهم صوتا، ولا يلزم من كونه ﷺ أحسنهم وجهًا أن لا يكون يوسف اختص علىٰ الناس بشطر الحسن، واشتركوا هم في الشطر الآخر. ويكون النبي ﷺ قد شارك يوسف فيما اختص به من الشطر، وزاد عليه بحسن آخر من الشطر الثاني. واللَّه أعلم.

* * *

يونس عليه السلام

• ومن «سؤالات ابن أيبك لابن سيد الناس»(١):

ما يقول سيدنا الشيخ الإمام العالم الأوحد في الجمع بين

(١) فتاوىٰ بن سيد الناس (٩١-٩٩).

قوله ﷺ: «ما ينبغي لعبدٍ أن يقول: أنا خير من يونس بن متىٰ» مع قوله ﷺ: «أنا سيد ولد آدم»؟

الجواب:

وأما: «**ما ينبغي لعبد أن يقول: أنا خير من يونس بن متىٰ**»(١) مع قوله ﷺ: «**أنا سيد ولد آدم**».

فروينا في «صحيح مسلم»: ثنا أبو بكر بن أبي شيبة، ومحمد بن مثنىٰ، وابن بشار قالوا: ثنا محمد بن جعفر، ثنا شعبة، عن سعد بن إبراهيم قال: سمعت حميد بن عبد الرحمن يحدث، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: - يعني اللَّه تبارك وتعالىٰ -: «**لا ينبغي لعبد لي**» وقال ابن المثنىٰ: **لعبدي - أن يقول: أنا خير من يونس بن متىٰ** عليه السلام» - وقال ابن أبي شيبة: محمد بن جعفر عن شعبة. ثم ساقه من طريق ابن عباس عنه ﷺ قال: «**ما ينبغي لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متىٰ** عليه السلام» ونسبه إلىٰ أبيه.

أخبرنا بحديث ابن عباس: الحافظ أبو محمد عبد المؤمن بن خلف، أنا ابن خليل، أنا الكراني، أنا الصيرفي، أنا ابن فادشاه، أنا الطبراني:

أنا محمد بن الحسن - هو ابن كيسان -، ثنا عبد اللَّه بن رجاء، أنا إسرائيل، عن أبي يحيىٰ، عن مجاهد، عن ابن عباس، أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**ما ينبغي لأحد أن يقول: أنا عند اللَّه خير من يونس بن متىٰ**» ونسبه إلىٰ أبيه.

---

(١) أخرجه: مسلم (٧/ ١٠٢-١٠٣).

قال: أبو جعفر الطحاوي، وقد ذكر حديث يونس بن متىٰ بسنده نحوًا مما ذكرناه، فاحتجنا أن نقف علىٰ المعنىٰ الذي من أجله قيل ما قيل في هذا الحديث، فطلبنا ذلك، فوجدنا الكيساني قد حدثنا قال: ثنا عبد الرحمن بن زياد، قال: ثنا شعبة، عن عمرو بن مرة قال: سمعت عبد اللَّه بن سلمة يحدث، عن علي رضي الله عنه، كأنه عن رسول اللَّه ﷺ - فذكر مثله، وزاد: «**قد سبح اللَّه عز وجل في الظلمات**».

الكيساني هو سليمان بن شعيب شيخ له، وعبد الرحمن بن زياد هو الرصاصي، روىٰ عن شعبة، وأثنىٰ عليه الرازيان.

قال: فكان في هذا الحديث المعنىٰ الذي من أجله ما قيل مما رويناه عن رسول اللَّه ﷺ في هذا الباب، واحتمل أن يكون ذلك القول كان من النبي ﷺ قبل تفضيل اللَّه عز وجل إياه علىٰ جميع خلقه.

وقد ذكر غيره وجهًا آخر، وهو: أنه ﷺ قال هذا زجرًا عن أن يتخيل أحد من الجاهلين شيئًا من حط مرتبة يونس ﷺ من أجل ما في القرآن العزيز من قصته، قال العلماء: وما جرىٰ ليونس ﷺ لم يحطه من النبوة مثقال ذرة.

وقوله ﷺ: «**ما ينبغي لعبد أن يقول: أنا خير من يونس بن متىٰ**»(١) فالضمير في: «**أنا**» قيل: يعود إلىٰ النبي ﷺ، وقيل: يعود إلىٰ القائل، أي: لا يقول ذلك بعض الجاهلين من المجتهدين في عبادة، أو علم، أو غير ذلك من الفضائل؛ قاله النووي.

(١) أخرجه: الطبراني (١١/ ٧٠) رقم (١١١٢٢).

قال: ويؤيد هذا التأويل رواية من روىٰ: «**لا ينبغي لعبد لي**».

قال أبو الفتح: قد اختلفت ألفاظ الحديث في: «**لعبدي**» أو «**لعبد لي**» أو «**لعبد**»، وكلها سواء في إفادة العموم مضافة كانت أو غير مضافة؛ لأن اسم الجنس إذا أضيف يعم.

وأما الثاني: فلأن النكرة في سياق النهي تعم أيضًا.

وأما التردد في عود الضمير علىٰ من هو، وهل أراد القائل النبي ﷺ، فيقتضي علىٰ هذا دخول غيره في المراد علىٰ نفي التفضيل؛ فإن التفضيل إذا انتفىٰ عن النبي ﷺ، ولا أحد أفضل منه، انتفىٰ عن غيره من باب أولىٰ.

ويكون من باب تواضعه - عليه الصلاة والسلام -، أو من كراهة التخيير بين الأنبياء، وعلى كلا التقديرين هو محمول علىٰ أن هذا القول كان منه قبل أن يوحىٰ إليه أنه سيد ولد آدم كما سنذكره.

وأما أن يكون القائل عَنَىٰ نفسه لفضل علم، أو مزيد اجتهاد في العبادة، فهذا جهل ممن قاله، إذ ليس بعد الأنبياء من يخير عليهم.

وأما من نحا منحا الكرامية، ومن سلك مسلكهم من مجيزي المعاصي علىٰ الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - عمدًا، فمذهب مردود في النقل والذكر جملةً وتفصيلًا كبائر المعاصي وصغائرها، إن شاء اللَّه تعالىٰ.

ومما ذكر هؤلاء محتجين لما نزعوا: ما كان من أمر يونس ﷺ، وقول اللَّه تعالىٰ عنه: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَـٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْـهِ فَنَـادَىٰ فِى

ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧]. وقوله تعالىٰ: ﴿فَلَوۡلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُسَبِّحِينَ ١٤٣ لَلَبِثَ فِي بَطۡنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ﴾ [الصافات: ١٤٣-١٤٤]. وقوله تعالىٰ لنبيه ﷺ: ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ إِذۡ نَادَىٰ وَهُوَ مَكۡظُومٞ ٤٨ لَّوۡلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعۡمَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلۡعَرَآءِ وَهُوَ مَذۡمُومٞ﴾ [القلم: ٤٨-٤٩]. وقوله تعالىٰ: ﴿فَٱلۡتَقَمَهُ ٱلۡحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٞ﴾ [الصَّافات: ١٤٢].

قالوا: ولا ذنب أعظم من المغاضبة للّٰه تعالىٰ، ومن ذنب من ظن أن اللّٰه لا يقدر عليه، وقد أخبر اللّٰه تعالىٰ أنه استحق الذم لولا أن تداركه نعمة من ربه، وأنه استحق الملامة، وأنه أقر علىٰ نفسه أنه كان من الظالمين، ونهىٰ اللّٰه تعالىٰ محمدًا ﷺ أن يكون مثله.

وقد أجاب أهل العلم عما ذكروه فصلًا فصلًا بمعنىٰ ما نذكره بعون اللّٰه تعالىٰ:

أما دعواهم: أن مغاضبة يونس كانت لربه؛ فدعوىٰ بلا برهان، وليس في القرآن أكثر من مغاضبة ما.

وأما من نسبها إلىٰ اللّٰه تعالىٰ، فقول لا دليل عليه، وإنما كانت مغاضبته ﷺ قومه إذ عصوا اللّٰه تعالىٰ وعصوه، فهي غضب للّٰه تعالىٰ، لا عليه.

وأما تفسيرهم: ﴿أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ﴾ [الأنبياء: ٨٧] بما فسروه به، فلا يجوز أن يرتقي إلىٰ درجة النبوة من يشك في قدرة اللّٰه تعالىٰ. وإنما المعنىٰ: أن لن نضيق عليه، نحو قوله تعالىٰ: ﴿فَقَدَرَ عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ﴾ [الفجر: ١٦] أي ضيق، فظن يونس أن اللّٰه تعالىٰ لا يضيق عليه في مغاضبته قومه؛ لظنه أنه محسن في ذلك.

وأما نهيه تعالىٰ محمدًا ﷺ أن يكون كصاحب الحوت؛ فالمراد النهي عن مغاضبة محمد ﷺ قومه، كما فعل يونس - عليه الصلاة والسلام -، وأمره بالصبر علىٰ أذاهم؛ لما علم اللَّه تعالىٰ من مآل أمرهم.

وأما الجواب عن قوله: ﴿سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧]؛ فالمغاضبة والندم عليها، أمران متضادان صادران عن اجتهاد منه، فيؤجر فاعل ذلك منَّا في أحدهما أجرًا، وفي الآخر أجرين، ولا يسمَّىٰ مكتسب الأجر عاصيًا، فظن أنه وضع المغاضبة في غير مغاضبة. و الظلم وضع الشيء في غير موضعه، فلذلك قال: ﴿سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧] والنبي ينسىٰ أو يُنسَّىٰ ليسن.

قال بعض أهل العلم: وكذلك يقع من الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - قصد الشيء يريدون به وجه اللَّه تعالىٰ، والتقرب إليه، فيوافق خلاف اللَّه تعالىٰ[1] إلا أنه تعالىٰ لا يقرهم علىٰ شيء من هذين الأمرين، بل ينبههم عليه إثر وقوعه.

وهذا ينبني علىٰ أنه: هل للنبي الاجتهاد في الحكم أو لا؟ والمشهور أن له ذلك، إلا أنه لا ذم علىٰ ما لم يوافق منه مراد اللَّه تعالىٰ كما هو مقرر في الأصول.

أخبرنا الإمام علم الدين أبو الحسن محمد بن الحسين بن عتيق بن رشيق بقراءة والدي عليه - رحمهما اللَّه تعالىٰ - وأنا أسمع، قال: أنا

(١) لعل الصواب: «خلاف مراد اللَّه تعالىٰ»، وسيأتي قريبًا ما يؤيده.

الإمام أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير سماعًا عليه في سنة تسع وستمائة، أنا الإمام أبو عبد اللّه محمد بن عبد اللّه بن محمد بن عيسىٰ التميمي إجازة، قال: أنا القاضي الإمام أبو الفضل عياض بن موسىٰ بن عياض اليحصبي سماعًا منه قال - في فصل -:

ونحو هذا فرار يونس عليه السلام خشية تكذيب قومه له لما وعدهم به من العذاب، وقول اللّه في يونس: ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ [الأنبياء: ٨] . معناه أن لن نضيق عليه، قال مكي: طمع في رحمة اللّه وأن لا يضيق عليه مسلكه في خروجه، وقيل: حسن ظنه بمولاه أنه لا يقضي عليه العقوبة، وقيل: يقدر عليه ما أصابه، وقد قرئ: «**نُقَدِّر عليه**» بالتشديد. وقيل: نؤاخذه بغضبه وذهابه، وقال ابن زيد: معناه: أفظن أن لن نقدر عليه؟ علىٰ الاستفهام، ولا يليق أن يظن بنبي أن يجهل صفة من صفات ربه .

وكذلك قولك: ﴿إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا﴾ [الأنبياء: ٨٧] الصحيح ذهب مغاضبًا لقومه؛ لكفرهم، وهو قول ابن عباس والضحاك، وغيرهما، لا لربه عز وجل، إذ مغاضبة اللّه معاداة له، ومعاداة اللّه كفر لا يليق بالمؤمنين فكيف بالأنبياء؟

وقيل: مستحييًا من قومه أن يتهموه بالكذب أو يقتلوه كما ورد في الخبر، وقيل: مغاضبًا لبعض الملوك فيما أمره به من التوجه إلىٰ أمر أمره اللّه به علىٰ لسان نبي آخر، فقال له يونس: غيري أقوىٰ عليه مني: فعزم عليه: فخرج لذلك مغاضبًا.

وقد روي عن ابن عباس أن إرسال يونس ونبوته إنما كان بعد أن نبذه

الحوت، واستدل من الآية بقوله: ﴿فَنَبَذْنَهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ [الصافات: ١٤٥-١٤٧] ويستدل أيضًا بقوله: ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾ [القلم: ٤٨]. وذكر القصة ثم قال: ﴿فَٱجْتَبَهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّلِحِينَ﴾ [القلم: ٥٠]. فتكون هذه القصة إذن قبل نبوته.

وقال في فصل آخر رويناه بالسند المذكور إليه:

وقيل: بل لما وعدهم العذاب، ثم عفا اللَّه عنهم، قال: واللَّه لا ألقاهم بوجه كذاب أبدًا، وقيل: بل كانوا يقتلون من كذب فخاف ذلك، وقيل: ضعف عن حمل أعباء الرسالة، وقد تقدم الكلام أنه لم يكذبهم، وهذا كله ليس فيه نص إلا معصية إلا علىٰ قول مرغوب عنه.

وقوله: ﴿أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾ [الصَّافات: ١٤٠] قال المفسرون: تباعد

قال أبو الفتح: فتمسكت هذه الطائفة بآي من القرآن تتعلق بآدم وإبراهيم ويونس وغيرهم من الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - وبشيء مما جاء في حديث الشفاعة، حملوا ذلك علىٰ غير المراد منه، وقد أجاب العلماء عنها، ولولا خشية الإطالة لذكرنا أشياء من ذلك.

وقد نقل عن بعض هؤلاء أنه يجوز أن يكون في البشر من غير الأنبياء من هو أفضل من الأنبياء، ولا اعتبار بأقوال هؤلاء عند السلف، وكل من قال بجواز تفضيل غير النبي من البشر علىٰ النبي فلا التفات إليه.

وقد قال القاضي عياض: وكذلك نقطع بتكفير غلاة الرافضة في

قولهم: إن الأئمة أفضل من الأنبياء. وكذلك كفَّر غيره من قال: إن الوالي قد يكون أفضل من النبي، وفي هذا الحديث رد علىٰ من زعم ذلك، لدلالة النهي عن فساد المنهي عنه.

وأما قوله ﷺ: «**أنا سيد ولد آدم ولا فخر**».

فأخبرنا عبد العزيز بن عبد المنعم بن علي بن نصر الحواني، أنا ضياء ابن أبي القاسم بن الخريف (ح).

وأنا الإمام محمد بن إبراهيم المقدسي، كلاهما وأنا حاضر في الرابعة. قال المقدسي: أنا أبو اليمن زيد بن الحسن بن زيد الكندي قراءة عليه وأنا أسمع.

قالا: أنا القاضي أبو بكر محمد بن عبد الباقي بن محمد الأنصاري، أنا أبو الحسن علي بن إبراهيم بن عيسىٰ الباقلاني، أنا أبو بكر أحمد بن جعفر بن حمدان القطيعي، ثنا عبد اللَّه بن محمد بن عبد العزيز، ثنا منصور بن أبي مزاحم، ثنا محمد بن مسلم أبو سعيد المؤدب، عن زياد النميري، عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال: «**أنا سيد ولد آدم ولا فخر، وأول من تنشق عنه الأرض ولا فخر، وأنا أول من يأخذ بحلقة باب الجنة ولا فخر، ولواء الحمد بيدي ولا فخر**»[١].

محمد بن مسلم بن أبي وضاح: روىٰ له مسلم، ووثقه غير واحد. وزياد النميري: وثقه ابن حبان، وروىٰ له الترمذي وأبو داود.

---

(١) أخرجه: أحمد (٣/ ٢)، والترمذي (٣١٤٨، ٣٦١٥)، وابن ماجه (٤٣٠٨).

قرأت علىٰ أبي عبد اللَّه الصوري، أخبركم ابن ملاعب، أنا ابن البناء، أنا ابن البسرىٰ، أنا محمد بن عبد الرحمن: ثنا عبد اللَّه، ثنا أبو الأحوص محمد ابن حيان البغوي سنة سبع وعشرين، وعبد اللَّه بن عمر، وسريج ابن يونس قالوا: ثنا هشيم، ثنا علىٰ بن زيد، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد قال قال رسول اللَّه ﷺ: «**أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر**».

أخرجه الترمذي في «التفسير» عن ابن أبي عمر، عن سفيان، عن ابن جدعان، عن أبي نضرة به، وقال: هذا حديث حسن. وقد روىٰ بعضهم هذا الحديث عن أبي نضرة، عن ابن عباس، بطوله وأعاده في «المناقب».

ورواه ابن ماجه في «الزهد» من حديث هشيم أخرجه عن مجاهد ابن موسىٰ، وأبي إسحاق إبراهيم بن عبد اللَّه بن حاتم الهروي: كلاهما عنه.

* * *

● **ومن «الأجوبة المرضية» للسخاوي[١]:**

مسألة: وقع في «الشفا» حديث: «**لا تفضلوني علىٰ يونس بن متىٰ**».

وعزاه التيمي للبخاري، وقد راجعت «صحيح البخاري» فوجدته أخرج الحديث في «تفسير الأنعام»[٢]، و«فضائل الأنبياء»[٣]

---

(١) «الأجوبة المرضية» (٢/ ٤٢٩-٤٣١).
(٢) أخرجه: البخاري (٦/ ٧١).
(٣) أخرجه: البخاري (٤/ ١٩٣).

و«التوحيد»[١] جميعًا من حديث شعبة، عن قتادة، عن أبي العالية، عن ابن عباس رفعه بلفظ: «**ما ينبغي لعبد أن يقول: أنا خير من يونس بن متىٰ**»

لكنه في «الفضائل» قال: «**إني**» بالإفراد وفي «التوحيد» قال: «**لا ينبغي**» وكذا هو عند مسلم وأبي داود[٢] من حديث شعبة.

وقد روىٰ حديث ابن عباس غير مجاهد بلفظ: «**لا ينبغي لأحد أن يقول: أنا خير من يونس بن متىٰ**» ويوسف بن مهران بلفظ: «**وما ينبغي لعبد أن قول: أنا خير من يونس بن متىٰ**»[٣].

وأخرجه البخاري أيضًا في «تفسير الصافات»[٤] من طريق جرير، عن الأعمش، عن أبي وائل، عن ابن مسعود رفعه بلفظ: «**ما ينبغني لأحد أن يكون خيرًا من يونس بن متىٰ**».

وفي «تفسير النساء»[٥] من حديث سفيان، عن الأعمش، ولفظه: «**ما ينبغي لأحد أن يقول: أنا خير من يونس بن متىٰ**» وكذا أخرجه في «أحاديث الأنبياء»[٦] من حديث سفيان لكن بلفظ: «**لا يقولن أحدكم: إني خير من يونس بن متىٰ**».

وأخرجه أحمد[٧]، عن وكيع، عن سفيان، والبخاري أيضًا في

---

(١) أخرجه البخاري: (٩/ ١٩٢).

(٢) أخرجه: مسلم (٧/ ١٠٢)، وأبو داود (٤٦٦٩).

(٣) أخرجه: أحمد (١/ ٢٥٤).

(٤) أخرجه: البخاري (٦/ ١٥٥).

(٥) أخرجه: البخاري (٦/ ٦٢).

(٦) أخرجه: البخاري: (٤/ ١٩٣).

(٧) أخرجه: أحمد (٢/ ٤٠٥، ٥٣٩).

«الأنعام» و«أحاديث الأنبياء»[١] من حديث شعبة، عن سعد بن إبراهيم، عن حميد ابن عبد الرحمن، عن أبي هريرة رفعه: «**ما ينبغي لعبد أن يقول: أنا خير من يونس بن متىٰ**».

وأخرجه مسلم أيضًا من حديث شعبة[٢]

ورواه البخاري أيضًا في «فضائل الأنبياء»[٣] من حديث عبد العزيز بن أبي سلمة، عن عبد اللَّه بن الفضل، عن الأعرج، عن أبي هريرة رفعه: «**لا أقول: إن أحدًا أفضل من يونس بن متىٰ**» وكذا هو في مسلم[٤].

وأخرجه البخاري أيضًا في تفسير «النساء» و«الصافات»[٥] معًا من حديث [هلال] بن علي، عن عطاء بن يسار، عن أبي هريرة مرفوعًا: «**من قال: أنا خير من يونس بن متىٰ فقد كذب**».

* * *

• **وقال السبكي في ترجمة «كمال الدين ابن الزملكاني»**[٦]:

وقال في قوله ﷺ: «**لا تفضلوني علىٰ يونس**»: السبب في ذلك أن اللَّه تعالىٰ قال لنبيه ﷺ: ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾ [القَلَم: ٤٨] ومن المقطوع به أنه امتثل هذا الأمر لعصمته من المخالفة، فصار مقطوعًا بأفضليته عليه، أو كالمقطوع به، ومع ذلك نهىٰ عن تفضيله عليه؛ لما يقتضيه تواضعه للَّه وكرم خلائقه، أو غير ذلك مما ذكر.

---

(١) أخرجه: البخاري (٦/ ٧١، ٤/ ١٩٤).
(٢) أخرجه: مسلم (٧/ ١٠٢).
(٣) أخرجه: البخاري (٤/ ١٩٣).
(٤) أخرجه مسلم: (١/ ١٠١).
(٥) أخرجه: البخاري (٦/ ٦٢، ١٥٥).
(٦) طبقات الشافعية (٩/ ٢٠٣).

قلت: فأين اللطيفة في نهيه عن التفضيل؟

حاصل هذا أنه قرر عدم التفضيل مع القطع بوقوعه، ونحن عارفون بذلك، إنما البحث عن الحكمة فيه.

وقوله: لما يقتضيه تواضعه، إلىٰ آخره، هو ما ذكره غيره، فلم يزد علىٰ الناس شيئًا.

* * *

الخضر وإلياس هل هما أحياء؟

• ومن «فتاوىٰ عبد الله الغماري»[1]:

سؤال: هل مات الخضر، وإلياس - عليهما السلام -، أم مازالا في زمرة الأحياء؟ وهل ورد حديث يثبت ذلك؟

الجواب:

في ذلك خلاف بين العلماء.

أما الخضر فذهب البخاري وجماعة من المحدثين إلا أنه مات، وذهب جماعة من العلماء والصوفية إلىٰ أنه لا يزال حيًا، وذكر جماعة من الصوفية أنهم تقابلوا معه وأخذوا عنه، وللعارف الشعراني كتاب «الميزان الخضرية» ذكر فيه أنه تقابل مع الخضر، وسأله عن اختلاف المذاهب الأربعة، وعن سبب هذا الاختلاف، فأفاده الخضر بجواب دونه في ذلك الكتاب، وسماه بالاسم المذكور وهو مطبوع، وصح عن عمر بن عبد العزيز أنه رآه واجتمع به، وبشره بالخلافة.

(١) فتاوىٰ الغماري (ص٣٥).

وأما إلياس عَلَيْهِ السَّلَامُ ففيه خلاف أيضًا، قال سعد التفتازاني في «شرح العقائد النسفية»: (ذهب العظماء من العلماء إلىٰ أن أربعة من الأنبياء في زمرة الأحياء: الخضر وإلياس في الأرض، وعيسىٰ وإدريس في السماء).

وقد وردت أحاديث في حياة الخضر، وإلياس، لكنها لم تصح، بل كلها واهية أو موضوعة.

* * *

• وقال ابن رجب في ترجمة «يحيىٰ بن محمد بن هبيرة»[١]:

وكتاب «الإفصاح» فيه فوائد جليلة غريبة، وقال فيه: الخضر الذي لقيه موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ قيل: كان ملكًا، وقيل: كان بشرًا. وهو الصحيح. ثم قيل: إنه عبد صالح ليس بنبي. وقيل: بل نبي، وهو الصحيح.

والصحيح عندنا: أنه حي، وأنه يجوز أن يقف علىٰ باب أحد مستعطيًا له، وغير ذلك؛ لما حدثني محمد بن يحيىٰ الزبيدي، وذكر عنه حكايات تتضمن رؤية الخضر، والاجتماع به.

* * *

• ومن «فتاوىٰ اللجنة الدائمة»[٢]:

سؤال: هل الخضر نبي أو رجل صالح؟

الجواب:

الصحيح أن الخضر عَلَيْهِ السَّلَامُ نبي؛ لما ذكره اللّٰه تعالىٰ في سورة الكهف

---

(١) ذيل طبقات الحنابلة (١/ ٢٧٧).
(٢) فتاوىٰ اللجنة (٣/ ٢٨٦-٢٨٧).

من قصته مع موسىٰ عليه السلام، فإن فيها أنه خرق سفينة كانت لمساكين يعملون في البحر. وقتل غلامًا لم يرتكب جريمة. وأقام جدارًا ليتيمين بلا أجر في قرية أبىٰ أهلها إطعامهما، وأنكر موسىٰ كل ذلك عليه فبين له السبب أخيرًا، ثم ختمت القصة بأن كل ذلك كان منه بوحي من اللَّه، وذلك فيما أخبر اللَّه عنه من قوله: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٨٢].

وباللَّه التوفيق، وصلىٰ اللَّه علىٰ نبينا محمد، وآله وصحبه وسلم.

* * *

● ومن «الفتاوىٰ الحديثية» للهيتمي(١):

وسئل - نفع الله به - سؤال: ما المعتمد في الخضر، هل هو نبي حي، وكذا إلياس؟

فأجاب بقوله:

المعتمد حياتهما ونبوتهما، وأنهما خصا بذلك في الأرض كما خص إدريس وعيسىٰ - صلىٰ اللَّه عليهما وسلم - ببقائهما حيين في السماء.

* * *

● ومن «فتاوىٰ ابن الصلاح»(٢):

مسألة: هل ورد عن النبي ﷺ في علماء الباطن الذين أقامهم اللَّه تعالىٰ لتربية أرباب الأحوال، والمقامات الشريفة، ويوصلوا

(١) الفتاوىٰ الحديثية للهيتمي (ص١٨٠). (٢) فتاوىٰ ابن الصلاح (ص٥٣-٥٤).

المريد إلىٰ اللَّه سبحانه وتعالىٰ بقوتهم التي أعطاهم اللَّه وبدعوتهم المجابة، كالجنيد وأمثاله من أئمة الطريق المكاشفين، الذين لهم الكشف المصون الموافق للشريعة المطهرة، هل يجب عليهم أن يشهروا أنفسهم بذلك، ويتصدوا بالقعود للخلق، كما يجب علىٰ علماء الشريعة التصدي والقعود للخلق لفوائد المسلمين أجمعين منهم أم لا؟

الخضر عليه السلام هل ورد أنه حي إلىٰ الوقت المعلوم؟ وهل هو نبي، أو ولي أم لا؟

أجاب رضي الله عنه :

لا يجب عليهم ذلك، ولا يحتمل حالهم وحال الخلق ذلك، وفي الشريعة وكفاية فيما يرجع إلىٰ إرشاد الخلق.

وأما الخضر عليه السلام ؛ فهو من الأحياء عند جماهير الخاصة من العلماء والصالحين والعامة معهم في ذلك، وإنما شذ بإنكار ذلك بعض أهل الحديث، وهو - صلى الله عليه وسلم وعلي نبينا، والنبيين وآلهم وسلم - نبي واختلفوا في كونه مرسلًا. واللَّه أعلم.

* * *

الخضر مات قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم

- ومن «فتاوى ابن باز»[1]:

سؤال: في قريتي رجل يدعي أنه قابل الخضر عليه السلام في

(١) «فتاوىٰ ابن باز» (٩/ ٣٨٧-٣٨٨).

المدينة المنورة، وأعطاه تمرًا كما يدعي أنه يعالج المرضىٰ، ولهذا فالناس يتوافدون عليه ليل نهار؛ ليعالجهم عن طريق المسح علىٰ مكان الألم مقابل بعض النقود، هل هذا صحيح أم أنه نوع من الشعوذة، واستغلال السذج والبسطاء؟

الجواب:

أما الخضر فالصحيح أنه مات من دهر طويل قبل مبعث النبي - عليه الصلاة والسلام -، وليس لوجوده حقيقة، بل هذا كله باطل، وليس له وجود، وهذا هو الصحيح الذي عليه المحققون من أهل العلم، فالخضر عليه السلام مات قبل مبعث النبي - عليه الصلاة والسلام - بل قبل مبعث عيسىٰ عليه السلام.

والصحيح أن الخضر نبي كما دل عليه ظاهر القرآن الكريم، وقد قال - عليه الصلاة والسلام - في الحديث الصحيح: «**أنا أولىٰ الناس بابن مريم، والأنبياء أولاد علات، وليس بيني وبينه نبي**»(١) فدل علىٰ أن الخضر قد مات قبل ذلك، ولو فرضنا أنه ليس نبيًّا وأنه رجل صالح لكان اتصل بالنبي ﷺ، ثم لو فرضنا أنه لم يتصل لكان مات علىٰ رأس مائة سنة كما قال - عليه الصلاة والسلام - في آخر حياته: «**أرأيتكم ليلتكم هذه فإن علىٰ رأس مائة سنة منها لا يبقىٰ ممن هو علىٰ ظهر الأرض أحد**»(٢) فدل ذلك علىٰ أن من كان موجودًا في ذلك الوقت لا يبقىٰ بعد مائة سنة بنص النبي - عليه الصلاة والسلام - أنهم يموتون قبل انخرام المائة.

---

(١) أخرجه: البخاري (٤/ ٢٠٣)، ومسلم (٧/ ٩٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) أخرجه: البخاري (١/ ٤٠، ١٥٦)، ومسلم (٧/ ١٨٦) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

فالحاصل أن الخضر قد مات، وليس بموجود، والذي يزعم أنه رآه، إما أنه كاذب، وإما أن الذي قال: إنه الخضر قد كذب عليه، وليس بالخضر، وإنما هو شيطان من شياطين الإنس أو الجن.

أما هذا الذي يعاجل الناس بأن يمسح علىٰ محل المرض، فهذا ينظر في أمره، فإن كان من الناس الطيبين المعروفين بالاستقامة والإيمان، وأنه يقرأ عليهم القرآن، ويدعوا اللَّه لهم، فلا بأس وإن أخذ شيئًا من الأجرة! أما إن كان لا يعرف بالخير، بل يتهم بالسوء فإنه يمنع، ولا يؤتىٰ ويمنع بواسطة المسئولين في البلد؛ لأن مثل هذا في الغالب يكون خرافيًا أو مشعوذًا، أو يستخدم الجن، أو كذابًا يأكل أموات الناس بالباطل. نسأل اللَّه السلامة والعافية.

* * *

● ومن «فتاوىٰ اللجنة الدائمة»[١]:

سؤال: هل الخضر عَلَيْهِ السَّلَامُ ما زال علىٰ قيد الحياة كما يدعون؟

الجواب:

الصحيح من قولي العلماء: ما ذهب إليه الجمهور من أن الخضر عَلَيْهِ السَّلَامُ قد مات؛ لظاهر العموم في قول تعالىٰ: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ﴾ [الأنبياء: ٣٤]، ولما ثبت عن ابن عمر عن النبي ﷺ أنه قال: صلىٰ بنا رسول اللَّه ﷺ ذات ليلة صلاة العشاء في آخر حياته فلما سلم قام

(١) فتاوىٰ اللجنة (٣/ ٢٨٥-٢٨٦).

فقال: «**أرأيتكم ليلتكم هذه فإن علىٰ رأس مائة سنة منها لا يبقىٰ ممن هو علىٰ ظهر الأرض أحدًا**»[(١)]. قال ابن عمر: فوهل الناس في مقالة رسول اللَّه ﷺ تلك فيما يتحدثون من الأحاديث عن مائة سنة، وإنما قال رسول اللَّه ﷺ: «**لا يبقىٰ ممن هو اليوم علىٰ ظهر أرض أحد**» يريد بذلك أن ينخرم ذلك القرن، رواه مسلم.

ثم هذا هو الأصل الغالب في سنة اللَّه في بني آدم، فيجب البقاء معه حتىٰ يثبت ما ينقل عنه من الأدلة، ولم يثبت فيما نعلم ما يدل علىٰ استثناء الخضر عليه السلام.

* * *

● ومن «فتاوى اللجنة الدائمة»[(٢)]:

سؤال: هل الخضر عليه السلام حارس في الأنهار والصحاري، وهل يعين كل من ضل عن الطريق إذا ناداه؟

الجواب:

الصحيح من أقوال العلماء أن الخضر عليه السلام توفي قبل إرسال اللَّه لنبيه محمد ﷺ؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَـٰلِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٤].

وعلىٰ تقدير أنه بقي حيًا حتىٰ لقي نبينا محمدًا ﷺ، فقد دلت السنة علىٰ وفاته بعد وفاة نبينا محمد ﷺ بمدة محدودة، بينها ﷺ بقوله فيما

---

(١) أخرجه: البخاري (١/ ٤٠، ١٥٦)، ومسلم (٧/ ١٨٦، ١٨٧).
(٢) فتاوىٰ اللجنة الدائمة (١/ ١٧٠-١٧١) (٣/ ٢٨٤-٢٨٥).

ثبت عنه: «**أرأيتكم ليلتكم هذه، فإنه علىٰ رأس مائة سنة لا يبقىٰ علىٰ وجه الأرض ممن هو عليها اليوم أحد**»[(١)].

وعلىٰ هذا يكن شأنه شأن الأموات لا يسمع نداء من ناداه، ولا يجيب من دعاه، ولا يهدي من ضل عن الطريق إذا استهداه، وعلىٰ تقدير أنه حي إلىٰ اليوم فهو غائب، شأنه شأن غيره من الغائبين لا يجوز دعاؤه ولا الاستنجاد به في شدة أو رخاء لعموم قوله تعالى: ﴿فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨] وما جاء في معناه من الآيات.

وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

* * *

● ومن «فتاوى اللجنة الدائمة»[(٢)]:

سؤال: يعتقد كثير من عوام المسلمين في كثير من البلاد الإسلامية، وعلماء الطرق الصوفية بأن الخضر صاحب موسىٰ عليه السلام حي يرزق للآن، وأنه يطوف الدنيا كلها، وأنه يتشكل في صور مختلفة، ويعتقدون بأنه لا ظل له، وأن معه النبي (إلياس) عليه السلام.

ويعتقد العوام بأن الخضر إذ زارهم، ودعا لهم أصبحوا أغنياء في أقل من لمح البصر، وإذا غضب عليهم انقلبوا فقراء إذا كانوا أغنياء، ومرضىٰ إذا كانوا أصحاء.

---

(١) أخرجه: البخاري (١/ ٤٠، ١٥٦)، ومسلم (٧/ ١٨٦، ١٨٧) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) فتاوىٰ اللجنة (٣/ ٢٨٧-٢٨٩).

ومن عقيدتهم - عافانا اللَّه منها - أنه يأتي في صورة سائل مرة، وفي صورة مريض ينزل من جسده القيح والصديد، فإن طردوه من منازلهم كان هذا دليلًا علىٰ شقاوتهم وتعاستهم، وإن رحبوا به وعالجوه اختفىٰ بدون أن يترك أي أثر، وكان هذا دليلًا علىٰ سعادتهم.

هل الخضر صاحب موسىٰ عليه السلام حي يرزق للآن؟ وهل هو نبي؟ هل ذكر صراحة في الأحاديث النبوية الصحيحة؟ ما هي حقيقة أمره؟

الجواب:

الخضر نبي من أنبياء اللَّه - عليهم الصلاة والسلام -، والصحيح أنه قد مات كغيره من البشر، فلا يطوف بالدنيا، ولا يتمثل في صورة مختلفة، وليس سببًا اليوم لغنًى أو فقر، وقد سبق أن صدر منا فتوىٰ مفصلة عنه مع الأدلة هذا نصه:

(الصحيح من قولي العلماء: ما ذهب إليه الجمهور من أن الخضر عليه السلام قد مات؛ لظاهر العموم في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَـٰلِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٤].

ولما ثبت عن ابن عمر عن النبي ﷺ أنه قال: صلىٰ بنا رسول اللَّه ﷺ ذات ليلة صلاة العشاء في آخر حياته، فلما سلم قام فقال: «**أرأيتكم ليلتكم هذه؟! فإن علىٰ رأس مائة سنة منها لا يبقىٰ ممن هو علىٰ ظهر الأرض أحد**» قال: ابن عمر: فوهل الناس في مقالة رسول اللَّه ﷺ تلك فيما يتحدثون من الأحاديث عن مائة سنة، وإنما قال رسول اللَّه ﷺ:

«**لا يبقىٰ ممن هو اليوم علىٰ ظهر الأرض أحد**» يريد بذلك أن ينخرم ذلك القرن). رواه مسلم[١].

ثم هذا هو الأصل الغالب في سنة اللّٰه في بني آدم، فيجب البقاء معه حتىٰ يثبت ما ينقل عنه من الأدلة، ولم يثبت فيما نعلم ما يدل علىٰ استثناء الخضر عليه السلام.

وباللّٰه التوفيق. وصلىٰ اللّٰه علىٰ نبينا محمد، وآله وصحبه وسلم.

* * *

المدة التي بين موسىٰ وعيسىٰ، وبين عيسىٰ ونبينا ﷺ

● ومن «الفتاوىٰ الحديثية» للهيتمي[٢]:

وسئل - نفع الله به -: كم بين موسىٰ وعيسىٰ، وبين عيسىٰ ونبينا محمد ﷺ؟

فأجاب بقوله:

الأول: ألف وبضع وتسعمائة سنة.

والثاني: نحو ستمائة سنة علىٰ الأشهر.

* * *

(١) أخرجه: البخاري (١/ ٤٠، ١٥٦)، ومسلم (٧/ ١٨٦، ١٨٧) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) الفتاوىٰ الحديثية للهيتمي (ص١٨٠).

● **ومن «الأجوبة المرضية» للسخاوي[1]:**

الحمد للَّه، سئلت: عن ذي القرنين، وجرجيس، ولقمان، ودانيال، وحزقيل، أَهُمْ أنبياء أم لا؟ فقد وجدوا في بعض الأدعية متوسَّلًا بهم.

فقلت:

أما ذو القرنين، فالصحيح أنه كان ملكًا من الملوك العادلين، كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما، وقيل: كان نبيًا، وقيل: رسواً، وقيل: إنه من الملائكة، وهو غريب، وتمسك قائله بما يحكىٰ عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه سمع رجلًا يقول لآخر: يا ذا القرنين، فقال: مه، ما كفاكم أن تسموا بأسماء الأنبياء حتىٰ تتسموا بأسماء الملائكة.

وفي حديث غريب من الوجه الذي أورده ابن عساكر منه أنه ﷺ قال: «**لا أدري ذو القرنين نبيًا كان أم لا**»؟

وأما لقمان، فالمشهور عن الجمهور أنه كان رجلًا صالحًا ذا عبادة، وعبارة، وحكمة عظيمة، ويقال: إنه كان قاضيًا في زمن داود عليه السلام ويقال: إنه كان نبيًا.

وأغرب من زعم أنه عرضت عليه النبوة فخاف أن لا يقوم بأعبائها، فاختار الحكمة؛ لأنها أسهل عليه.

وقد قال النووي رحمه الله في «الأذكار» وغيره من تصانيفه: إن القول بنبوته شاذ، لا التفات إليه، ولا تعريج عليه.

(١) «الأجوبة المرضية» (٢/ ٨٥٦-٨٦٠).

وأما دانيال، فقد كان من أنبياء بني إسرائيل فيما مشىٰ عليه غير واحد، روينا في «المجالسة» للدينوري من حديث معاذ بن رفاعة قال: مر يحيىٰ ابن زكريا بقبر دانيال، عليه السلام فسمع صوتًا من القبر يقول: سبحان من تعزز بالقدرة، وقهر العباد بالموت، من قالهن تستغفر له السموات السبع، والأرضون السبع، ومن فيهن.

ثم قال: إن دانيال قد آتاه اللَّه النبوة والحكمة، وكان في أيام بختنصر، وأسره بخت نصر مع بني إسرائيل، وحبسهم، ثم رأىٰ بخت نصر رؤيا أفزعته، وعجز الناس عن تفسيرها ففسرها دانيال فأعجبه وأكرمه وقبره، ووجده أبو موسىٰ الأشعري رضي الله عنه فأكرمه، وكفنه، وصلىٰ عليه، ثم قبره.

وهذا مما يلقىٰ عن الإسرائيليات، ورواية ما يكون من هذا القبيل جائزة إلا أن يحقق أنه كذب كأن يخالف شيئًا من قواعد الشريعة المحمدية، وما عدا ذلك ثبت الإذن فيه بحديث: «**حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج**»[(١)].

قال الشافعي رضي الله عنه[(٢)]: من المعلوم أنه ﷺ لا يأمر برواية الكذب، فعرفنا أن الإذن إنما هو فيما لا يعلم أنه كذب كما تقدم.

وأول هذه القصة من نمط المأذون فيه، مع أنه وجد في بعض الإسرائيليات أيضًا ما قد يخالفه، وآخرها صحيح من طرق، في بعضها: أن الذي فعله أبو موسىٰ كان بإذن من عمر رضي الله عنهما.

---

(١) أخرجه: البخاري (٤/ ٢٠٧)، وأحمد (٢/ ١٥٩، ٢٠٢، ٢١٤)، والترمذي (٢٦٦٩).
(٢) «الرسالة» للشافعي (ص٣٩٧).

وأما حزقيل، فهو أيضًا من بني إسرائيل فيما جزم به غير واحد، وقيل: إنه هو الذي دعا للقوم الذي ذكرهم اللَّه عز وجل في قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ﴾ الآية [البقرة: ٢٤٣].

وذلك أنه مر بهم بعد دهور طويلة فوقف عليهم متفكرًا فقيل له: أتحب أن يبعثهم اللَّه وأنت تنظر؟ فقال: نعم، فأمر أن يدعو لتلك العظام أن تكتسي لحمًا، وأن يتصل العصب بعضه ببعض، فناداهم عن أمر اللَّه عز وجل له بذلك، فقام القوم أجمعون، وكبروا تكبيرة رجل واحد.

وهذا أيضًا من المتلقىٰ عن الإسرائيليات.

وبالجملة، فالأولىٰ الاقتصار علىٰ الأدعية المأثورة عن النبي ﷺ، إذ ليس كل أحد يحسن الدعاء. واللَّه الموفق.

* * *

موسى عليه السلام

● ومن «الأنوار الكاشفة» للمعلمي(١):

سؤال: ثم قال (ص ١٩٨): (٢) أمثلة مما رواه أبو هريرة: «أخرج البخاري ومسلم عنه قال: «أرسل ملك الموت إلىٰ موسىٰ عليه السلام، فلما جاءه صكه، فرجع إلىٰ ربه فقال: أرسلتني إلىٰ عبد لا يريد الموت. فرد اللَّه عليه عينه وقال: ارجع فقل له: يضع يده علىٰ متن ثور، فله بكل ما غطت يده

(١) الأنوار الكاشفة (٢١٩-٢٢٠).

(٢) القائل هو أبو رية.

بكل شعرة سنة، قال: أي رب ثم ماذا؟ قال: ثم الموت. قال: فالآن. فسأل اللَّه أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر. قال رسول اللَّه ﷺ: فلو كنت ثم لأريتكم قبره إلىٰ جانب الكثيب الأحمر» وفي رواية لمسلم. قال: «فلطم موسىٰ عين ملك الموت ففقأها»[1].

أقول:

القصة علىٰ ما ذكر هنا من كلام أبي هريرة، وإنما الذي من كلام النبي ﷺ قوله: (فلو كنت ثم إلخ) وليس فيه ما يستشكل.

فأما القصة فقد أجاب عنها أهل العلم، وسألخص ذلك:

ثبت بالكتاب والسنة أن الملائكة قد يتمثلون في صور الرجال، وقد يراهم كذلك بعض الأنبياء، فيظنهم من بني آدم كما في قصتهم مع إبراهيم، ومع لوط عليهما السلام، اقرأ من سورة هود الآيات [٦٩-٨٠] وقال اللَّه تعالىٰ في مريم عليها السلام ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ۝١٧ قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾ [مريم: ١٧-١٨].

وفي السنة أشياء من ذلك، وأشهرها ما في حديث السؤال عن الإيمان والإسلام والإحسان.

فمن كان جاحدًا لهذا كله أو مرتابًا فيه فليس كلامنا معه، ومن كان مصدقًا علم أنه لا مانع أن يتمثل ملك الموت رجلًا ويأتي إلىٰ موسىٰ فلا

(١) أخرجه: البخاري (٤/ ١٩١)، ومسلم (٧/ ١٠٠).

يعرفه موسىٰ؛ الجسد المادي الذي يتمثل به الملك ليس جسده الحقيقي، وليس من لازم تمثله فيه أن يخرج الملك عن ملكيته، ولا أن يخرج ذاك الجسم المادي عن ماديته، ولا أن تكون حقيقة الملك إلىٰ ذاك الجسم كنسبة أرواح الناس إلىٰ أجسامهم، فعلىٰ هذا لو عرض ضرب أو طعن أو قطع لذاك الجسم لم يلزم أن يتألم بها الملك ولا أن تؤثر في جسمه الحقيقي.

ما المانع أن تقتضي حكمة اللَّه عز وجل أن يمثل ملك الموت بصورة رجل، ويأمره اللَّه أن يدخل علىٰ موسىٰ بغتة، ويقول له مثلا: سأقبض روحك، وينظر ماذا يصنع؟ لتظهر رغبة موسىٰ في الحياة وكراهيته للموت فيكون في قص ذلك عبرة لمن بعده.

فعلىٰ هذا فإن موسىٰ لما رأىٰ رجلًا لا يعرفه دخل بغتة، وقال ما قال؛ حمله حب الحياة علىٰ الاستعجال بدفعه، ولولا شدة حب الحياة لتأنىٰ وقال: من أنت، وما شأنك؟ ونحو ذلك.

ووقوع الصكة وتأثيرها كان علىٰ ذاك الجسد العارض، ولم ينل الملك بأس.

فأما قوله في القصة «فرد اللَّه عليه عينه» فحاصله: أن اللَّه تعالىٰ أعاد تمثيل الملك في ذاك الجسد المادي سليمًا، حتىٰ إذا رآه موسىٰ قد عاد سليمًا مع قرب الوقت عرف لأول وهلة خطأه أول مرة.

قال أبو رية: «وفي تاريخ الطبري عن أبي هريرة: أن ملك الموت . . ».

أقول:

رجاله كلهم موصوفون بأنهم ممن يخطئ، فلا يصح عن أبي هريرة.

❊ ❊ ❊

• **ومن «فتاوى الألباني»**[١]:

سؤال: بعض العلماء يضعف حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: إن موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ لطم عين ملك الموت ففقأها، كيف نرد علىٰ هؤلاء مع العلم أنهم يزعمون أن هذا الحديث من الإسرائيليات؟ وكيف يجوز لنبي أن يضرب ملكًا مع العلم أن ملك الموت شديد؟

الجواب:

هذا الحديث أخرجه الإمامان البخاري ومسلم في «صحيحيهما» من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: **جاء ملك الموت إلىٰ موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ فقال له: أجب ربك؟ فما كان من موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ إلا أن لطمه ففقأ عينه، فرجع ملك الموت، إلىٰ ربه فقال: يا رب، أرسلتني إلىٰ عبد يكره الموت، فقال اللَّه له: عد إليه وقل له: إن ربك يقول لك: ضع يدك علىٰ جلد ثور، فلك من السنين بعدد كل الشعرات التي تكون تحت أصابعك، فرجع ملك الموت إلىٰ موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ وقال له ما أمره به ربه. فقال موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ: وماذا بعد ذلك؟! قال: الموت. قال: فالآن، فقبض ملك الموت روح موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ** في تلك اللحظة . . .»[٢] الحديث هذا نصه في «الصحيحين».

---

(١) فتاوىٰ الألباني (٢/ ٣٩٠-٣٩٢).

(٢) أخرجه: البخاري (٤/ ١٩١)، ومسلم (٧/ ١٠٠) بمعناه.

فهذا الذي ضعف هذا الحديث هو الضعيف؛ لأنه تكلم بغير علم، وفي ظني أن هذا المضعف هو من أولئك الناس الكثيرين الذي يسلطون، ويحكمون عقولهم، وأهواءهم في الحكم علىٰ الأحاديث الصحيحة بأنها ضعيفة، ذلك أن الإيمان ضعف في صدور كثير من الناس، ولو ممن ينتمون إلىٰ العلم، فضلًا عن أنهم لم يدرسوا السنة دراسة واعية مستوعبة لطرق الحديث.

فكل حديث جاء في «الصحيحين» لم يتكلم أحد من علماء الحديث عليه بشيء من النقد، فهذا الحديث ثابت يقينًا عن النبي ﷺ.

أما الإشكال الوارد في السؤال، وهو كيف يضرب موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ ملك الموت؟!

فالجواب في رواية في «مسند الإمام» أحمد بسند صحيح قال: «**كان ملك الموت يأتي الناس علىٰ صورة البشر**».

فإذن؛ ملك الموت لما جاء إلىٰ موسىٰ فقال له: أجب ربك، ما جاءه بالعلامة التي تجعل موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ ينتبه إلىٰ كونه ملكًا مرسلًا من اللَّه، فأي إنسان لو جاءه، شخص فقال له: سلمني روحك... فماذا سيكون موقفه منه؟!

ونرىٰ في تتمة الحديث أن ملك الموت لما شكا أمره إلىٰ الله أعطاه اللَّه علامة فقال له: «**ارجع إلىٰ موسىٰ وقل له: إن ربك يأمرك**» الحديث، فلما رجع الملك بهذا البرهان إلىٰ موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ. قال له: «**وما بعد ذلك؟**» الحديث، فلماذا استسلم في المرة الثانية، ولم يستسلم في المرة الأولىٰ؟! وضح الجواب: ففي المرة الأولىٰ كان الطالب بشرًا من البشر،

وما كان موسىٰ يعلم أنه ملك من اللّٰه مرسل. فلما جاء الملك في المرة الثانية، ومعه هذه العلامة، واطمأن موسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إليها، أجابه إلىٰ ذلك.

فحينما ننظر إلىٰ الحديث بتفسير رواية الإمام أحمد يزول الإشكال، ويبطل قول من قال: إن هذا الحديث من الإسرائيليات؛ لأنه حين يقال: إن الرواية الفلانية من الإسرائيليات، فمعنىٰ ذلك أن هذه الرواية مما كان أهل الكتاب من اليهود والنصارىٰ يتحدثون به عن أسلافهم، وفيها الحق والباطل، لذلك قال ﷺ: «**إذا حدثكم أهل لكتاب، فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم**»(١).

والإسرائيليات نسبة إلىٰ رواية قصص تتعلق ببني إسرائيل، وتنقسم إلىٰ قسمين: القسم الأول: وهو الأكثر، وهي ما كان مرويًّا عن أهل الكتاب، وهذا القسم ينطبق عليه قول الرسول ﷺ السابق الذكر.

القسم: الثاني: وهو الأقل، وهي أخبار يتحدث بها الرسول ﷺ عن بني إسرائيل، فهذه إسرائيليات صحيحة؛ لأن الرسول ﷺ أخبر عنها.

* * *

• وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني(٢):

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد للّٰه المنفرد بالبقاء والدوام، وعلىٰ من خصه بمزيد التفضل والسيادة

---

(١) أخرجه: أحمد (٤/١٣٦)، وأبو داود (٣٦٤٤).

(٢) وهي رسالة: «الزهر النضر في نبإ الخضر» (٣-٤٢).
وانظر «الجواهر والدرر» للسخاوي (٢/٨٩٦).

مزيد الصلاة والسلام، وأنزل عليه في الكتاب المكنون: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٤] وعلىٰ آله وصحبه الذين كانوا يأمرون بالخير ويأتمرون، صلاة وسلامًا دائمين إلىٰ يوم يبعثون.

أما بعد: فقد تكرر السؤال قديمًا وحديثًا عن الخضر صاحب موسىٰ، هل هو نبي أو ولي؟ وهل عمر إلىٰ أن أدرك بعثة النبي ﷺ، وعاش بعده أو مات قبل ذلك، أو هو حي باق؟ وعن كثير من أخباره.

وكنت جمعت في ذلك مما صنف فيه بخصوصه من القدماء أبو جعفر بن المنادي، ومن المتأخرين أبو الفرج ابن الجوزي، وأضفت إليهما أشياء ظفرت بها بطول التتبع.

ثم لما التزمت في كتابي «الإصابة في تمييز الصحابة» أن أذكر كل من جاء في خبر من الأخبار أنه لقي النبي ﷺ، لزم ذكري للخضر عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ لأنه من شرط «الإصابة»، وإن لم يرد في خبر ثابت أنه من جملة الصحابة.

وقد أفردته الآن ليقف كل سائل عنه علىٰ كل ما كنت قرأته وسمعته، وجعلته أبوابا، والله أسأل النفع به إنه قريب مجيب.

باب نسبه

قيل: هو ابن آدم من صلبه، وهذا قول رواه الدارقطني في «الأفراد» من طريق رواد بن الجراح، عن مقاتل بن سليمان، عن الضحاك، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ورواد ضعيف، ومقاتل متروك، والضحاك لم يسمع من ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

القول الثاني: أنه ابن قابيل بن آدم: ذكره أبو حاتم السجستاني في كتاب «المعمرين» قال: حدثنا مشخيتنا منهم أبو عبيدة - فذكره. وهذا معضل.

وحكىٰ صاحب هذه المقالة أن اسمه خضرون وهو الخضر.

القول الثالث: جاء عن وهب بن منبه أنه بليا بن ملكان بن قالع بن شالخ بن عابر بن أرفشخذ بن سام بن نوح.

وبهذا قال ابن قتيبة، وحكاه النووي وزاد وقال: كلمان بدل ملكان.

القول الرابع: جاء عن إسماعيل بن أبي أويس أنه المعمر بن مالك عبد عبد اللَّه بن نصر بن الأزد، وقيل: اسمه عامر حكاه: أبو الخطاب بن دحيه، عن ابن حبيب البغدادي.

القول الخامس: هو ابن عمائيل بن النور بن العيص بن إسحاق، حكاه: ابن قتيبة أيضًا، وكذا سمي أباه عاميل مقاتل.

القول السادس: أنه من سبط هارون أخي موسىٰ.

روىٰ عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وهو بعيد.

وأعجب منه قول ابن إسحاق: إنه أرميا بن خلقيا، وقد رد ذلك أبو جعفر ابن جرير.

القول السابع: أنه ابن بنت فرعون، حكاه محمد بن أيوب عن ابن لهيعة، وقيل: ابن فرعون لصلبه حكاه النقاش.

القول الثامن: أنه اليسع، حكي عن مقاتل أيضًا، وهو بعيد أيضًا.

القول التاسع: أنه من ولد فارس، جاء ذلك عن ابن شوذب، أخرجه الطبري بسند جيد من رواية ضمرة بن ربيعة، عن ابن شوذب.

القول العاشر: أنه من ولد بعض من كان آمن بإبراهيم وهاجر معه من أرض بابل، حكاه ابن جرير الطبري في «تاريخه»، وقيل: كان أبوه فارسيًّا وأمه رومية.

وثبت في «الصحيحين» أن سبب تسميته الخضر أنه جلس علىٰ فروة بيضاء، فإذا هي تهتز تحته خضراء[1].

هذا لفظ أحمد من رواية ابن المبارك، عن معمر، عن همام، عن أبي هريرة رضي الله عنه، والفروة الأرض اليابسة.

وقال أحمد: حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن همام، عن أبي هريرة رضي الله عنه رفعه: «**إنما سمي الخضر خضرًا؛ لأنه جلس علىٰ فروة فاهتزت تحته خضراء**»، والفروة: الحشيش الأبيض.

قال عبد اللَّه بن أحمد: أظنه تفسير عبد الرزاق.

وفي الباب عن ابن عباس رضي الله عنهما من طريق قتادة، عن عبد اللَّه بن الحارث عنه، ومن طريق منصور، عن مجاهد.

قال النووي: كنيته أبو العباس. وهذا متفق عليه.

(١) أخرجه: البخاري (٤/ ١٩٠)، وأحمد (٢/ ٣١٢، ٣١٨)، والترمذي (٣١٥١).

باب ما ورد في ذكر كونه نبيًا

قال اللَّه تعالىٰ في خبره عن موسىٰ حكاية عنه: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى﴾ [الكهف: ٨٢]، وهذا ظاهره أنه فعله بأمر من اللَّه، والأصل عدم الواسطة، ويحتمل أن يكون بواسطة نبي آخر لم يذكره، وهو بعيد، ولا سبيل إلىٰ القول بأنه إلهام؛ لأن ذلك لا يكون من غير النبي وحيًا حتىٰ يعمل به ما عمل من قتل النفس، وتعريض الأنفس للغرق. فإن قلنا: إنه نبي لا إنكار في ذلك.

وأيضًا كيف يكون غير النبي أعلم من النبي؟! وقد أخبر النبي ﷺ في الحديث الصحيح أن اللَّه تعالىٰ قال لموسىٰ: «**بلىٰ عبدنا خضر**»(١)، وأيضًا فكيف يكون النبي تابعًا لغير نبي؟

وقال الثعلبي: هو نبي في جميع الأقوال، وكان بعض أكابر العلماء يقول: أول عقدة تحل من الزندقة اعتقاد كون الخضر نبيًا؛ لأن الزنادقة يتذرعون بكونه غير نبي إلىٰ أن الولي أفضل من النبي كما قال قائلهم:

مقام النبوة في برزخ فويق الرسول ودون الولي

وقال أبو جعفر ابن جرير في «تاريخه»: كان الخضر ممن كان في أيام أفريدون الملك في قول عامة أهل الكتاب الأول، وقيل: إنه كان علىٰ مقدمة ذي القرنين الأكبر الذي كان علىٰ أيام إبراهيم الخليل عليه السلام وإنه

---

(١) أخرجه: البخاري (٣/ ١١٧، ٢٥١) (٦/ ١١٢)، ومسلم (٧/ ١٠٥، ١٠٧) من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه.

بلغ مع ذي القرنين الذي ذكر أن الخضر كان ملتزمه نهر الحياة، فشرب من مائة، وهو لا يعلم، ولا يعلم ذو القرنين، ومن معه، فخلد وهو عنده حي إلىٰ الآن.

قال ابن جرير: وذكر ابن إسحاق بأن اللَّه تعالىٰ استخلف على بني إسرائيل رجلًا منهم، وبعث الخضر معه نبيًّا.

قال ابن جرير: بين هذا الوقت، وبين أفريدون أزيد من ألف عام، قال: وقول من قال: إنه كان في أيام أفريدون أشبه إلا أن يحمل علىٰ أنه لم يبعث نبيًّا إلا في زمن ذلك الملك.

قلت: بل يحتمل أن يكون قوله: وبعث معه الخضر نبيًّا أي: أيده، لا أن ذلك الوقت كان وقت إنشاء نبوته، فلا يمتنع أن يكون نبي قبل ذلك، ثم أرسل مع هذا الملك، وإنما قلت ذلك؛ لأن غالب أخباره مع موسىٰ هي الدالة علىٰ تصحيح قول من قال: إنه كان نبيًّا.

ثم اختلف من قال: إنه كان نبيًّا، هل كان مرسلًا؟ فجاء عن ابن عباس، ووهب بن منبه أنه كان نبيًّا غير مرسل، وجاء عن إسماعيل بن أبي زياد، ومحمد بن إسحاق، وبعض أهل الكتاب أنه أرسل إلىٰ قومه فاستجابوا له، ونصر هذا القول أبو الحسن الرماني، ثم ابن الجوزي.

وقال الثعلبي: هو نبي علىٰ جميع الأقوال، معمر محجوب عن الأبصار، وقال أبو حيان في «تفسيره»: والجمهور علىٰ أنه نبي، وكان علمه معرفة بواطن أوحيت إليه، وعلم موسىٰ الحكم بالظاهر.

وذهب إلىٰ أنه كان وليًّا جماعة من الصوفية، وقال به أبو علي بن

أبي موسىٰ من الحنابلة، وأبو بكر بن الأنباري في كتابه «الزاهر» بعد أن حكي عن العلماء قولين: هل كان نبيًّا أو وليًا؟ وقال أبو القاسم القشيري في «رسالته»: لم يكن الخضر نبيًّا، وإنما كان وليًّا.

وحكىٰ الماوردي قولًا ثالثًا: أنه ملك من الملائكة يتصور في صور الآدمين مغيرًا ذاتًا، وقال أبو الخطاب بن دحية: لا ندري هو ملك، أو نبي، أو عبد صالح.

وجاء من طريق أبي صالح كاتب الليث، عن يحيىٰ بن أيوب، عن خالد بن يزيد أن كعب الأحبار قال: إن الخضر بن عاميل ركب في نفر من أصحابه حتىٰ بلغ بحر الترك، وهو بحر الصين فقال لأصحابه: دلوني، فدلوه في البحر أيامًا وليالي، ثم صعد فقالوا له: يا خضر ما رأيت؟ فلقد أكرمك اللَّه، وحفظ لك نفسك في لجة هذا البحر قال: استقلبني ملك من الملائكة فقال لي: فكيف وقد أُهوي رجل من زمان داود النبي ﷺ، ولم يبلغ ثلث قعره حتىٰ الساعة، وذلك منذ ثلثمائة سنة؟ أخرجه أبو نعيم في ترجمة كعب من «الحلية».

باب ما ورد في تعميره، والسبب في ذلك

روىٰ الدارقطني بالإسناد الماضي عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: نُسئ للخضر في أجله حتىٰ يكذب الدجال، وذكر ابن إسحاق في «المبتدإ» قال: حدثنا أصحابنا أن آدم لما حضره الموت جمع بنيه، وقال: إن اللَّه تعالىٰ منزل علىٰ أهل الأرض عذابًا، فليكن جسدي معكم في المغارة

حتىٰ تدفوني بأرض الشام، فلما وقع الطوفان قال نوح لبنيه: إن آدم دعىٰ اللَّه أن يطيل عمر الذي يدفنه إلىٰ يوم القيامة، فلم يزل جسد آدم حتىٰ كان الخضر هو الذي تولىٰ دفنه، وأنجز اللَّه له ما وعده، فهو يحيا إلىٰ ما شاء اللَّه أن يحيا.

ورویٰ ابن عساكر في ترجمة ذي القرنين من طريق خيثمة بن سليمان: حدثنا أبو عبيدة بن أخي هناد، حدثنا سفيان بن وكيع، حدثنا أبي قال: حدثنا معتمر بن سلميان، عن أبي جعفر، عن أبيه، أنه سئل عن ذي القرنين فقال: كان عبدًا من عباد اللَّه صالحًا، وكان من اللَّه بمنزل ضخم، وكان قد ملك ما بين المشرق والمغرب، وكان له خليل من الملائكة يقال له رفائيل، وكان يزوره، فبينما يتحدثان إذ قال له: حدثني كيف عبادتكم في السماء؟ فبكىٰ، وقال: وما عبادتكم عند عبادتنا. إن في السماء ملائكة قيام لا يجلسون أبدًا يقولون: رب ما عبدناك حق عبادتك، فبكىٰ ذو القرنين.

ثم قال: يا رفائيل إني أحب أن أعمر حتىٰ أبلغ عبادة ربي حق طاعته. قال: وتحب ذلك؟ قال: نعم. قال: فإنه للَّه عينًا تسمىٰ عين الحياة من شرب منها شربة لم يمت أبدًا حتىٰ يكون هو الذي يسأل ربه الموت قال ذو القرنين: فهل تعلم موضعها؟ قال لا غير أنا نتحدث في السماء أن للَّه ظلمة في الأرض لم يطأها إنس ولا جن، فنحن نظن أن العين في تلك الظلمة، فجمع ذو القرنين علماء الأرض فسألهم عن عين الحياة، فقالوا: لا نعرفها، قال: فهل وجدتم في علمكم أن للَّه ظلمة؟ فقال عالم منهم: لم تسأل عن هذا؟ فأخبره، فقال: إني قرأت في وصية آدم ذكر هذه الظلمة، وأنها عند قرن الشمس.

فتجهز ذو القرنين، وسار اثنتني عشرة سنة إلىٰ أن بلغ طرف الظلمة، فإذا هي ليست بليل، وهي تفور مثل الدخان، فجمع العساكر وقال: إني أريد أن أسلكها، فمنعوه، فسأله العلماء الذين معه أن يكف عن ذلك؛ لئلا يسخط اللَّه عليهم، فأبىٰ، فانتخب من عساكره ستة آلاف رجل علىٰ ستة آلاف فرس أنثىٰ بكر، وعقد للخضر علىٰ مقدمته في ألفي رجل، فسار الخضر بين يديه، وقد عرف ما يطلب - أو كان ذو القرنين يكتمه ذلك - فبينما هو يسير إذ عارضه واد، فظن أن العين في ذلك الوادي، فلما أتىٰ شفير الوادي استوقف أصحابه، وتوجه فإذا هو علىٰ حافة عين من ماء، فنزع ثيابه، فإذا ماء أشد بياضًا من اللبن وأحلىٰ من الشهد، فشرب منه، وتوضأ واغتسل، ثم خرج، ولبس ثيابه، وتوجه، ومر ذو القرنين فأخطأ الظلمة - وذكر بقية الحديث.

ويروى عن سليمان الأشج صاحب كعب الأحبار، عن كعب، أن الخضر كان وزير ذي القرنين، وأنه وقف معه علىٰ جبل الهند، فرأىٰ ورقة فيها (بسم اللَّه الرحمن الرحيم) من آدم أبي البشر إلىٰ ذريته، أوصيكم بتقوىٰ اللَّه، وأحذركم كيد عدوي وعدوكم إبليس فإنه أنزلني هنا قال: فنزل ذو القرنين فمسح جلوس آدم فكانت مائة وثلاثين ميلًا.

ويروىٰ عن الحسن البصري قال: وكل إلياس بالفيافي، ووكل الخضر بالبحور، وقد أعطيا الخلد في الدنيا إلىٰ الصيحة الأولىٰ، وإنهما يجتمعان في موسم كل عام.

وقال الحارث بن أبي أسامة في «مسنده»: حدثنا عبد الرحيم بن واقد،

حدثني محمد بن بهرام[١]، أخبرنا أبان، عن أنس قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إن الخضر في البحر، واليسع في البر، يجتمعان كل ليلة عند الردم الذي بناه ذو القرنين بين الناس وبين يأجوج، ويحجان، ويعتمران كل عام ويشربان من ماء زمزم شربة تكفيهما إلىٰ قابل**»[٢].

قلت: وعبد الرحيم، وأبان متروكان.

وقال عبد اللَّه بن المغيرة، عن ثور، عن خالد بن معدان، عن كعب قال: الخضر علىٰ منبر من نور بين البحر الأعلىٰ، والبحر الأسفل، وقد أمرت دواب البحر أن تسمع له وتطيع، وتعرض عليه الأرواح غدوة وعشية. ذكره العقيلي وقال: عبد اللَّه بن المغيرة يحدث بما لا أصل له. وقال ابن يونس: إنه منكر الحديث.

وروىٰ ابن شاهين بسند ضعيف إلىٰ خصيف قال: أربعة من الأنبياء أحياء: اثنان في السماء: عيسىٰ، وإدريس، واثنان في الأرض: الخضر، وإلياس.

فأما الخضر: فإنه في البحر، وأما صاحبه فإنه في البر.

وسيأتي في الباب الأخير أشياء من هذا الجنس كثيرة.

وقال الثعلبي: يقال: إن الخضر لا يموت إلا في آخر الزمان عند رفع القرآن.

---

(١) في «زوائد الحارث»: «القاسم بن بهرام» فلتراجع.

(٢) أخرجه: الحارث في «مسنده» (٩٣٠ - بغية الباحث).

قال النووي في «تهذيبه»: قال الأكثرون من العلماء: هو حي موجود بين أظهرنا، وذلك متفق عليه بين الصوفية، وأهل الصلاح والمعرفة، وحكاياتهم في رؤيته والاجتماع به، والأخذ عنه، وسؤاله وجوابه، ووجوده في المواضع الشريفة، أو مواطن الخير أكثر من أن تحصىٰ، وأشهر من أن تذكر، قال: وقال ابن الصلاح في «فتاواه»: هو حي عند جماهير العلماء والصالحين، والعامة معهم، قال: وإنما شذَّ بإنكاره بعض المحدثين.

قال السهيلي في كتاب «التعريف والأعلام»: اسم الخضر مختلف فيه، فذكر بعض ما تقدم، وذكر في قول من قال: أنه ابن عاميل بن سماطين بن أرما بن خلفا بن عيصو بن إسحاق، وإن أباه كان ملكًا وإن أمه فارسية اسمها ألهاء، وإنها ولدته في مغارة، وإنه وجد هناك شاة ترضعه في كل يوم من غنم رجل من القرية، فأخذه الرجل ورباه. فلما شب طلب الملك كاتبًا يكتب الصحف التي أنزلت علىٰ إبراهيم، فجمع أهل المعرفة والنبالة، فكان فيمن أقدم عليه ابنه الخضر، وهو لا يعرفه، فلما استحسن خطه ومعرفته بحث عن جلية أمره حتىٰ عرف أنه ابنه فضمه إلىٰ نفسه، وولاه أمر الناس، ثم إن الخضر فر من الملك لأسباب يطول ذكرها إلىٰ أن وجد عين الحياة، فشرب منها، فهو حي إلىٰ أن يخرج الدجال، فهو الرجل الذي يقتله الدجال، ثم يحييه، قال: وقيل: إنه لم يدرك زمن النبي ﷺ، وهذا لا يصح.

قال: وقال البخاري وطائفة من أهل الحديث: مات الخضر قبل انقضاء مائة سنة من الهجرة قال: ونصر شيخنا أبو بكر ابن العربي هذا لقوله ﷺ:

«على رأس مائة سنة لا يبقىٰ علىٰ الأرض ممن هو عليها أحد»[١] يريد ممن كان حيًّا حين هذه المقالة.

قال: وأما اجتماعه مع النبي ﷺ وتعزيته لأهل بيته وهم مجتمعون بغسله - عليه الصلاة والسلام -، فروي من طرق صحاح، منها ما ذكره ابن عبد البر في «التمهيد»، وكان إمام أهل الحديث في وقته، فذكر الحديث في تعزية الصحابة بالنبي ﷺ يسمعون القول، ولا يرون القائل، فقال لهم علي رضي الله عنه: هو «الخضر».

قال: وقد ذكر ابن أبي الدنيا من طريق مكحول، عن أنس رضي الله عنه اجتماع إلياس بالنبي ﷺ، وإذا جاز بقاء إلياس إلىٰ العهد النبوي جاز بقاء الخضر. انتهىٰ ملخصًا.

وتعقبه عليه فيه أبو الخطاب ابن دحية بأن الطرق التي أشار إليها لم يصح منها شيء، ولا ثبت اجتماع الخضر مع أحد من الأنبياء إلا مع موسىٰ، كما قص اللَّه تعالىٰ من خبرهما.

قال: وجميع ما ورد في حياته لا يصح منها شيء باتفاق أهل النقل، وإنما يذكر ذلك من يروي الخبر ولا يذكر علته، إما لكونه لا يعرفها، وإما لوضوحها عند أهل الحديث.

قال: وأما ما جاء عن المشايخ فهو مما يتعجب منه كيف يجوز لعاقل أن يلقي شخصًا لا يعرفه، فيقول له: أنا فلان فيصدقه.

قال: وأما حديث التعزية الذي ذكره أبو عمر، فهو موضوع، رواه

---

(١) أخرجه: البخاري (١/ ٤٠، ١٥٦)، ومسلم (٧/ ١٨٦، ١٨٧) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

عبد اللَّه بن المحرز، عن يزيد بن الأصم، عن علي ﷺ، وابن محرز متروك، وهنو الذي قال ابن مبارك في حقه - كما أخرجه مسلم في مقدمة «صحيحه» -: لما رأيته كانت بعرة أحب إليَّ منه، ففضل رؤية النجاسة علىٰ رؤيته.

قلت: فقد جاء ذكر التعزية المذكورة من غير رواية عبد اللَّه بن محرز كما سأذكره بعد.

قال: وأما حديث مكحول عن أنس ﷺ فهو موضوع، ثم نقل تكذيبه عن أحمد، ويحيىٰ، وإسحاق، وأبي زرعة.

قال: وسياق المتن ظاهر النكارة، وأنه من الخرافات انتهىٰ كلامه ملخصًا.

وسأذكر حديث أنس ﷺ بطوله، وأن له طريقًا غير التي أشار إليها السهيلي.

ذكر شيء من أخبار الخضر قبل بعثة النبي ﷺ

قد قص اللَّه تعالىٰ في كتابه ما جرى لموسىٰ عليه السلام معه، وأخرجه «الصحيحان» من طرق عن أبي بن كعب، وفي سياق القصة زيادات في غير «الصحيح» قد نبهت عليها في «فتح الباري بشرح البخاري».

وثبت في «الصحيحين» أن النبي ﷺ قال: «**وددت أن موسىٰ صبر حتىٰ يقص اللَّه علينا من أمرهما**»(١).

---

(١) أخرجه: البخاري (١/ ٤١)، (٤/ ١٥٠) (٦/ ١١٠) (٨/ ١٧٠) من حديث أبي بن كعب ﷺ.

وهذا مما استدل به من زعم أنه لم يكن حالة هذه المقالة موجودًا؛ إذ لو كان موجودًا لأمكن أن يصحبه بعض أكابر الصحابة رضي الله عنه فيرىٰ منه نحوًا مما رآىٰ موسىٰ، وقد أجاب عن هذا من ادعىٰ بقاءه بأن التمني إنما كان لما يقع بينه وبين موسىٰ عليهما السلام، وغير موسىٰ لا يقوم مقامه.

ومن أخباره مع غير موسىٰ

ما أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» من وجهين عن بقية بن الوليد، عن محمد بن زياد الألهاني، عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه أن رسول اللّه ﷺ قال: «**ألا أخبركم عن الخضر**» قالوا: بلىٰ يا رسول اللّه قال: «**بينا هو ذات يوم يمشي في سوق بني إسرائيل أبصره رجل مكاتب فقال له: تصدق علي بارك اللّه فيك. فقال الخضر: آمنت باللّه، ما شاء اللّه من أمر يكون، ما عندي من شيء أعطيك، فقال المسكين: أسألك بوجهه لما تصدقت علي، فإني نظرت السماحة في وجهك، ورجوت البركة عندك، فقال الخضر: آمنت باللّه ما عندي شيء أعطيك، إلا أن تأخذني وتبيعني فقال المسكين: وهل يستقيم هذا؟ قال: نعم، الحق أقول لقد سألتني بأمر عظيم، أما إني لا أخيبك، بوجه ربي بعني، قال: فقدمه إلىٰ السوق، فباعه بأربعمائة درهم.**

فمكث عند المشتري زمانًا لا يستعمله في شيء، فقال له: إنك إنما اشتريتني التماس خير عندي، فأوصني بعمل، قال: أكره أن أشق عليك، إنك شيخ كبير ضعيف، قال: ليس يشق علي، قال: فقم فانقل هذه

الحجارة، وكان لا ينقلها دون ستة نفر في يوم، فخرج الرجل لبعض حاجته ثم انصرف، وقد نقل الحجارة في ساعة، فقال: أحسنت، وأطقت ما لم أرك تطيقه، قال: ثم عرض للرجل سفر، فقال: إني أحسبك أمينًا فاخلفني في أهلي خلافة حسنة، قال: نعم، وأوصني بعمل. قال: إني أكره أن أشق عليك قال: ليس يشق علي، قال: فاضرب من اللبن لبيتي حتىٰ أقدم عليك، قال: ومر الرجل لسفره، ثم رجع، وقد شيد بناءه، فقال: أسألك بوجه اللَّه ما سبيلك، وما أمرك؟ قال: سألتني بوجه اللَّه، ووجه اللَّه أوقعني في العبودية، فقال الخضر: سأخبرك أنا الخضر الذي سمعت به، سألني مسكين صدقة، فلم يكن عندي ما أعطيه له، فسألني بوجه اللَّه، ومن سئل بوجه اللَّه فرد سائله، هو يقدر، وقف يوم القيامة، وليس علىٰ وجهه جلد ولا لحم إلا عظم تقعقع، فقال الرجل: آمنت باللَّه، شققت عليك يا نبي اللَّه، ولم أعلم، قال: لا بأس أحسنت، وأيقنت، فقال الرجل: بأبي أنت وأمي يا نبي اللَّه، احكم في أهلي ومالي بما شئت، أو اختر فأخلي سبيلك، قال: أحب أن تخلي سبيلي فأعبد ربي، قال: فخلىٰ سبيله، فقال الخضر: الحمد للَّه الذي أوقعني في العبودية ثم نجاني منها»[1].

قلت وسند هذا الحديث حسن لولا عنعنة بقية، ولو ثبت لكان نصًا أن الخضر نبي، لحكاية النبي ﷺ قول الرجل «يا نبي اللَّه» وتقريره علىٰ ذلك.

---

(١) أخرجه: الطبراني في «الكبير» (٧٥٣٠).

ذكر من ذهب إلىٰ أن الخضر مات

نقل أبو بكر النقاش في «تفسيره» عن علي بن موسىٰ الرضا، وعن محمد بن إسماعيل البخاري أن الخضر مات، وأن البخاري سئل عن حياة الخضر، فأنكر ذلك واستدل بالحديث: «**إن علىٰ رأس مائة سنة لا يبقىٰ علىٰ وجه الأرض ممن هو عليها أحد**»[(١)].

وهذا أخرجه هو في «الصحيح» عن ابن عمر، وهو عمدة من تمسك بأنه مات، وأنكر أن يكون باقيًا.

وقال أبو حيان في «تفسيره»: الجمهور علىٰ أنه مات، ونقل عن أبي الفضل المرسي أن الخضر صاحب موسىٰ مات؛ لأنه لو كان حيًّا لزمه المجيء إلىٰ النبي ﷺ، والإيمان به واتباعه، وقد رُوي عن النبي ﷺ قال: «**لو كان موسىٰ حيًّا ما وسعه إلا اتباعي**»[(٢)].

وأشار إلىٰ أن الخضر هو غير صاحب موسىٰ، وقال غيره: لكل زمان خضر، وهي دعوىٰ لا دليل عليها.

ونقل أبو الحسن بن المنادي في «كتابه» الذي جمعه في ترجمة الخضر، عن إبراهيم الحربي أن الخضر مات، وبذلك جزم ابن المناوي المذكور.

وذكر ابن الجوزي في «جزئه» الذي جمعه في ذلك عن أبي يعلىٰ بن

---

(١) أخرجه: البخاري (١/ ٤، ١٥٦)، ومسلم (٧/ ١٨٦، ١٨٧) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه: أحمد (٣/ ٣٣٨، ٣٨٧)، والدارمي (٤٤١) من حديث جابر رضي الله عنه.

الفراء الحنبلي قال: سئل بعض أصحابنا عن الخضر هل مات؟ فقال: نعم. وبلغني مثل هذا عن أبي طاهر بن العبادي، وكان يحتج بأنه لو كان حيًّا لجاء إلىٰ النبي ﷺ.

واستدل ابن الجوزي بأنه لو كان حيًّا مع ما ثبت أنه كان في زمن موسىٰ، وقبل ذلك لكان جسده مناسبًا لأجساد أولئك، ثم ساق بسند له إلىٰ أبي عمر أن الجوني قال: قال: كان أنف دانيال ذراعًا، ولما كشف عنه في زمن أبي موسىٰ قام رجل جنبه فكانت ركبة دانيال محاذية لرأسه، والذين يدعون رؤية الخضر في سائر أخبارهم ما يدل علىٰ أن جسده نظير أجسادهم.

ثم استدل بما أخرجه أحمد من طريق مجالد عن الشعبي عن جابر رضي الله عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**والذي نفس بيده لو أن موسىٰ كان حيا ما وسعه إلا أن يتبعني**»[1].

قال: فإذا كان هذا في حق موسىٰ، فكيف لم يتبعه الخضر لو كان حيا فيصلي معه الجمعة والجماعة، ويجاهد تحت رايته، كما ثبت أن عيسىٰ يصلي خلف إمام هذه الأمة؟

واستدل أيضًا بقوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ﴾ الآية [آل عمران: ٨١] قال ابن عباس: ما بعث اللَّه نبيًّا إلا وقد أخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه.

---

(١) أخرجه: أحمد (٣/٣٣٨، ٣٨٧)، والدارمي (٤٤١).

وقال أبو الحسن بن المنادي: بحثت عن تعمير الخضر، وهل هو باق أم لا؟ فإذا أكثر المغفلين متفرون بأنه باق من أجل ما روي في ذلك، قال: والأحاديث المرفوعة في ذلك واهية، والسند إلىٰ أهل الكتاب ساقط لعدم ثقتهم، وخبر مسلمة بن مصقلة كالخرافة، وخبر رياح كالرياح.

قال: وما عدا ذلك كله من الأخبار كلها واهية الصدور والأعجاز لا يخلو حالها من أحد أمرين: إما أن تكون أدخلت علىٰ الثقات استغفالًا، أو يكون بعضهم تعمد، وقد قال اللَّه تعالىٰ: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ﴾ [الأنبياء: ٣٤].

قال: وأهل الحديث متفقون علىٰ أن حديث أنس منكر السند غير مستقيم المتن، وأن الخضر لو كان حيا لما وسعه التخلف عن رسول اللَّه ﷺ، والهجرة إليه.

قال: وقد أخبرني بعض أصحابنا أن إبراهيم سئل عن تعمير الخضر فأنكر ذلك، وقال: هو متقادم الموت.

قال: وروجع غيره فقال: من أحال علىٰ غائب حي أو مفقود ميت لم ينتصف منه، وما ألقىٰ هذا بين الناس إلا الشيطان. انتهىٰ.

وقد ذكرت الأخبار التي أشار إليها، وأضفت إليها أشياء كثيرة من جنسها، وغالبها لا يخلو طريقه من علة، وباللَّه المستعان.

واحتج ابن الجوزي أيضًا بما ثبت في «صحيح البخاري» أن النبي ﷺ قال يوم بدر: «**اللَّهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض**».

ذِكر الأخبار التي وردت أن الخضر كان في زمن النبي ﷺ ثم بعده إلىٰ الآن

روىٰ ابن عدي في «الكامل» من طريق عبد اللَّه بن نافع، عن كثير بن عبد اللَّه بن عمرو بن عوف، عن أبيه، عن جده، أن رسول اللَّه ﷺ كان في المسجد فسمع كلامًا من ورائه، فإذا هو يقول: اللَّهم أعني علىٰ ما ينجيني مما خوفتني، فقال رسول اللَّه ﷺ حين سمع ذلك: «**ألا يضم إليها أختها**» فقال الرجل: اللَّهم ارزقني شوق الصالحين إلىٰ ما شوقتهم إليه، فقال النبي ﷺ لأنس بن مالك: «**اذهب يا أنس فقل له يقول لك رسول اللَّه ﷺ. استغفر لي**»، فجاء أنس فبلغه، فقال الرجل: يا أنس أنت رسول رسول اللَّه ﷺ إلي، فارجع فاستثبته، فقال النبي ﷺ: «**قل له: نعم**»، فقال له: اذهب فقل له: إن اللَّه فضلك علىٰ الأنبياء مثل ما فضل به رمضان علىٰ الشهور، وفضل أمتك علىٰ الأمم مثل ما فضل يوم الجمعة علىٰ سائر الأيام، فذهب ينظر إليه فإذا هو الخضر»[(١)]، كثير بن عبد اللَّه ضعفه الأئمة، لكن جاء من غير روايته.

قال أبو الحسين ابن المنادي: أخبرني أبو جعفر أحمد بن النضر العسكري، أن محمد بن سلام المنيحي حدثهم - وأخرجه ابن عساكر من طريق محمد بن الفضل بن جابر، عن محمد بن سلام المنيحي -: حدثنا وضاح بن عباد الكوفي، حدثنا عاصم بن سليمان الأحول، حدثني أنس

(١) أخرجه: ابن عدي (٦/ ٦٢).

ابن مالك ﷺ قال: خرجت ليلة من الليالي أحمل مع النبي ﷺ الطهور، فسمع مناديًا ينادي فقال لي: «**يا أنس صه**»، فسكت فاستمع، فإذا هو يقول: اللَّهم أعني علىٰ ما ينجيني مما خوفتني منه، قال: فقال رسول اللَّه ﷺ: «**لو قال أختها معها**». فكأن الرجل لقن ما أراد النبي ﷺ فقال: «وارزقني شوق الصالحين إلىٰ ما شوقتهم إليه» فقال النبي ﷺ لي: «**يا أنس ضع لي الطهور، وائت هذا المنادي فقل له: ادع اللَّه تعالىٰ لرسول اللَّه ﷺ أن يعينه علىٰ ما ابتعثه به، وادع لأمته أن يأخذوا ما أتاهم به بينهم بالحق**» قال: فأتيته فقلت: رحمك اللَّه ادع اللَّه لرسول اللَّه ﷺ أن يعينه علىٰ ما ابتعثه به، وادع لأمته أن يأخذوا ما أتاهم به بينهم بالحق، فقال لي: ومن أرسلك، فكرهت أن أخبره، ولم أستأمر رسول اللَّه ﷺ، فقلت له: رحمك اللَّه ما يضرك من أرسلني، ادع اللَّه بما قلت لك، فقال: لا، أو تخبرني من أرسلك. قال: فرجعت إلىٰ رسول اللَّه ﷺ فقلت له: يا رسول اللَّه أبىٰ أن يدعو لك بما قلت له حتىٰ أخبره بمن أرسلني فقال: «**ارجع إليه فقل له: أنا رسول رسول اللَّه ﷺ**»، فرجعت إليه فقلت له، فقال لي: مرحبًا برسول رسول اللَّه. أنا كنت أحق أن آتيه، أقرئ علىٰ رسول اللَّه، ﷺ مني السلام، وقل له: يا رسول اللَّه الخضر يقرأ لك السلام ورحمة اللَّه، ويقول لك: يا رسول اللَّه: إن اللَّه فضلك علىٰ الأنبياء كما فضل شهر رمضان علىٰ سائر الشهور، وفضل أمتك علىٰ الأمم كما فضل يوم الجمعة علىٰ سائر الأيام، قال: فلما وليت سمعته يقول: اللَّهم اجعلني من هذه الأمة المرحومة المرشدة المتوب عليها[١].

---

(١) أخرجه: الطبراني في «الأوسط» (٣٠٧١).

وأخرجه الطبراني في «الأوسط» عن بشر بن علي بن بشر العمي، عن محمد بن سلام، وقال: لم يروه عن أنس إلا عاصم، ولا عنه إلا وضاح، تفرد به محمد بن سلام.

قلت: وقد جاء من وجهين آخرين عن أنس رضي الله عنه.

وقال أبو الحسين ابن المنادي: هذا حديث واه بالوضاح وغيره، وهو منكر الإسناد سقيم المتن، ولم يراسل الخضر نبينا ﷺ ولم يلقه، واستبعده ابن الجوزي من جهة إمكان لقياه للنبي ﷺ واجتماعه معه، ثم لا يجيء إليه.

وأخرج ابن عساكر من طريق أبي خالد مؤذن مسجد مسلبة، حدثنا أبو داود، عن أنس، فذكر نحوه.

وقال ابن شاهين: حدثنا موسىٰ بن أنس بن خالد بن عبد اللّٰه بن طلحة ابن موسىٰ بن أنس بن مالك، حدثنا أبي، حدثنا محمد بن عبد اللّٰه الأنصاري، حدثنا حاتم بن أبي رواد، عن معاذ بن عبد اللّٰه بن أبي بكر، عن أبيه، عن أنس رضي الله عنه قال: خرج رسول اللّٰه ﷺ ذات ليلة لحاجة فخرجت خلفه، فسمعنا قائلا يقول: اللّٰهم إني أسألك شوق الصالحين إلىٰ ما شوقتهم إليه، فقال رسول اللّٰه ﷺ «**لو أضاف إليها أختها**»، فسمعنا القائل وهو يقول: اللّٰهم إني أسألك أن تعينني بما ينجيني مما خوفتني منه، فقال رسول اللّٰه ﷺ: «**وجبت ورب الكعبة، يا أنس ائت الرجل فاسأله أن يدعو لرسول اللّٰه أن يرزقه اللّٰه القبول من أمته، والعون علىٰ ما جاء به من الحق، والتصديق**». قال: أنس رضي الله عنه: فأتيت الرجل

فقلت: يا أبا عبد اللَّه، ادع لرسول اللَّه ﷺ فقال لي: ومن أنت، فكرهت أن أخبره، ولم أستأذن، وأبى أن يدعو حتىٰ أخبره. فرجعت إلىٰ رسول اللَّه ﷺ، فأخبرته، فقال: «**أخبره**»، فرجعت فقلت له: أنا رسول رسول اللَّه ﷺ، إليك فقال: مرحبًا برسول رسول اللَّه ﷺ، فدعىٰ له وقال: أقرئه مني السلام، وقل له: أنا أخوك الخضر، أنا كنت أحق أن آتيك قال: فلما وليت سمعته يقول: اللَّهم اجعلني من هذه الأمة المرحومة المتاب عليها.

وقال الدارقطني في «الأفراد»: حدثنا أحمد بن العباس البغوي، حدثنا أنس بن خالد، حدثني محمد بن عبد اللَّه به نحوه.

ومحمد بن عبد اللَّه هذا هو أبو سلمة الأنصاري وهو واهي الحديث جدًّا، وليس هو شيخ البخاري قاضي البصرة ذاك ثقة وهو أقدم من أبي سلمة.

وروينا في «فوائد أبي إسحق إبراهيم بن محمد المزني تخريج الدارقطني»، حدثنا محمد بن إسحاق بن خزيمة، حدثنا محمد بن أحمد ابن زيد، أنا عمر بن عاصم، حدثنا الحسن بن رزين، عن ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عباس - لا أعلمه إلا مرفوعًا إلىٰ النبي ﷺ - قال: «**يلتقي الخضر، وإلياس في كل عام في الموسم يحلق كل واحد منهما رأس صاحبه، ويتفرقان عن هؤلاء الكلمات: بسم اللَّه ما شاء اللَّه، لا يسوق الخير إلا اللَّه. بسم اللَّه ما شاء اللَّه، لا يصرف السوء إلا اللَّه، بسم اللَّه ما شاء اللَّه، لا حول ولا قوة إلا باللَّه**».

قال الدارقطني في «الأفراد»: لم يحدث به عن ابن جريح غير الحسن ابن رزين، وقال أبو جعفر العقليلي: لم يتابع عليه وهو مجهول، وحديثه غير محفوظ، وقال أبو الحسين ابن المنادي: هو حديث واهٍ بالحسن المذكور. انتهىٰ.

قد جاء من غير طريقه لكن من وجه واه جدًّا؛ أخرجه ابن الجوزي من طريق أحمد بن عمار، حدثنا محمد بن مهدي، حدثنا مهدي بن هلال، حدثني ابن جريح، فذكره بلفظ: «**يجتمع البري والبحري إلياس والخضر كل عام بمكة**». قال: ابن عباس بلغنا أنه: يحلق أحدهما رأس صاحبه، ويقول أحدهما للآخر: قل بسم اللَّه - إلىٰ آخره. وزاد قال ابن عباس: قال رسول اللَّه ﷺ: «**ما من عبد قالها في كل يوم إلا أمن من الحرق، والغرق، والسرق، وكل شيء يكرهه حتىٰ يمسي وكذلك حتىٰ يصبح**».

قال ابن الجوزي: أحمد بن عمار متروك عند الدارقطني، ومهدي بن هلال مثله، وقال ابن حبان: مهدي بن هلال يروي الموضوعات.

ومن طريق عبيد بن إسحاق العطار. حدثنا محمد بن ميسر، عن عبد اللَّه بن الحسن، عن أبيه، عن جده، عن علي رضي الله عنه: قال: يجتمع في كل يوم عرفة جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، والخضر، فيقول جبريل: ما شاء اللَّه لا قوة إلا باللَّه، فيرد عليه ميكائيل: ما شاء اللَّه كل نعمة فمن اللَّه، فيرد عليهما إسرافيل: ما شاء الله الخير كله بيد اللَّه، فيرد عليهم الخضر، فيقول: ما شاء اللَّه لا يدفع السوء إلا اللَّه، ثم يتفرقون فلا يجتمعون إلا إلىٰ قابل في مثل هذا اليوم.

وعبيد بن إسحاق متروك الحديث.

وأخرج عبد اللَّه بن أحمد في «زوائد كتاب الزهد لأبيه»، عن الحسن ابن عبد العزيز، عن السري بن يحيىٰ، عن عبد العزيز بن أبي رواد قال يجتمع الخضر وإلياس ببيت المقدس في شهر رمضان من أوله إلىٰ آخره ويفطران علىٰ الكفرس وأمثال الموسم كل عام.

وهذا معضل.

وروينا في «فوائد أبي علي أحمد بن محمد بن علي الباشاني»: حدثنا عبد الرحيم بن حبيب الدارياني، حدثنا صالح، عن أسد بن سعيد، عن جعفر بن محمد، عن آبائه، عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنت عند النبي ﷺ فذكر عنده الأدهان، فقال: «**فضل دهن البنفسج علىٰ سائر الأدهان كفضلنا أهل البيت علىٰ سائر الخلق**». قال: وكان النبي ﷺ يدهن به ويستعط، فذكر حديثا طويلا فيه الكراث، والبازروج، والجرجير، والهندباء، والكمأة، والكرفس، واللحم، والحيتان، وفيه: «**الكمأة من الجنة ماؤها شفاء العين، وفيها شفاء من السم، وهي طعام إلياس واليسع، يجتمعان كل عام بالموسم يشربان شربة من ماء زمزم يكتفيان بها إلىٰ قابل، فيرد اللَّه شبابهما في كل مائة عام مرة، وطعامهما الكمأة والكرفس**»(١).

قال ابن الجوزي: لا يشك حديثي في أن هذا الحديث موضوع، والمتهم به عبد الرحيم بن حبيب، فقد قال ابن حبان: إنه كان يضع الحديث.

---

(١) أخرجه: ابن الجوزي في «الموضوعات» (١٣٣٧).

وقد تقدم عن مقاتل أن اليسع هو الخضر.

وقال ابن شاهين: حدثنا محمد بن أحمد بن عبد العزيز الحراني، حدثنا أبو طاهر خير بن عرفة، حدثنا هانئ بن المتوكل، حدثنا بقية، عن الأوزاعي، عن مكحول، سمعت واثلة بن الأسقع: قال: غزونا مع رسول اللَّه ﷺ غزوة تبوك حتىٰ إذا كنا بأرض جذام، وقد كان أصابنا عطش، فإذا بين أيدينا غيث، فسرنا ميلًا، فإذا بغدير حتىٰ إذا ذهب ثلث الليل إذا نحن بمناد ينادي بصوت حزين: اللَّهم اجعلني من أمة محمد المرحومة، المغفور لها، المستجاب لها، والمبارك عليها، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**يا حذيفة ويا أنس، ادخلا إلىٰ هذا الشعب، فانظرا ما هذا الصوت**» قال: فدخلنا فإذا نحن برجل عليه ثياب بيض أشد بياضًا من الثلج، وإذا وجهه ولحيته كذلك، وإذا هو أعلىٰ جسمًا منا بذراعين أو ثلاثة، فسلمنا عليه، فرد علينا السلام، ثم قال: مرحبًا أنتما رسل رسول اللَّه ﷺ، قلنا: نعم، من أنت رحمك اللَّه؟ قال: أنا إلياس النبي، خرجت أريد مكة، فرأيت عسكركم، فقال لي جند من الملائكة علىٰ مقدمهم جبريل علىٰ ساقتهم ميكائيل: هذا أخوك رسول اللَّه فسلم عليه والقه، ارجعا إليه فأقرئاه مني السلام، وقولا له: لم يمنعني من الدخول إلىٰ عسكركم إلا أني تخوفت أن يذعر الإبل، ويفزع المسلمون من طولي، فإن خلقي ليس كخلقكم، قولا له ﷺ يأتيني.

قال حذيفة وأنس: فصافحناه، فقال لأنس: يا خادم رسول اللَّه، من هذا؟ قال: هذا حذيفة صاحب سر رسول اللَّه ﷺ، فرحب به، ثم قال: واللَّه إنه لفي السماء أشهر منه في الأرض تشبه أهل السماوات صاحب سر

رسول اللَّه ﷺ، قال حذيفة: هل تلقىٰ الملائكة؟ قال: ما من يوم إلا وأنا ألقاهم يسلمون علي، وأسلم عليهم، قال: فأتينا النبي ﷺ، فخرج معنا حتىٰ أتينا الشعب، فإذا ضوء وجه إلياس وثيابه كالشمس، فقال النبي ﷺ: «**علىٰ رسلكم**» فتقدمنا قدر خمسين ذراعًا، فعانقه مليًّا، ثم قعد، فرأينا شيئًا شبه الطير العظام قد أحدقت بهما، وهي بيض قد نشرت أجنحتها، فحالت بيننا وبينهما.

ثم صرخ بنا رسول اللَّه ﷺ، فقال: «**يا حذيفة ويا أنس**» فقدمنا، فإذا بين أيديهما مائدة خضراء لم أر شيئًا قط أحسن منها، قد غلبت خضرتها بياضنا، فصارت وجوهنا خضراء، وإذا عليها جبن، وتمر، ورمان، وموز، وعنب، ورطب، وبصل، ما خلا الكراث، فقال النبي، ﷺ: «**كلوا بسم اللَّه**»، فقلنا يا رسول اللَّه: أمن طعام الدنيا هذا؟ قال: «**لا**» قال: لنا: هذا رزقي، ولي في كل أربعين يومًا وليلة أكلة يأتيني بها الملائكة، فكان هذا تمام الأربعين، وهو شيء يقول اللَّه له: كن فيكون، فقلنا: من أين وجهك؟ قال: خلف رومية كنت في جيش من الملائكة مع جيش من مسلمي الجن غزونا أمة من الكفار. قلنا: فكم مسافة ذلك الموضع الذي كنت فيه؟ قال: أربعة أشهر، وفارقته أنا منذ عشرة أيام، وأنا أريد مكة أشرب منها في كل سنة شربة، وهي ريي وعصمتي إلىٰ تمام الموسم من قابل، قلنا: وأي المواطن أكثر مثواك؟ قال: الشام، وبيت المقدس، والمغرب، واليمن، وليس من مسجد من مساجد محمد ﷺ إلا وأنا أدخله كبيرًا وصغيرًا.

فقلنا: متىٰ عهدك بالخضر؟ قال: منذ سنة كنت قد التقيت أنا وهو

بالموسم وأنا ألقاه بالموسم، وقد كان قال: إنك ستلقىٰ محمدًا قبلي فأقرئه مني السلام ، وعانقه، وبكىٰ وعانقنا وبكىٰ وبكينا ، فنظرنا إليه حين هوىٰ في السماء، وكأنه حمل حملًا . فقلنا : يا رسول اللّٰه لقد رأينا عجبًا إذ هوىٰ إلىٰ السماء قال: «**يكون بين جناحي ملك حتىٰ ينتهي به حيث أراد**»[١] .

قال ابن الجوزي : لعل بقية سمع هذا من كذاب فدلسه عن الأوزاعي . قال: وخير بن عرفة لا يدري من هو قلت: هو محدث مشهور مصري واسم جده عبد اللّٰه بن كامل يكنىٰ أبا الطاهر ، روىٰ عنه أبو طالب الحافظ شيخ الدارقطني وغيره، ومات سنة ٢٨٣ .

وقد رواه غير بقية عن الأوزاعي علىٰ صفة أخرىٰ :

قال ابن أبي الدنيا ، حدثني إبراهيم بن سعيد الجوهري، حدثنا يزيد بن يزيد الموصلي التيمي مولًى لهم، حدثنا أبو إسحاق الحرشي، عن الأوزاعي، عن مكحول، عن أنس رضي الله عنه قال: غزونا مع رسول اللّٰه ﷺ ، حتىٰ إذا كنا بلخ الناقة بهذا الحجر إذا نحن بصوت يقول: اللّٰهم اجعلني من أمة محمد المرحومة المغفور لها المتاب عليها المستجاب منها ، فقال لي رسول اللّٰه ﷺ: «**يا أنس انظر ما هذا الصوت**». قال: فدخلت: الجبل ، فإذا رجل أبيض الرأس واللحية عليه ثياب بيض طوله أكثر من ثلثمائة ذراع ، فلما نظر إلي قال : أنت رسول رسول اللّٰه ﷺ

(١) أخرجه : ابن الجوزي في «الموضوعات» (٤٠٩) .

قلت: نعم. قال: ارجع إليه فاقرأ عليه مني السلام، وقل له: هذا أخوك إلياس يريد يلقاك، فجاء النبي ﷺ وأنا معه، حتىٰ كنت قريبًا منه تقدم وتأخرت، فتحدثا طويلًا فنزل عليهما شيء من السماء شبيه السفرة، فدعواني فأكلت معهما، فإذا فيها كمأة، ورمان، وكرفس، فلما أكلت قمت فتنحيت، وجاءت سحابة فاحتملته، فجلعت أنظر إلىٰ بياض ثيابه فيها تهوي به قبل الشام، فقلت للنبي ﷺ: بأبي أنت وأمي، هذا الطعام الذي أكلنا من السماء نزل عليك؟ قال: «**سألته عنه فقال: أتاني به جبريل، ولي كل أربعين يومًا أكلة، وفي كل حول شربة من ماء زمزم، وربما رأيته علىٰ الجب يمسك الدلو فيشرب، وربما سقاني**».

قال ابن الجوزي: يزيد وأبو إسحاق لا يعرفان، وقد خالف هذا الذي قبله في طول إلياس.

وأخرج ابن عساكر من طريق علي بن الحسين بن ثابت الدوري، عن هشام بن خالد، عن الحسين بن يحيىٰ الحسني، عن ابن أبي رواد قال: «الخضر وإلياس يصومان ببيت المقدس، ويحجان في كل سنة، ويشربان من زمزم شربة تكفيهما إلىٰ مثلها من قابل.

ثم وجدت في زيادات «الزهد» لعبد اللّٰه بن أحمد بن حنبل قال: وجدت في كتاب أبي بخطه: حدثنا مهدي بن جعفر، حدثني ضمرة، عن السري بن يحيىٰ، عن ابن أبي رواد قال: «إلياس والخضر يصومان شهر رمضان ببيت المقدس، ويوافيان الموسم في كل عام».

قال عبد اللَّه: وحدثني الحسن - هو ابن رافع - عن ضمرة، عن السري، عن عبد العزيز بن أبي رواد، مثله.

وقال ابن جرير في «تاريخه»: حدثنا عبد الرحمن بن عبد اللَّه بن الحكم المصري، حدثنا محمد بن المتوكل، حدثنا ضمرة بن ربيعة، عن عبد اللَّه بن شوذب قال: «الخضر من ولد فارس وإلياس من بني إسرائيل، يلتقيان في كل عام بالموسم».

وقال الفاكهي في كتاب «مكة» حدثنا الزبير بن بكار، حدثني حمزة بن عتبة، حدثني محمد بن عمران، عن جعفر بن محمد بن علي قال: كنت مع أبي بمكة في ليالي العشر، وأبي قائم يصلي في الحجر، فدخل عليه رجل أبيض الرأس واللحية من الأعراب، فجلس إلىٰ جنب أبي، فخفف فقال: إني جئتك يرحمك اللَّه تخبرني عن أول خلق هذا البيت؟ قال: ومن أنت؟ قال: أنا رجل من أهل المغرب، قال: إن أول خلق هذا البيت أن اللَّه لما رد عليه الملائكة حيث قالوا: ﴿أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا﴾ [البَقَرَة: ٣٠] غضب، فطافوا بعرشه، فاعتذروا فرضي عنهم، وقال: اجعلوا لي في الأرض بيتًا يطوف به من عبادي من أغضب عليه فأرضىٰ عنه كما رضيت عنكم، فقال له الرجل: أي يرحمك ما بقي من أهل زمانك أعلم منك. ثم ولىٰ فقال لي أبي: أدرك الرجل فرده علي فخرجت وأنا أنظر إليه، فلما بلغ باب الصفا مثل فكأنه لم يكن شيئًا فأخبرت أبي فقال: تدري من هذا؟ قال: قلت: لا. قال: هذ الخضر.

باب ما جاء في بقاء الخضر بعد النبي ﷺ ومن نقل عنه أنه رآه وكلمه

قال ابن أبي حاتم في «التفسير»: حدثنا أبي، حدثنا عبد العزيز الأويسي، حدثنا علي بن أبي علي الهاشمي، عن جعفر بن محمد بن علي ابن الحسين، عن أبيه، أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: لما توفي النبي ﷺ وجاءت التعزية فجاءهم آت يسمعون حسه، ولا يرون شخصه فقال: السلام عليكم أهل البيت ورحمة اللَّه وبركاته، كل نفس ذائقة الموت، وإنما توفون أجوركم يوم القيامة، إن في اللَّه عزاء من كل مصيبة، وخلفًا من كل هالك، ودركًا من كل ما فات، فباللَّه فثقوا وإياه فارجو، فإن المصاب من حُرم الثواب، قال جعفر: أخبرني أبي أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: تدرون من هذا؟ هذا الخضر.

ورواه محمد بن منصور الجزار، عن محمد بن جعفر، وعبد اللَّه بن ميمون القداح جميعًا، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن علي بن الحسين، سمعت أبي يقول: «لما قبض رسول اللَّه ﷺ جاءت التعزية، يسمعون حسه، ولا يرون شخصه: السلام عليكم ورحمة اللَّه أهل البيت، إن في اللَّه عزاء من كل مصيبة، وخلفًا من كل هالك، ودركًا من كل ما فات، فباللَّه فثقوا وإياه فارجوا، فإن المحروم من حرم الثواب فقال علي رضي الله عنه: تدرون من هذا؟ هذا الخضر.

قال ابن الجوزي: تابعه محمد بن صالح، عن محمد بن جعفر،

ومحمد بن صالح ضعيف، ورواه والواقدي وهو كذاب، ورواه محمد بن أبي عمر، عن محمد بن جعفر، وابن أبي عمر مجهول .

قلت: هذا إطلاق ضعيف؛ فابن أبي عمر أشهر من أن يقال فيه هذا، هو شيخ مسلم وغيره من الأئمة، وهو ثقة حافظ صاحب مسند مشهور به مروي .

وهذا الحديث فيه، أخبرنا به شيخنا حافظ العصر أبو الفضل بن الحسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: أخبرني أبو محمد بن القيم، أنا أبو الحسن بن البخاري، عن محمد بن معمر، أنا سعيد بن أبي الرجا، أنا أحمد بن محمد بن النعمان، أنا أبو بكر بن المقرئ، أنا إسحاق بن أحمد الخزاعي، حدثنا محمد بن يحيىٰ بن أبي عمر العدني، حدثنا محمد بن جعفر قال: كان أبي - هو جعفر بن محمد الصادق - يذكر، عن أبيه، عن جده، عن علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ : أنه دخل عليه نفر من قريش فقال : ألا أحدثكم عن أبي القاسم، قالوا : بلىٰ - فذكر الحديث بطوله في وفاة النبي ﷺ، وفي آخره : «فقال جبريل : يا أحمد، عليكم السلام، هذا آخر وطني في الأرض، إنما كنت أنت حاجتي من الدنيا، فلما قبض رسول اللَّه ﷺ، وجاءت التعزية جاء آت يسمعون حسه، ولا يرون شخصه، فقال: السلام عليكم أهل البيت ورحمة اللَّه، إن في اللَّه عزاء من كل مصيبة، وخلفًا من كل هالك، ودركا من كل فائت، فباللَّه فثقوا وإياه فارجوا، فإن المحروم من حرم الثواب، وإن المصاب من حرم الثواب، والسلام عليكم فقال علي : هل تدرون من هذا؟ هذا الخضر . اهـ.

ومحمد بن جعفر هو أخو موسىٰ الكاظم، حدث عن أبيه وغيره، رویٰ عنه إبراهيم بن المنذر وغيره، وكان قد دعىٰ لنفسه بالمدينة، وبمكة وحج بالناس سنة ٢٠٠ وبايعوه بالخلافة فحج المعتصم فظفر به، فحمل إلىٰ أخيه المأمون بخراسان فمات بجرجان سنة ٢٠٣.

وذكر الخطيب في ترجمته أنه لما ظفر به صعد المنبر فقال: أيها الناس، إني كنت قد حدثتكم بأحاديث زورتها، فشق الناس الكتب التي سمعوها منه وعاش سبعين سنة، قال البخاري: أخوه إسحاق أوثق منه، وأخرج له الحاكم حديثًا - قال الذهبي: إنه ظاهر النكارة - في ذكر سليمان بن داود عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وقال سيف بن عمرو التميمي في كتاب «الردة»: له عن سعيد بن عبد اللَّه، عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «لما توفي رسول اللَّه ﷺ جاء أبو بكر حتىٰ دخل عليه، فلما رآه قال: إنا للَّه وإنا إليه راجعون، وصلىٰ عليه، فرفع أهل البيت عجيجًا سمعه أهل المصلىٰ، فلما سكن ما بهم سمعوا تسليم رجل علىٰ الباب صيت جلد، يقول: السلام عليكم يا أهل البيت كل نفس ذائقة الموت، وإنما توفون أجوركم يوم القيامة، ألا وإن في اللَّه خلفًا من كل أحد، ونجاة من كل مخافة، واللَّه فاجروا وبه فثقوا فإن المصاب من حرم الثواب، فاستمعوا له وقطعوا البكاء ثم طلعوا فلم يروا أحدًا، فعادوا لبكائهم، فناداهم مناد آخر: يا أهل البيت، ذكروا اللَّه تعالىٰ، واحمدوه علىٰ كل حال تكونوا من المخلصين، إن في اللَّه عزاء من كل مصيبة، وعوضًا من كل هلكة، فباللَّه فثقوا وإياه فأطيعوا، فإن

المصاب من حرم الثواب، فقال أبو بكر رضي الله عنه هذا الخضر وإلياس قد حضر وفاة رسول اللَّه ﷺ.

وسيف فيه مقال وشيخه لا يعرف.

وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا كامل بن طلحة، أخبرنا عباد بن عبد الصمد، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: لما قبض رسول اللَّه ﷺ، اجتمع أصحابه حوله يبكون، فدخل عليهم رجل طويل أشعر المنكبين في إزار ورداء، يتخطىٰ أصحاب رسول اللَّه ﷺ، حتىٰ أخذ بعضادتي باب البيت فبكىٰ، ثم أقبل علىٰ الصحابة فقال: إن في اللَّه عزاء من كل مصيبة، وعوضًا من كل ما فات، وخلفًا من كل هالك، فإلىٰ اللَّه فأثيبوا، وبنظره إليكم في البلاء فانظروا، فإن المصاب من لم يجز بالثواب، ثم ذهب الرجل فقال أبو بكر رضي الله عنه: علي بالرجل، فنظروا يمينًا وشمالا فلم يروا أحدًا، فقال أبو بكر رضي الله عنه: لعل هذا الخضر أخو نبينا جاء يعزينا عليه ﷺ.

عباد ضعفه البخاري والعقيلي.

و قد أخرجه الطبراني في «الأوسط» عن موسىٰ بن هارون، عن كامل، وقال تفرد به عباد عن أنس رضي الله عنه.

وقال ابن شاهين في كتاب «الجنائز» له: حدثنا ابن أبي داود، ثنا أحمد ابن عمرو بن السراج، ثنا ابن وهب، عمن حدثه، عن محمد بن عجلان، عن محمد بن المنكدر، قال: بينما عمر بن الخطاب يصلي علىٰ جنازة إذا هاتف يهتف من خلفه: ألا لا تسبقنا بالصلاة رحمك اللَّه، فانتظره

حتىٰ لحق بالصف فكبر فقال: إن تعذبه فقد عصاك ، وإن تغفر له فإنه فقير إلىٰ رحمتك، فنظر عمر وأصحابه إلىٰ الرجل ، فلما دفن الميت سوىٰ الرجل عليه من تراب القبر، ثم قال: طوبىٰ لك يا صاحب القبر ، إن لم تكن عريفًا أو جابيًا ، أو خازنًا ، أو كاتبًا ، أو شرطيًّا فقال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : خذوا لي هذا الرجل نسأله عن صلاته وعن كلامه ، فتولىٰ الرجل عنهم ، فإذا أثر قدمه ذراع فقال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : هذا واللَّه الخضر الذي حدثنا عنه النبي ﷺ .

قال ابن الجوزي : فيه مجهول، وانقطاع بين ابن المنكدر وعمر.

وقال ابن أبي الدنيا : ثنا أبي، ثنا علي بن شقيق، ثنا ابن المبارك، أنبأنا عمر بن محمد بن المنكدر، قال : بينما رجل يمشي يبيع ويحلف قام عليه شيخ فقال: يا هذا بع ولا تحلف ، فعاد فحلف فقال: بع ولا تحلف ، قال: أقبل علىٰ ما يعنيك قال: هذا ما يعنيني، ثم قال: آثر الصدق علىٰ ما يضرك علىٰ الكذب فيما ينفعك، وتكلم فإذا انقطع علمك فاسكت، واتهم الكاذب فيما يحدثك به غيرك . قال: اكتب لي هذا الكلام ، فقال : إن يقدر شيء يكن، ثم لم يره ، فكانوا يرون أنه الخضر .

قال ابن الجوزي : كأن هذا أصل الحديث .

وقد رواه أبو عمر بن السماك في «فوائده»، عن يحيىٰ بن أبي طالب، عن علي بن عاصم، عن عبد اللَّه بن عبد اللَّه قال: كان ابن عمر قاعدًا ورجل قد أقام سلعته يريد بيعها ، فجعل يكرر الأيمان إذا مر به رجل فقال : اتق اللَّه ولا تحلف به كاذبًا، عليك بالصدق فيما يضرك، وإياك

والكذب فيما ينفعك، ولا تزيدن في حديث غيرك، فقال ابن عمر لرجل: اتبعه فقل له: اكتب هذه الكلمات، فتبعه، فقال: ما يقضىٰ من شيء يكن، ثم فقده فرجع، فأخبر ابن عمر فقال ابن عمر رضي الله عنه: ذاك الخضر.

قال ابن الجوزي: علي بن عاصم ضعيف سيئ الحفظ، لعله أراد أن يقول: عمر بن محمد بن المنكدر، فقال: ابن عمر. وقد رواه أحمد بن محمد بن مصعب - أحد الوضاعين -، عن جماعة مجاهيل، عن عطاء، عن ابن عمر رضي الله عنهما.

قلت: وجدت طريقًا جيدة غير هذا عن ابن عمر رضي الله عنه:

قال البيهقي في «دلائل النبوة»: أنا أبو زكريا بن أبي إسحاق، ثنا أحمد ابن سليمان الفقيه، ثنا الحجاج بن قرافصة، أن رجلين كانا يتبايعان عند عبد اللَّه بن عمر رضي الله عنهما فكان أحدهما يكثر الحلف فبينما هما كذلك إذ مر بهما رجل فقام عليهما فقال للذي يكثر الحلف: يا عبد اللَّه اتق اللَّه، ولا تكثر الحلف، فإنه لا يزيد في رزقك إن حلفت، ولا ينقص من رزقك إن لم تحلف، قال: امض لما يعنيك، قال: إن هذا ما يعنيني، قالها ثلاث مرات، ورد عليه قوله، فلما أراد أن ينصرف عنهما قال: اعلم أن من الإيمان أن تؤثر الصدق حيث يضرك على الكذب حيث ينفعك، ولا يكن في قولك فضل علىٰ فعلك. ثم انصرف فقال عبد اللَّه بن عمر: الحقه فاستكتبه هؤلاء الكلمات فقال: يا عبد اللَّه اكتبني هذه الكلمات يرحمك اللَّه فقال الرجل: ما يقدر اللَّه يكن، وأعادها عليه حتىٰ حفظهن،

ثم مشىٰ حتىٰ وضع إحدىٰ رجليه في المسجد، فما أدري أرض تحته أم سماء قال: فكانوا يرون أنه الخضر أو إلياس.

وقال ابن أبي الدنيا : ثنا يعقوب بن يوسف، ثنا مالك بن إسماعيل، ثنا صالح بن أبي الأسود، عن محفوظ بن عبد اللَّه، عن شيخ من حضرموت، عن محمد بن يحيىٰ قال: قال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : بينما أنا أطوف البيت إذا أنا برجل معلق بالأستار، وهو يقول: يا من لا يشغله سمع عن سمع، يا من لا يغلطه السائلون، يا من لا يتبرم بإلحاح الملحين، أذقني برد عفوك، وحلاوة رحمتك، قال: قلت : دعاؤك هذا عافاك اللَّه أعده، قال: وقد سمعته؟ قلت: نعم قال: فادع به في دبر كل صلاة، فوالذي نفس الخضر بيده لو أن عليك من الذنوب عدد نجوم السماء، وحصىٰ الأرض لغفر اللَّه لك أسرع من طرفة عين.

وأخرجه الدينوري في «المجالسة» من هذا الوجه.

وقد روىٰ أحمد بن حرب النيسابوري، عن محمد بن معاذ الهروي، عن سفيان الثوري، عن عبد اللَّه بن محرز، عن يزيد الأصم، عن علي ابن أبي طالب - فذكر نحوه، ولكن قال: فقلت: يا عبد اللَّه أعد الكلام قال: وسمعته؟ قلت: نعم قال: والذي نفس الخضر بيده، وكان الخضر يقولهن عند دبر الصلاة المكتوبة، لا يقولها أحد دبر الصلاة المكتوبة إلا غفرت ذنوبه، وإن كانت مثل رمل عالج وعدد المطر، وورق الشجر.

ورواه محمد بن معاذ الهروي، عن أبي عبيد المخزومي، عن عبد اللَّه ابن الوليد، عن محمد بن حميد، عن سفيان الثوري - نحوه.

وأخرج البيقهي في «الدلائل» قال: ثنا أبو عبد اللَّه الحافظ، ثنا أبو جعفر البغدادي، ثنا عبد اللَّه بن عبد الرحمن الصنعاني، ثنا أبو الوليد المخزومي، ثنا أنس بن عياض، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جابر بن عبد اللَّه قال: «لما توفي رسول اللَّه ﷺ، عزتهم الملائكة، يسمعون الحس، ولا يرون الشخص، فقال: السلام عليكم أهل البيت ورحمة اللَّه وبركاته، إن في اللَّه عزاء من كل مصيبة، وخلفًا من كل فائت، فباللَّه فثقوا وإياه فارجوا فإنما المحروم من حرم الثواب، والسلام عليكم ورحمة اللَّه وبركاته»(١).

وقال البيهقي أيضًا: أنا أبو شعبة أحمد بن محمد بن عمرو الأحمسي، حدثنا الحسن بن حميد بن الربيع اللخمي، ثنا عبد اللَّه بن أبي زياد، ثنا شيبان بن حاتم، ثنا عبد الواحد بن سليمان الحارثي، ثنا الحسن بن علي، عن محمد بن علي - هو ابن الحسين بن علي - قال: «لما كان قبل وفاة رسول اللَّه ﷺ هبط إليه جبرائيل - فذكر قصة الوفاة مطولة وفيه: «فأتاهم آت يسمعون حسه، ولا يرون شخصه، فقال: السلام عليكم ورحمة اللَّه وبركاته»، فذكر مثله في التعزية.

وروىٰ سيف في «الفتوح» أن جماعة كانوا مع سعد بن أبي وقاص، فرأوا أبا محجن وهو يقاتل، فذكر قصة أبي محجن بطولها، وأنهم قالوا - وهم لا يعرفونه -: «ما هو إلا الخضر»، وهذا يقتضىٰ أنهم كانوا جازمين بوجود الخضر في ذلك الوقت.

(١) أخرجه: البيهقي في «الدلائل» (٧/ ٢٦٨-٢٦٩).

وقال أبو عبد اللَّه بن بطة العكبري الحنبلىٰ: ثنا شعيب بن أحمد بن أبي العوام، ثنا أبي، ثنا إبراهيم بن عبد الحميد الواسطي، ثنا أبين بن سفيان، عن غالب بن عبد اللَّه العقيلي، عن الحسن البصري قال: «اختلف رجل من أهل السنة، وغيلان القدري في شيء من القدر، فتراضيا بينهما علىٰ أول رجل يطلع عليهما من ناحية ذكراها، فطلع عليهما أعرابي، فطوىٰ عباءة فجعلها علىٰ كتفه فقالا له: رضيناك حكما فيما بيننا فطوىٰ كساءه، ثم جلس عليه، ثم قال: اجلسا، فجلسنا بين يديه، فحكم علىٰ غيلان، قال الحسن: ذاك الخضر».

في إسناده أبين في سفيان، وهو متروك.

وروىٰ حماد بن عمر النصيبي - أحد المتروكين - ثنا السري بن خالد، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده علي بن الحسين، أن مولًى لهم ركب البحر فكسر به، فبينا هو يسير علىٰ ساحله، إذ نظر إلىٰ رجل علىٰ شاطئ البحر، ونظر إلىٰ مائدة نزلت من السماء فوضعت بين يديه فأكل منها، ثم رفعت، فقال له: بالذي وفقك بما أرىٰ؛ أي عباد اللَّه أنت؟ قال: بالخضر الذي تسمع به فقال: بماذا جاءك هذا الطعام والشراب؟ قال: بأسماء اللَّه العظام.

وأخرج أحمد في كتاب «الزهد» له عن حماد بن أسامة، ثنا مسعر، عن معن بن عبد الرحمن بن عبد اللَّه بن مسعود، عن عون بن عبد اللَّه بن عتبة بن مسعود قال: بينما رجل في بستان بمصر في فتنة ابن الزبير مهمومًا مكتئبًا ينكث في الأرض بشيء إذ رفع رأسه، فإذا بفتًى صاحب مسحاة قد

سنح له قائمًا بين يديه، فرفع رأسه فكأنه ازدراه فقال له: ما لي أراك مهمومًا؟ قال: لا شيء. قال: أما الدنيا فإن الدنيا عرض حاضر يأكل منه البر والفاجر، وإن الآخرة أجل صادق يحكم فيه ملك قادر، حتىٰ ذكر أن لها مفصلًا كمفاصل اللحم من أخطأ شيئًا أخطأ الحق، قال: فلما سمع ذلك منه أعجبه فقال: اهتمامي بما فيه المسلمون، قال: فإن اللَّه سينجيك بشفقتك علىٰ المسلمين، وسل من ذا الذي سأل اللَّه فلم يعطه، أو دعاه فلم يجبه، أو توكل عليه فلم يكفه، أو وثق به فلم ينجه، قال: فطفقت أقول: اللَّهم سلمني وسلم مني قال: فتجلت ولم يصب فيها بشيء، قال مسعر: يرون أنه الخضر.

وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» في ترجمة عون بن عبد اللَّه من طريق أبي أسامة - وهو حماد بن أسامة - وقال بعده: ورواه ابن عيينة، عن مسعر.

وقال إبراهيم بن محمد بن سفيان - الراوي عن مسلم - عقب روايته، عن مسلم لحديث أبي سعيد في قصة الذي يقتله الدجال: يقال: إن هذا الرجل الخضر.

وقال عبد الرزاق: أنا معمر، عن الزهري، عن عبيد اللَّه بن عبد اللَّه ابن عتبة، عن أبي سعيد - في قصة الذي يقتله الدجال، وفي آخره - قال معمر: بلغني أنه يجعل علىٰ حلقة صفيحة من نحاس، وبلغني أنه الخضر، وهذا عزاه النووي لمسند معمر، فأوهم أن له فيه سندًا، وإنما هو قول معمر.

وقال أبو نعيم في «الحلية»: ثنا عبيد اللَّه بن محمد - هو أبو الشيخ -، ثنا محمد بن يحيىٰ - هو ابن منده -، ثنا أحمد بن منصور المروزي، ثنا أحمد بن جميل، قال: قال سفيان ابن عيينه: بينا أنا أطوف بالبيت إذا أنا برجل مشرف علىٰ الناس حسن الشبه، فقلنا بعضنا لبعض: ما أشبه هذا الرجل أن يكون من أهل العلم، قال: فاتبعناه حتىٰ قضىٰ طوافه، فسار إلىٰ المقام فصلىٰ ركعتين، فلما سلم أقبل علىٰ القبلة فدعىٰ بدعوات ثم التفت إلينا فقال: هل تدرون ماذا قال ربكم؟ قلنا: وماذا؟ قال: قال ربكم: أنا الملك أدعوكم إلىٰ أن تكونوا ملوكًا، ثم أقبل علىٰ القبلة فدعىٰ بدعوات، ثم التفت إلينا فقال: تدرون ماذا قال ربكم؟ قلنا: ماذا؟ قال: قال ربكم: أنا الحي الذي لا يموت أدعوكم إلىٰ أن تكونوا أحياء لا تموتون. ثم أقبل علىٰ القبلة فدعىٰ بدعوات، ثم التفت إلينا فقال: تدرون ماذا قال ربكم؟ قلنا: ماذا قال ربنا؟ حدثنا يرحمك قال: قال ربكم: أنا الذي إذا أردت شيئًا كان أدعوكم إلىٰ أن تكونوا بحال إذا أردتم شيئًا كان لكم، قال ابن عيينة: ثم ذهب فلم نره قال: فلقيت سفيان الثوري فأخبر بعد ذلك فقال: ما أشبه أن يكون هذا الخضر، أو بعض هؤلاء الأبدال.

تابعه محرز بن أبي جدعة عن سفيان، ورواها زياد بن أبي الأصبع عن سفيان أيضًا، وروىٰ محمد بن الحسن بن أبي الأزهر، عن العباس بن يزيد، عن سفيان نحوها.

وأخرج أبو سعيد في «شرف المصطفىٰ» من طريق أحمد بن أبي ترة، ثنا محمد بن الفرات، عن ميسر بن سعيد (بن أبي عروبة)، عن أبيه: بينما

الحسن في مجلسه، والناس حوله، إذ أقبل رجل مخضرة عيناه، فقال له الحسن: أهكذا ولدتك أمك أم هي بينة؟ قال: أو ما تعرفني يا أبا سعيد: قال: من أنت، فانتسب له فلم يبق في المجلس أحد إلا عرفه، فقال: يا هذا ما قصتك، فقال: يا أبا سعيد عمدت إلىٰ جميع مالي فألقيته في مركب فخرجت أريد الصين، فصعفت علينا ريح فغرقت، فخرجت إلىٰ بعض السواحل علىٰ لوح فأقمت أتردد نحوًا من أربعة أشهر، آكل ما أصيب من الشجر والعشب، وأشرب من ماء العيون. ثم قلت: لأمضين علىٰ وجهي فإما أن أهلك، وإما أن أنجو، فسرت فرفع لي قصر كان سناه فضة، فرفعت مصراعه، فإذا داخله أروقة في كل طاق منها صندوق من لؤلؤ، وعليها أقفال مفاتيحها رأي العين، ففتحت بعضها فخرجت من جوفه رائحة طيبة، وإذا فيه رجال مدرجون في ألوان الحرير، فحركت بعضهم، فإذا هو ميت في صفة حي، فأطبقت الصندوق، وخرجت وأغلقت باب القصر، ومضيت فإذا أنا بفارسين، لم أر مثلهما جمالًا علىٰ فرسين أغرين محجلين، فسألاني عن قصتي فأخبرتهما، فقالا: تقدم أمامك فإنك تصير إلىٰ شجرة تحتها روضة هناك شيخ حسن الهيئة علىٰ دكان يصلي، فأخبره خبرك فإنه يرشدك إلىٰ الطريق. فمضيت فإذا أنا بالشيخ فلسمت فرد علي وسألني عن قصتي، ثم قال: ما صنعت؟ قلت: أطبقت الصناديق وأغلقت الأبواب، فسكن، وقال: اجلس، فمرت به سحابة فقالت: السلام عليكم يا ولي اللّٰه، فقال: أين تريدين؟ قالت: أريد بلد كذا وكذا، فلم تزل تمر به سحابه بعد سحابة حتىٰ أقبلت سحابة فقال: أين تريدين؟ قالت: البصرة، قال:

انزلي فنزلت ، فصارت بين يديه ، فقال : احملي هذا حتىٰ تؤديه إلىٰ منزله سالمًا فلما صرت علىٰ متن السحابة قلت : أسألك بالذي أكرمك إلا أخبرتني عن القصر، وعن الفارسين، وعنك ، قال : أما القصر : فقد أكرم اللَّه به شهداء البحر ووكل بهم ملائكة يلقطونهم من البحر فيصيرونهم في تلك الصناديق مدرجين في أكفان الحرير، والفارسان : ملكان يغدوان ويروحان عليهم بالسلام من أمر اللَّه . وأما أنا : فالخضر، وقد سألت ربي أن يحشرني مع أمة نبيكم . قال الرجل : فلما صرت علىٰ السحابة أصابني الفزع من هول عظيم حتىٰ صرت إلىٰ ما ترىٰ ، فقال الحسن : لقد عاينت عظيمًا .

وروىٰ الطبراني في «كتاب الدعاء» قال : ثنا يحيىٰ بن محمد الحنائي ، ثنا المعلىٰ بن حرمي ، عن محمد بن مهاجر البصري، ثنىٰ أبو عبد اللَّه بن التوم الرقاشي ، أن سليمان بن عبد الملك أخاف رجلًا وطلبه ليقتله، فهرب الرجل فجعلت رسله تختلف إلىٰ منزل ذلك الرجل يطلبونه فلم يظفر به ، فجعل الرجل لا يأتي بلدة إلا قيل له : قد كنت تطلب ها هنا ، فلما طال عليه الأمر عزم علىٰ أن يأتي بلدة لا حكم لسليمان عليها - فذكر قصة - فيها : فبينا هو في صحراء ليس فيها شجر ولا ماء ، إذا هو برجل يصلي ، قال : فخفته، ثم رجعت إلىٰ نفسي فقلت : واللَّه ما معه راحلة ولا دابة . قال : فقصدت نحوه فركع وسجد، ثم التفت إلي فقال : لعل هذا الطاغي أخافك؟ قلت : أجل قال : فما يمنعك من السبع؟ قلت : يرحمك اللَّه وما السبع؟ قال : قل سبحان الواحد الذي ليس غيره إله، سبحان القديم الذي لا بارئ له، سبحان الدائم الذي لا نفاد له، سبحان

الذي هو كل يوم في شأن، سبحان الذي يحيي ويميت، سبحان الذي خلق ما يرىٰ وما لا يرىٰ، سبحان الذي علم كل شيء بغير تعليم. ثم قال: قلها فقلتها وحفظتها والتفتُّ فلم أر الرجل. قال: وألقىٰ اللَّه في قلبي الأمن، ورجعت راجعًا من طريق أريد أهلي، فقلت: لآتين باب سليمان بن عبد الملك، فأتيت بابه فإذا هو يوم إذنه، وهو يأذن للناس فدخلت، وإنه لعلىٰ فراشه، فما غدا أن رآني فاستوىٰ علىٰ فراشه، ثم أومأ إلي فما زال يدنيني حتىٰ قعدت معه علىٰ الفراش، قال: سحرتني أو ساحر أنت مع ما بلغني عنك، فقلت: يا أمير المؤمنين ما أنا بساحر، ولا أعرف السحر، ولا سحرتك قال: فكيف؟ فما ظننت أنه يتم ملكي إلا بقتلك، فلما رأيتك لم أستقر حتىٰ دعوتك فأقعدتك معي علىٰ فراشي، ثم قال: اصدقني أمرك، فأخبرته قال: يقول سليمان: الخضر واللَّه الذي لا إله إلا هو علمكها. اكتبوا له أمانًا وأحسنوا جائزته واحملوه إلىٰ أهله.

وأخرج أبو نعيم في «الحلية» في ترجمة رجاء بن حيوة من «تاريخ السراج»، ثم من رواية محمد بن ذكوان، عن رجاء بن حيوة قال: إني لواقف مع سليمان بن عبد الملك وكانت لي منه منزلة، إذ جاء رجل ذكر رجاء من حسن هيئته قال: فسلم فقال: يا رجاء إنك قد ابتليت بهذا الرجل وفي قربه الزيغ، يا رجاء عليك بالمعروف وعون الضعيف. واعلم يا رجاء أنه من كانت له منزلة من السلطان فرفع حاجة إنسان ضعيف لا يستطيع رفعها لقي اللَّه يوم القيامة، وقد ثبت قدميه للحساب. واعلم يا رجاء أنه من كان في حاجة أخيه المسلم كان اللَّه في حاجته، واعلم

يا رجاء أن من أحب الأعمال إلىٰ اللَّه فرَجًا أدخلته علىٰ مسلم، ثم فقده، وكان يرىٰ أنه الخضر عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وذكر الزبير بن بكار في «الموفقيات» قال: أخبرني السري بن الحارث الأنصاري من ولد الحارث بن الصمة، عن مصعب بن ثابت بن عبد اللَّه ابن الزبير، وكان يصلي في اليوم والليلة ألف ركعة ويصوم الدهر، قال: بت ليلة في المسجد، فلما خرج الناس إذا رجل قد جاء إلىٰ بيت النبي ﷺ، ثم أسند ظهره إلىٰ الجدار، ثم قال: اللَّهم إنك تعلم أني كنت أمس صائمًا، ثم أمسيت فلم أفطر علىٰ شيء، وظللت اليوم صائمًا، ثم أمسيت، ولم أفطر علىٰ شيء، اللَّهم وإني أمسيت وأشتهي الثريد فأطعمنيها من عندك. قال: فنظرت إلىٰ وصيف داخل من خوخة المنارة ليس في خلقة الناس معه قصعة فأهوىٰ بها إلىٰ الرجل فوضعها بين يديه، وجلس الرجل يأكل، وحصبني فقال: هلم، فجئت وظننت أنها من الجنة، فأحببت أن آكل منها فأكلت منها لقمة، فإذا طعام لا يشبه طعام الدنيا، ثم احتشمت فقمت فرجعت مكاني، فلما فرغ من أكله أخذ الوصيف القصعة، ثم أهوىٰ راجعًا من حيث جاء، ثم قام الرجل منصرفا فاتبعته لأعرفه فمثل فلا أدري أين سار، فظننته الخضر.

وأخرج ابن عساكر من طريق إبراهيم بن عبد اللَّه بن المغيرة، عن عبد اللَّه، حدثني أبي أن قوام المسجد قالوا للوليد بن عبد الملك: إن الخضر يصلي كل ليلة في المسجد.

وقال إسحاق بن إبراهيم الحنبلي في كتاب «الرماح» له: ثنا عثمان بن

سعيد الأنطاعي، ثنا علي بن العشم المصيصي، عن عبد الحميد بن بحر، عن سلام الطويل، عن داود بن يحيىٰ مولىٰ عون الطفاوي، عن رجل كان مرابطًا في بيت المقدس وبعسقلان، قال: بينا أنا أسير في وادي الأردن إذا أنا برجل في ناحية الوادي قائم يصلي، فإذا بسحابة تظله من الشمس، فوقع في قلبي أنه إلياس النبي؛ فأتيته فسلمت عليه، فانفلت من صلاته فرد السلام، فقلت له: من أنت يرحمك اللَّه، فلم يرد علي شيئًا، فأعدت عليه القول مرتين، فقال: أنا إلياس النبي، فأخذتني رعدة شديدة خشيت علىٰ عقلي أن يذهب، فقلت له: إن رأيت رحمك اللَّه أن تدعو لي أن يذهب اللَّه عني ما أجد حتىٰ أفهم حديثك، قال: فدعا لي ثمان دعوات، فقال: يا بر يا رحيم، يا حي، يا قيوم، يا حنان، يا منان، يا هيا شرا هيا، فذهب عني ما كنت أجد فقلت: إلىٰ من بعثت قال إلىٰ أهل بعلبك، قلت: فهل يوحىٰ إليك اليوم؟ فقال: أما من بعث محمد خاتم النبيين فلا، قلت: فكم من الأنبياء في الحياة قال: أربعة، أنا والخضر في الأرض، وإدريس وعيسىٰ في السماء، قلت: فهل تلتقي أنت والخضر؟ قال: نعم في كل عام بعرفات قلت: فما حديثكما؟ قال يأخذ من شعري وآخذ شعره قلت: فكم الأبدال: قال: هم ستون رجلًا: خمسون ما بين عريش مصر إلىٰ شاطئ الفرات، ورجلان بالمصيصة، ورجل بأنطاكية، وسبعة في سائر الأمصار بهم يسقون الغيث، وبهم ينصرون علىٰ العدو، وبهم يقيم اللَّه أمر الدنيا حتىٰ إذا أراد أن يهلك الدنيا أماتهم جميعًا.

في إسناده جهالة ومتروكون.

وقال أبو الحسين ابن المنادي في الجزء المذكور: ثني أحمد بن ملاعب، ثنا يحيىٰ بن سعيد السعدي، ني أبو جعفر الكوفي، ثني أبو عمر النصيبي، قال: خرجت أطلب مسلمة بن مصقلة بالشام، وكان يقال: إنه من الأبدال، فلقيته بوادي الأردن فقال لي: أخبرك بشيء رأيته اليوم في هذا الوادي، قال: قلت: بلىٰ، قال: دخلت اليوم هذا الوادي فإذا أنا بشيخ يصلي إلىٰ شجرة فألقي في روعي أنه إلياس النبي، فدنوت منه فسلمت عليه فركع، فلما جلس سلم عن يمينه وعن شماله، ثم أقبل علي فقال: وعليك السلام، فقلت: من أنت يرحمك اللَّه؟ قال: أنا إلياس النبي. قال: فأخذتني رعدة شديدة حتىٰ خررت علىٰ قفاي، قال: فدنا مني، فوضع يده بين ثديي، فوجدت بردها بين كتفي، فقلت: يا نبي اللَّه ادع اللَّه أن يذهب عني ما أجد حتىٰ أفهم كلامك عنك، فدعا له بثمانية أسماء: خمسة منها بالعربية، وثلاثة بالسريانية، فقال: يا واحد، يا أحد، يا صمد، يا فرد، يا وتر، ودعا بالثلاثة الأسماء الآخر فلم أعرفها، ثم أخذ بيدي فأجلسني فذهب عني ما كنت أجد، فقلت: يا نبي اللَّه ألم تر هذا الرجل ما يصنع؟ أعني مروان بن محمد وهو يومئذ يحاصر أهل حمص، فقال لي: ما لك وما له جبار عات علىٰ اللَّه، فقلت: يا نبي اللَّه أما إني قد مررت به فأعرض عني، فقلت: يا نبي اللَّه أما إني وإن كنت قد مررت بهم فإني لم أهو أحد الفريقين، وأنا أستغفر اللَّه، وأتوب إليه، قال: فأقبل عليَّ بوجهه، ثم قال لي: قد أحسنت هكذا فقل ثم لا تعد، قلت: يا نبي اللَّه هل في الأرض اليوم من الأبدال أحد؟ قال: نعم، هم ستون رجلًا منهم خمسون فيما بين العريش إلىٰ الفرات، ومنهم ثلاثة

بالمصيصة، وواحد بأنطاكية، وسائر العشرة في سائر أمصار العرب. فقلت: يا نبي اللَّه هل تلتقي أنت والخضر؟ قال: نعم نلتقي في كل موسم بمنًى، قلت: فما يكون من حديثكما؟ قال: يأخذ من شعري، وآخذ من شعره، قلت: يا نبي اللَّه إني رجل خلو ليست لي زوجة ولا ولد فإن رأيت أن تأذن لي فأصحبك، وأكون معك؟ قال: إنك لن تستطيع ذلك فإنك لا تقدر علىٰ ذلك. قال فبينما هو يحدثني إذ رأيت مائدة قد خرجت من أصل الشجرة، فوضعت بين يديه، ولم أر من وضعها، وعليها ثلاثة أرغفة، فمد يده ليأكل، وقال كل وسم، وكل مما يليك، فمددت يدي فأكلت أنا وهو رغيفًا ونصف، ثم إن المائدة رفعت ولم أر أحدًا رفعها، وأتىٰ بإناء فيه شراب فوضع في يده، ولم أر أحدًا وضعه فشرب، ثم ناولني فقال اشرب فشربت أحلىٰ من العسل، وأشد بياضًا من اللبن. ثم وضعت الإناء فرُفع الإناء فلم أر أحدًا رفعه، ثم نظر إلىٰ أسفل الوادي فإذا دابة قد أقبلت - فوق الحمار ودون البغل وعليه رحالة - فلما انتهىٰ إليه نزل فقام ليركب، ودرت لآخذ بغرز الدابة، فركب ثم سار ومشيت إلىٰ جنبه، وأنا أقول: يا نبي اللَّه إن رأيت أن تأذن فأصحبك، وأكون معك، فقال: ألم أقل إنك لن تستطيع ذلك، فقلت: فكيف لي بلقائك؟ قال: إنك إذا رأيتك رأيتني، قلت: علىٰ ذلك، قال: لعلك تلقاني في رمضان معتكفًا ببيت المقدس واستقبلته شجرة فأخذ من ناحية، ودرت من الجانب الآخر أستقبله فلم أر شيئًا.

قال ابن الجوزي: مسلمة، والراوي عنه، وأبو جعفر، والكوفي لا يعرفون.

وروىٰ داود بن مهران: ثني شيخ، عن حبيب أبي محمد، أنه رأىٰ رجلًا فقال له: من أنت؟ قال: أنا الخضر.

وعن محمد بن عمران، عن جعفر الصادق أنه كان مع أبيه فجاءه رجل فسأله عن مسائل قال: فأمرني أن أرد الرجل فلم أجده فقال: ذاك الخضر.

وعن أبي جعفر المنصور أنه سمع رجلًا يقول في الطواف: أشكو إليك ظهور البغي والفساد، فدعاه فوعظه وبالغ، ثم خرج فقال: اطلبوه فلم يجدوه، فقال: ذاك الخضر.

وأخرج ابن عساكر من طريق عمر بن فروخ، عن عبد الرحمن بن حبيب، عن سعد بن سعيد، عن أبي طيبة، عن كثير بن وبرة قال: أتاني أخ لي من الشام فأهدىٰ إلي هدية فقلت: من أهداها إليك؟ قال: إبراهيم التيمي، قلت: ومن أهداها إلىٰ إبراهيمي التيمي؟ قال: قال: كنت جالسًا في فناء الكعبة فأتاني رجل فقال: أنا الخضر وأهداها إلي، وذكر لي تسبيحات ودعوات.

وذكر أبو الحسين بن المنادي من طريق مسلمة بن عبد الملك، عن عمر بن عبد العزيز أنه لقي الخضر (ح).

وفي «المجالسة» لأبي بكر الدينوري من طريق إبراهيم بن خالد، عن عمر بن عبد العزيز قال: رأيت الخضر وهو يمشي مشيًا سريعًا وهو يقول: صبرًا يا نفس صبرًا لأيام تفقد لتلك أيام الأبد صبرًا لأيام قصار لتلك الأيام الطوال.

وقال يعقوب بن سفيان في «تاريخه» : ثنا محمد بن عبد العزيز الرملي قال: ثنا ضمرة هو ابن ربيعة، عن السري بن يحيىٰ، عن رياح بن عبدة قال: رأيت رجلًا يماشي عمر بن عبد العزيز ، معتمدًا علىٰ يده فقلت في نفسي : إن هذا الرجل جاف ، فلما صلىٰ قلت: يا أبا حفص من الرجل الذي كان معك معتمدًا علي يدك آنفا ؟ قال: وقد رأيته يا رياح؟ قلت: نعم، قال: إني لأراك رجلًا صالحًا ، ذاك أخي الخضر بشرني أني سألي وأعدل.

قلت : هذا أصلح إسناد وقفت عليه في هذا الباب أيضًا.

وقد أخرجه أبو عروبة الحراني في «تاريخه» عن أيوب بن محمد الوراق ، عن ضمرة أيضًا.

وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» عن ابن المقرئ عن أبي عروبة ، في ترجمة عمر بن عبد العزيز .

وروينا في الجزء الأول من «فوائد الحافظ أبي عبد اللّٰه محمد بن مسلم ابن [وَارَه][1] الرازي»، ثنىٰ الليث بن خالد أبو بكر عمرو ، وكان ثقةً ، قال: ثنا المسيب أبو يحيىٰ وكان من أصحاب مقاتل بن حيان ، قال: وفدت علىٰ عمر بن عبد العزيز ، فإذا أناب رجل أو شيخ يحدثه أو قال: يتكئ عليه قال: ثم لم أره فقلت : يا أمير المؤمنين رأيت رجلًا يحدثك قال: ورأيته؟ قلت: نعم قال: ذاك أخي الخضر يأتيني فيوفقني ويسددني.

---

(١) في «المطبوع» : «زرارة» !!

وقال أبو عبد الرحمن السلمي في «تصنيفه»: سمعت محمد بن عبد اللَّه الرازي يقول: سمعت بلالًا الخواص يقول: كنت في تيه بني إسرائيل فإذا رجل يماشيني فتعجبت، ثم ألهمت أنه الخضر، فقلت: بحق الحق من أنت؟ قال: أنا أخوك الخضر، فقلت: ما تقول في الشافعي؟ قال: من الأوتاد (الأبدال) قلت: فأحمد بن حنبل، قال: صديق. قلت: فبشر بن الحارث، قال: لم يخلف بعده مثله، قلت: بأي وسيلة رأيتك قال: ببرك لأمك.

وقال أبو نعيم في «الحلية»: حدثنا ظفر بن محمد، حدثنا عبد اللَّه بن إبراهيم الحريري، قال: قال أبو جعفر محمد بن صالح بن دريج قال: بلال الخواص: رأيت الخضر في النوم فقلت له: ما تقول في بشر؟ قال: لم يخلف بعده مثله، قلت: ما تقول في أحمد؟ قال: صديق.

وقال أبو الحسن بن جهضم: حدثنا محمد بن داود قال: حدثنا محمد ابن الصلت، عن بشر بن الحارث الحافي، قال: كانت لي حجرة، وكنت أغلقها إذا خرجت ومعي المفتاح، فجئت ذات يوم، وفتحت الباب، ودخلت فإذا شخص قائم يصلي، فراعني، فقال: يا بشر لا تفزع أنا أخوك أبو العباس الخضر، قال بشر: قلت له: علمني شيئًا قال: قل: أستغفر اللَّه من كل سبب تبت منه، ثم عدت إليه، وأسأله التوبة وأستغفر اللَّه من كل عقد عقدته علىٰ نفسي ففسخته ولم أف به.

وذكر عبد المغيث من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**ما يمنعكم أن تكفروا ذنوبكم بكلمات أخي الخضر**» فذكر نحو الكلمات المذكورة في حكاية بشر.

وروىٰ أبو نعيم ، عن أبي الحسن بن مقسم ، عن أبي محمد الحريري ، سمعت أبا إسحاق المرستاني يقول: رأيت الخضر فعلمني عشر كلمات وأحصاها بيده : «اللَّهم إني أسألك الإقبال عليك، والإصغاء إليك، والفهم عنك، والبصيرة في أمرك، والنفاذ في طاعتك، والمواظبة علىٰ إرادتك، والمبادرة إلىٰ خدمتك، وحسن الأدب في معاملتك، والتسليم والتفويض إليك.

وقال أبو الحسن بن جهضم : حدثنا الخلدي ، حدثنا ابن مسروق، حدثنا أبو عمران الخياط قال: قال لي الخضر ما كنت أظن أن للَّه وليًّا إلا وقد عرفته ، فكنت بصنعاء اليمن في المسجد، والناس حول عبد الرزاق يسمعونه من الحديث، وشاب جالس ناحية المسجد، فقال لي : ما شأن هؤلاء قلت: يسمعون من عبد الرزاق قال: عمن قلت: عن فلان، عن فلان، عن النبي ﷺ ، فقال: هلا تسمعوا عن اللَّه عز وجل؟ قلت: فأنت تسمع عن اللَّه عز وجل؟ قال : نعم ، قلت : من أنت؟ قال: الخضر ، فعلمت أن للَّه أولياء ما عرفتهم.

وابن جهضم معروف بالكذب .

وعن الحسن بن غالب قال : حججت فسبقت الناس وانقطع بي، فلقيني شاب فأخذ بيدي فألحقني بهم ، فلما قدمت قال لي أهلي: إنا سمعنا أنك هلكت ، فرحنا إلىٰ أبي الحسن القزويني فذكرنا له ذلك ، وقلنا: ادع اللَّه ، فقال: ما هلك، وقد رأىٰ الخضر ، قال: فلما قدمت جئت إليه فقال لي: ما فعل صاحبك؟ قال الحسن بن غالب: وكنت في

مسجدي فدخل علي رجل فقال: غدًا تأتيك هدية فلا تقبلها، وبعدها بأيام تأتيك هدية فاقبلها، قال: فبلغني أن أبا الحسن القزويني قال عني: قد رأىٰ الخضر مرتين.

قال ابن الجوزي: الحسن بن غالب كذبوه.

وأخرج ابن عساكر في ترجمة أبي زرعة الرازي بسند صحيح إلىٰ أبي زرعة، أنه لما كان شابًا لقي رجلًا مخضوبًا بالحناء فقال له: لا تغش أبواب الأمراء، قال: ثم لقيته بعد أن كبرت، وهو علىٰ حالته فقال لي: ألم أنهك عن غشيان أبواب الأمراء؟ قال: ثم التفت فلم أره، فكأن الأرض انشقت فدخل فيها قال: فخيل أنه الخضر، فرجعت فلم أزر أميرًا، ولا غشيت بابه، ولا سألته حاجة.

وذكر ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل»: عبد اللَّه بن بحر، قال وروىٰ كلاما في الزهد عن رجل تراءىٰ له، ثم غاب عنه فلا يدري كيف ذهب؟ فكان يرىٰ أنه الخضر، روىٰ نعيم بن ميسرة عن رجل من يحصب عنه.

وروينا في أخبار إبراهيم بن أدهم قال: إبراهيم بن بشار خادم إبراهيم ابن أدهم صحبته بالشام، فقلت: يا أبا إسحاق أخبرني عن بدء أمرك؟ قال: كنت شابًا قد حبب إلي الصيد، فخرجت يومًا فأثرت أرنبًا أو ثعلبًا، فبينا أنا أطرده، إذ هتف بي هاتف لا أراه: يا إبراهيم ألهذا خُلقت؟ أبهذا أمرت؟ ففزعت ووقفت، ثم تعوذت وركضت الدابة، ففعل ذلك مرارًا، ثم هتف بي هاتف من قربوس السرج: واللَّه ما لهذا خلقت ولا بهذا أمرت. قال: فنزلت فصادفت راعيًا لأبي يرعىٰ الغنم، فأخذت جبته

الصوف فلبستها ودفعت إليه الفرس، وما كان معي، وتوجهت إلىٰ مكة، فبينا أنا في البادية إذ أنا برجل يسير ليس معه إناء، ولا زاد، فلما أمسىٰ وصلىٰ المغرب حرك شفتيه بكلام لم أفهمه، فإذا بإناء فيه طعام، وإناء فيه شراب، فأكلت معه وشربت، وكنت علىٰ هذا أيامًا، وعلمني اسم اللَّه الأعظم، ثم غاب عني وبقيت وحدي، فبينا أنا ذات يوم مستوحش من الوحدة، دعوت اللَّه فإذا شخص أخذ بحجزتي فقال لي: سل تعطه، فراعني قوله. فقال: لا روع عليك، أنا أخوك الخضر.

وذكر عبد المغيث بن زهير الحربي في «جزء جمعه في أخبار الخضر» عن أحمد بن حنبل قال: كنت ببيت المقدس فرأيت الخضر وإلياس.

وعن أحمد قال: كنت نائمًا فجاءني الخضر، فقال: قل لأحمد: إن ساكن السماء والملائكة راضون عنك.

وعن أحمد بن حنبل أنه خرج إلىٰ مكة فصحب رجلًا قال: فوقع في نفسي أنه الخضر.

قال: ابن الجوزي - في ما نقضه ما جمعه عبد الغيث - لا يثبت هذا عن أحمد. قال: وذكر فيه عن معروف الكرخي أنه قال: حدثني الخضر، ومن أين يصح هذا عن معروف.

وقال أبو حيان في «تفسيره» أولع كثير ممن ينتمي إلىٰ الصلاح أن بعضهم يرىٰ الخضر، وكان الإمام أبو الفتح القشيري يذكر عن شيخ له أنه رأىٰ الخضر وحدثه، فقيل له: من أعلمه أنه الخضر؟ أم كيف عرف ذلك؟ فسكت.

قال: ويزعم بعضهم أن الخضرية رتبة يتولاها بعض الصالحين علىٰ قدم الخضر، ومنه قول بعضهم: لكل زمان خضر.

قلت: وهو حيث سلم يدل علىٰ أن الخضر المشهور مات.

قال أبو حيان: وكان بعض شيوخنا في الحديث - وهو عبد الواحد العباسي الحنبلي - يعتقد أصحابه فيه أنه يجتمع بالخضر.

قلت: وذكر لي الحافظ أبو الفضل العراقي شيخنا، أن الشيخ عبد اللّٰه ابن أسعد اليافعي كان يعتقد أن الخضر حي، قال: فذكرت له ما نقل عن البخاري والحربي وغيرهما من إنكار ذلك، فغضب وقال: من قال: إنه مات غضبت عليه. قال: فقلنا له: رجعنا عن اعتقاد موته، وأدركنا من كان يدعي أنه يجتمع بالخضر، منهم القاضي علم الدين البساطي الذي ولي قضاء المالكية زمن الظاهر برقوق، وكان كثير من أهل العلم ينكرن عليه ذلك.

والذي تميل إليه النفس من حيث الأدلة القوية خلاف ما يعتقده العوام من استمرار حياته، لكن ربما عرضت شبهة من جهة كثرة الناقلين للأخبار الدالة علىٰ استمراره، فيقال: هب أن أسانيدها واهية، إذ كل طريق منها لا يسلم من سبب يقتضي تضعيفها، فماذا يصنع في المجموع، فإنه علىٰ هذه الصورة قد يلتحق بالتواتر المعنوي الذي مثلوا له بجود حاتم، مع احتمال التأويل في أدلة القائلين بعدم بقائه، كآية: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ﴾ [الأنبياء: ٣٤] وكحديث «**رأس مائة سنة**» وغير ذلك مما تقدم بيانه.

وأقوىٰ الأدلة علىٰ عدم بقائه عدم مجيئه إلىٰ رسول اللَّه ﷺ وانفراده بالتعمير من بين أهل الأعصار المتقدمة بغير دليل شرعي.

والذي لا يتوقف فيه الجزم بنبوته، ولو ثبت أنه ملك من الملائكة لارتفع الإشكال كما تقدم، واللَّه أعلم.

* * *

داود وسليمان عليهما السلام

● ومن «فتاوىٰ اللجنة الدائمة»[1]:

سؤال: قرأت «تفسير الجلالين» عن الآية (٢٠) وقصتها تنتهي من سورة (ص) بآية (٢٥) التي تروي قصة سيدنا داود إذ كان في المحراب... إلخ القصة، فأنت تعرفها بالتأكيد.

وما قاله «تفسير الجلالين»: أن سيدنا داود كان له تسع وتسعون امرأة فأحب زوجة صاحبه فتزوجها، وهذه أعتقد أنها دسيسة إسرائيلية.

طبعًا ليس هذا المقصود بتفسير الآية، إذ فيها امتحان لسيدنا داود، وابتلاء لمدىٰ دقته في حكمه، فسمع هو لشخص دون الآخر، وهذا خطؤه عليه السلام، أرجو إفادتي بشكل واضح عن هذه الآية.

وإذا كان ما يقوله «تفسير الجلالين» خطأ، فلماذا السكوت عليه؟ جزاكم اللَّه عنا كل خير.

---

(١) فتاوىٰ اللجنة (٤/ ٢٩٨-٢٩٩).

الجواب:

ما يذكره كثير من المفسرين عن قصة داود عَلَيْهِ السَّلَامُ في عشق امرأة قائد الجند غير صحيح، وقد أشار الشيخ الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «أضواء البيان» إلىٰ أن ما يذكر عن نبي اللَّه داود - عليه وعلىٰ نبينا السلام -، مما لا يليق بمنصبه، كله راجع إلىٰ الإسرائيليات. فلا ثقة به ولا معول عليه.

وما جاء مرفوعًا إلىٰ النبي ﷺ في ذلك لا يصح شيء منه، وننصحك بالرجوع إلىٰ الكتاب المذكور «أضواء البيان تفسير القرآن بالقرآن» ففيه تفصيل عن الموضوع.

وباللَّه التوفيق. وصلىٰ اللَّه علىٰ نبينا محمد، وآله وصحبه وسلم.

* * *

● **ومن «الحاوي للفتاوي» للسيوطي[1]:**

مسالة: في قصة السيد سليمان، هل قال: لأطوفن الليلة علىٰ سبعين امرأة، أو قال: علىٰ تسعين امرأة[2]؟

الجواب:

في هذا الحديث روايات:

إحداها: علىٰ سبعين امرأة: رواها البخاري في «أحاديث الأنبياء».

(١) «فتاوىٰ السيوطي» (١/ ٣٥٥-٣٥٦).

(٢) أخرجه: البخاري (٧/ ٥٠) (٨/ ١٨٢)، ومسلم (٥/ ٨٧، ٨٨) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

الثانية: علىٰ تسعين امرأة، رواها البخاري في «الأيمان والنذور» وأشار إليها في «أحاديث الأنبياء» تعليقًا فقال: قال شعيب وابن أبي الزناد: تسعين، وهو أصح. هذه عبارته.

الثالثة: لأطوفن الليلة بمائة امرأة: رواها البخاري في «النكاح».

الرابعة: لأطوفن الليلة علىٰ مائة امرأة أو تسع وتسعين، هكذا علىٰ الشك رواها البخاري في «الجهاد».

الخامسة: علىٰ ستين امرأة أشار إليها الحافظ ابن حجر، فقال: في «شرح البخاري» ما نصه: محصل الروايات ستون. وسبعون. وتسعون. وتسع وتسعون. ومائة. قال: والجمع بينها أن الستين كن حرائر، وما زاد عليهن كن سراري أو بالعكس، وأما السبعون فللمبالغة، وأما التسعون والمائة فكن دون المائة وفوق التسعين، فمن قال: تسعون، ألغىٰ الكسر، ومن قال: مائة جبره، ومن ثم وقع التردد في الرواية التي في الجهاد. انتهىٰ.

قلت: وقد وقفت علىٰ رواية سادسة، وهي «ألف امرأة» أخرج الحافظ أبو القاسم ابن عساكر من طريق الخدري، عن مقاتل، عن أبي الزناد، عن أبيه، عن عبد الرحمن، عن أبي هريرة أن سليمان بن داود عليه السلام كان له أربعمائة امرأة وستمائة سرية، فقال يومًا: لأطوفن الليلة علىٰ ألف امرأة فتحمل كل واحدة منهن بفارس، يجاهد في سبيل اللَّه، ولم يستثن، فطاف عليهن فلم تحمل واحدة منهن إلا امرأة واحدة جاءت بشق إنسان، فقال النبي ﷺ: «**والذي نفسي بيده لو استثنىٰ فقال: إن شاء اللَّه لولد له ما قال فرسان ولجاهدوا في سبيل اللَّه**».

* * *

• ومن «فتاوىٰ النووي»[(١)]:

مسألة: ما معنىٰ هذا الحديث: «خفف علىٰ داود القرآن»[(٢)] أي قرآن هو؟

أجاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

المراد الزبور، واللَّه أعلم.

* * *

• ومن «الفتاوىٰ الحديثية» للهيتمي[(٣)]:

وسئل - نفع اللَّه بعلومه -: عن الجمع بين الروايات في حديث قول سليمان - صلىٰ اللَّه علىٰ نبينا وعليه وسلم لأطوفن الليلة علىٰ سبعين امرأة[(٤)] - الحديث؟

فأجاب بقوله:

محل الروايات في ذلك: ستون، وسبعون، وتسع وسبعون، وتسعون ومائة، وجمع بينهما بأن الستين كن حرائر، وما زاد عليهن كن سراري، أو بالعكس، أو السبعين للمبالغة والتسعين، وإنما كن دون المائة وفوق السبعين. فمن قال: تسعين ألغىٰ الكسر. ومن قال: مائة جبره.

---

(١) «فتاوىٰ النووي» (ص١٦٣).

(٢) أخرجه: البخاري (٣/ ٧٤) (٤/ ١٩٤) (٦/ ١٠٧)، وأحمد (٢/ ٣١٤) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٣) «الفتاوىٰ الحديثية» للهيتمي (ص١٥٨).

(٤) أخرجه: البخاري (٧/ ٥٠) (٨/ ١٨٢)، ومسلم (٥/ ٨٧، ٨٨) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وفيه نظر، ففي رواية ابن عساكر عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أنه كان له أربعمائة امرأة وستمائة سرية فقال يومًا : لأطوفن الليلة علىٰ ألف امرأة الحديث.

فالأولىٰ الجمع بأنه قال ذلك مرات متعددة، اقتصر في كل منها علىٰ من كن معه حيئنذ، ولا يبعد أنه قال ذلك متكررًا، ونسي قول : إن شاء اللَّه تعالىٰ فلا يلدن له من ذكر.

* * *

● ومن «فتاوىٰ اللجنة الدائمة»[(١)]:

سؤال: حدثنا خالد بن مخلد، ثنا مغيرة بن عبد الرحمن عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: قال سليمان بن داود: لأطوفن الليلة علىٰ سبعين امرأة تحمل كل امرأة فارسًا يجاهد في سبيل اللَّه، فقال له صاحبه: قل: إن شاء اللَّه، فلم يقل، ولم تحمل شيئًا إلا واحدًا ساقطًا أحد شقيه فقال النبي ﷺ : «لو قالها لجاهدوا في سبيل اللَّه»[(٢)].

قال شعيب وابن أبي الزناد: تسعين وهو أصح - [صحيح البخاري] كتاب الأنبياء المجلد الأول الجزء ١٣ الصفحة ٤٨٦، مطبوعة الدلهي باب: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: ١٧].

---

(١) فتاوىٰ اللجنة (٤/ ٢٩٤-٢٩٨).

(٢) أخرجه: البخاري (٧/ ٥٠) (٨/ ١٧٢)، ومسلم (٥/ ٨٧، ٨٨) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قد روي هذا الحديث بطرق متعددة وإسناده كله صحيح وجيد وعدد الأزواج فيه مختلف (ستون ٦٠، سبعون ٧٠، تسع وتسعون ٩٩، مائة ١٠٠).

ولا ريب في صحة هذا الحديث باعتبار الرواة والإسناد، ولكن مفهوم الحديث خلاف للعقل والشعور صريحًا، ومفهومه يعلن ويجهر أن النبي ﷺ ما قال هكذا كما نقل الراوي، بل ذكر النبي ﷺ من أباطيل وخرافات اليهود مثالًا، وفهم الراوي أن النبي ﷺ قاله بيانًا واقعيًا، لأن كل إنسان إن حاسب في نفسه فوضح عليه أن فرض عدد الأزواج ستون ٦٠، إن باشرهن سليمان عليه السلام في ساعة ٦ أزواج باشرهن كل الليل بغير توقف متواليًا عشر ساعة، فهل هذا ممكن عقلًا؟

الجواب:

أولًا: الحديث المضطرب: هو الذي رُوي من طرق مختلفة متساوية في القوة، ولم يمكنه الجمع بينهما، أما إن كان بعضها أقوىٰ أو أمكن الجمع فلا اضطراب.

وعلىٰ هذا فلا يعتبر الاختلاف في عدد النساء في الحديث المسئول عنه اضطرابًا يرد به الحديث لأمرين:

١- رجحان الرواية التي ذكر فيها أن عددهن تسعون، فقد قال البخاري في «صحيحه»، قال شعيب وأبو الزناد: تسعين، وهو أصح.

٢- إمكان الجمع بين هذه الروايات، وقد ذهب إلىٰ ذلك ابن حجر رحمه الله في كتابته علىٰ هذا الحديث في الباب الذي ذكرته في السؤال، قال رحمه الله: (فمحصل الروايات ستون وسبعون وتسعون وتسع وتسعون ومائة،

والجمع بينها أن الستين كن حرائر، وما زاد عليهن كن سراري أو بالعكس. وأما السبعون فللمبالغة، وأما التسعون والمائة فكن دون المائة وفوق التسعين، فمن قال: تسعون. ألغىٰ الكسر، ومن قال: مائة، جبره، ومن ثم وقع التردد في رواية جعفر). اهـ. بنصه.

ثانيًا: دعوىٰ مخالفة هذا الحديث للعقل الصريح دعوىٰ باطلة؛ لبنائها علىٰ قياس الناس بعضهم علىٰ بعض في الصحة، وقوة البدن، والقدرة علىٰ الجماع، وسرعة الإنزال وبطئه.

وهو قياس فاسد؛ لشهادة الواقع بتفاوتهم فيما ذكر، وفي غيره، وخاصة - الأنبياء عليهم الصلاة والسلام -، بالنسبة لغيرهم، فقد أوتوا من قوة البدن والقدرة علىٰ الجماع مع كمال العفة وضبط النفس، وكبح جماح الشهوة ما لم يؤت غيرهم، فكانت العفة وصيانة الفرج عن قضاء الوطر في الحرام مع القدرة علىٰ الجماع، وقوة دواعيه معجزة لهم - عليهم الصلاة والسلام.

وكان من السهل علىٰ أحدهم أن يطأ عشر نسوة في ساعة، ومائة امرأة في عشر ساعات أو أقل، لتحقق الاختصاص بالقوة، وإمكان الإنزال في خمس دقائق أو أقل منها، وقد ذكر ابن حجر - رحمه اللّٰه تعالىٰ - نحوًا من هذا في شرح هذا الحديث، وبيان ما يستنبط منه.

قال: (وفيه ما خص به الأنبياء من القوة علىٰ الجماع الدال ذلك علىٰ صحة البنية، وقوة الفحولية، وكمال الرجولية مع ما هم فيه من الاشتغال بالعبادة والعلوم، وقد وقع للنبي ﷺ من ذلك أبلغ المعجزة؛ لأنه مع

اشتغاله بعبادة ربه وعلومه ومعالجة الخلق كان متقللًا من المآكل والمشارب المقتضية لضعف البدن على كثرة الجماع. ومع ذلك فكان يطوف على نسائه في ليلة بغسل واحد، وهن إحدى عشرة امرأة. وقد تقدم في كتاب الغسل، ويقال: إن كل من اتقى اللَّه فشهوته أشد؛ لأن الذي لا يتقي يتفرج بالنظر ونحوه.)

ثالثًا: إنه قد ثبت أن نبينا محمدًا ﷺ أنصح الخلق لأمته، وأنه أوتي جوامع الكلام، والبلاغ المبين، وكمال الفصاحة في التعبير، فلم يكن ليلبس على أمته في كلامه عن غش وخديعة، ولا ليعمي في قوله لعي في لسانه أو عجز عن البيان.

ولم يكن راوي هذا الحديث عنه - وهو عربي قح - ليخفي عليه ما حكاه ﷺ صريحًا عن نبي اللَّه سليمان - عليه الصلاة والسلام - من قوله: «**لأطوفن الليلة على تسعين امرأة تحمل كل امرأة فارسًا يجاهد في سبيل اللَّه**» وأنه لم يقل: إن شاء اللَّه، وتأكيد نبينا محمد ﷺ ذلك بقوله: «**لو قالها لجاهدوا في سبيل اللَّه فرسانًا ولم يحنث**».

فمن زعم أن النبي ﷺ ذكر ذلك على أنه مثال من أباطيل اليهود وخرافاتهم، وأن الصحابي توهم أنه ﷺ ذكره بيانًا لواقع وخبرًا عن حقيقة، من زعم ذلك فقد اتبع هواه ووهمه الكاذب، وحرف معنى الحديث المقصود منه، وطعن في الصحابي، وظن برسول اللَّه ﷺ الظنون؛ اتباعًا لخياله الخاطئ في الحكم بمخالفة معنى هذا الحديث الصريح للعقل.

وباللَّه التوفيق. وصلىٰ اللَّه علىٰ نبينا محمد، وآله وصحبه وسلم.

* * *

عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ

● ومن «فتاوىٰ اللجنة الدائمة»[(١)]:

السؤال: لماذا سمي عيسىٰ بن مريم بالمسيح؟

الجواب:

سمي عيسىٰ بن مريم بالمسيح؛ لأنه ما مسح علىٰ ذي عاهة إلا برأ بإذن اللَّه. وقال بعض السلف: سمي مسيحًا لمسحه الأرض وكثرة سياحته فيها للدعوة إلىٰ الدين، وعلىٰ هذين القولين يكون المسيح بمعنىٰ ماسح.

وقيل: سمي مسيحًا؛ لأنه كان ممسوح القدمين لا أخمص له. وقيل: لأنه مسح بالبركة أو طهر من الذنوب فكان مباركًا، وعلىٰ هذين القولين يكون مسيح بمعنىٰ ممسوح، والأظهر الأول، واللَّه أعلم.

وعلىٰ كل حال لا يتعلق بذلك عقيدة ولا عمل، فالجدوىٰ في ذلك ضعيفة أو معدومة.

* * *

(١) فتاوىٰ اللجنة الدائمة (٣/ ٣١٠).

• ومن «فتاوى المنار»[1]:

سؤال: هل ولادة عيسىٰ بن مريم بلا أب مجمع عليها أم لا؟ وهل يكفر من جحدها أم لا؟

هل آية: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٤٧] **نص في أن ولادة مريم لولدها عيسىٰ بلا أب أم لا؟**

وهل كذلك آية سورة مريم: ﴿قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ [مريم: ٢٠] **أم لا؟**

هل وردت أحاديث نبوية يصح الاحتجاج بها علىٰ هذه المسالة أم لا؟ فإذا وردت فما درجتها من الصحة وفي كتاب أو كتب هي؟

هذا وتفضلوا بالجواب عن هذه الأسئلة في أقرب وقت ممكن، ولكم مني، ومن الناس الشكر الجميل، ومن اللَّه الأجر الجزيل.

أجوبة المنار:

ولادة عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ من غير أب مجمع عليها، ومستند الإجماع نصوص القرآن المجيد يكفر من جحدها علىٰ علم.

وأما الآيتان اللتان في السؤال الثاني، فهما في البشارة به، وبأنه يكون بقدرة اللَّه تعالىٰ لا بالسنن العامة في الحمل والوضع، وفي بقية القصة

(١) «المنار» (٣٢/ ٦٧١-٦٧٣).

خبر الولادة وجملة الآيات نص قطعي في المسألة، وورد فيها أحاديث مختلفة الدرجات في الصحة، وما دونها دلالتها دون دلالة آيات القرآن القطعية الرواية والدلالة، فلا ينبغي لمسلم أن يلتفت إلىٰ ما يهذي به الملاحدة ولا أتباع مسيح الهند الدجال (غلام أحمد القادياني) وراجع ما كتبناه في الرد علىٰ ملحد دمنهور في شبهة السنن الكونية وهي في الجزء الأول من منار هذه السنة، فقد بينا بها جهل من يماري في هذه الآيات بأنها علىٰ خلاف سنن اللَّه تعالىٰ في الخلق.

وكذلك الفصل الذي عقدناه في (الآيات الكونية) من بحث الوحي وهو في الجزء الثامن الماضي، ففيه القول الفصل في معنىٰ سنن اللَّه وآياته، ومنه المسيح وأمه عليهما السلام.

* * *

● ومن «فتاوىٰ اللجنة الدائمة»[1]:

سؤال: قد كنت أتحدث مع رجل مصري الجنسية ويعمل طبيبًا في بريطانيا وأثناء ذلك ذكر لي أن مريم ابنة عمران بعد ما أنجبت ابنها عيسىٰ عليه السلام تزوجها رجل لا يحضرني اسمه الآن، وأنجبت منه طفلين، فهل هذا صحيح أم لا؟

وإذا كان ذلك حقيقة فما الدليل من القرآن الكريم أو من السنة أو غيرهما؛ لأن الرجل الذي ذكر ذلك لي لم يستطع ذكر أي دليل، وأنا كذلك لا أستطيع ذكر ما سمعته ما لم أستدل

(١) فتاوىٰ اللجنة (٣/ ٢٩٩-٢٩٠).

بشيء من القرآن أو من السنة ، أرجو تزويدي بشيء من ذلك ، والله يحفظكم لنا ذخرًا؟

الجواب:

لم يذكر في كتاب الله تعالىٰ، ولا ثبت في السنة عن رسول الله ﷺ أن مريم بنت عمران تزوجت بعد أن ولدت عيسىٰ عليه السلام ، ولا أنها ولدت أولادًا سوىٰ عيسىٰ عليه السلام .

أما قبل عيسىٰ عليه السلام ؛ فقد ثبت أنها لم يمسسها بشر، ولم تك بغيًّا، قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ﴿١٧﴾ قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا ﴿١٩﴾ قَالَتۡ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ وَلَمۡ أَكُ بَغِيّٗا﴾ [مريم:١٦-٢٠]، وقد أقر الله تعالىٰ قولها وصدقها فيه.

وبهذا يتبين أن ما قيل من أن مريم بنت عمران تزوجت أو ولدت غير عيسىٰ - عليه الصلاة والسلام - لا أصل له.

وبالله التوفيق. وصلىٰ الله علىٰ نبيا محمد، وآله وصحبه وسلم.

* * *

● **ومن «فتاوىٰ ابن الصلاح»[1]:**

مسألة : عيسىٰ بن مريم ﷺ، وعلىٰ نبينا والنبيين وآلهم

---

(١) فتاوىٰ بن الصلاح (ص٥١).

وسلم، رأىٰ رجلا يسرق، فقال: أسرقت؟ قال: كلا والذي لا إله إلا هو، قال: آمنت باللَّه وكذبت عيني[(١)].

وحديث آخر: أن بعض الناس أذنب ذنبًا فسئل عنه، فقال: واللَّه الذي لا إله إلا هو ما فعلته، أو كما قال: فقال ﷺ: «غفر اللَّه لك ذنبك بصدقك في قولك لا إله إلا اللَّه».

أجاب رضي الله عنه:

كأنه ﷺ لما وحَّد السارق ربه تعالىٰ غمرته الهيبة والعظمة حتىٰ أنسته ما استيقنه حالة الإبصار، وبقي في صورة من يرىٰ الشيء من بعد ولا يتحققه، فإذا نوزع فيه كذب رؤيته.

وأما الحديث الآخر؛ ففيه إشارة إلىٰ أن حسنة الصدق في التوحيد كفرت المعصية. واللَّه أعلم.

* * *

المتكلمون في المهد

● **ومن «الأجوبة المرضية» للسخاوي[(٢)]:**

مسألة: المتكلمون في المهد:

عيسىٰ بن مريم عليه السلام، وصاحب الأخدود، وشاهد يوسف.

والصبي الرضيع الذي قال لأمه - وهي ماشطة بنت فرعون - لما أراد فرعون إلقاء أمه في النار: اصبري يا أمه! فإنا علىٰ الحق.

---

(١) أخرجه: البخاري (٤/ ٢٠٣)، ومسلم (٧/ ٩٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) «الأجوبة المرضية» (١/ ٢٩١-٢٩٤).

ونبينا ﷺ، كما في «سير الواقدي» أنه ﷺ تكلم في أوائل ما ولد.

ويحيىٰ؛ فيما زعم الضحاك في «تفسيره» أنه تكلم في المهد. أخرجه الثعلبي.

وإبراهيم الخليل، كما ذكره البغوي في «تفسيره»، أنه تكلم في المهد.

ومبارك اليمامة، وقصته في «دلائل النبوة» للبيهقي من حديث معرض - بالضاد بالمعجمة - وكانت في زمن النبي ﷺ.

وقد قال القرطبي: في الحصر في الثلاثة حيث قال: «**لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة**» نظر، إلا أن يحمل علىٰ أنه ﷺ قال ذلك قبل أن يعلم الزيادة عليه، وفيه بُعد، ويحتمل أن يكون كلام الثلاثة المذكورين بقيد المهد، وكلام غيرهم من الأطفال بغير مهد.

لكن يعكر عليه أن في رواية ابن قتيبة أن الصبي الذي طرحته أمه في الأخدود كان ابن سبعة أشهر، وصرح بالمهد في حديث أبي هريرة وفيه تعقب علىٰ النووي في قوله: إن صاحب الأخدود لم يكن في المهد.

والسبب في قوله هذا: ما وقع في حديث ابن عباس عند أحمد والبزار، وابن حبان والحاكم: «**لم يتكلم في المهد إلا أربعة**»[(١)] فلم يذكر الثالث الذي هنا، وذكر شاهد يوسف، و الصبي الرضيع الذي قال لأمه وهي ماشطة ابنة فرعون ما تقدم.

---

(١) أخرجه: أحمد (١/ ٣٠٩-٣١٠)، وابن حبان (٢٩٠٣، ٢٩٠٤)، والحاكم (٢/ ٤٩٦-٤٩٧)، والطبراني (١٢٢٧٩).

وأخرج الحاكم نحوه من حديث أبي هريرة، فيجتمع من هذا خمسة، ووقع ذكر رشاهد يوسف أيضًا من حديث عمران بن حصين لكنه موقوف.

وقد اختلف في شاهد يوسف، فقيل: كان صغيرًا، وهذا أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن عباس، وسنده ضعيف، وبه قال الحسن وسعيد بن جبير وأخرج عن ابن عباس أيضًا ومجاهد: أنه كان ذا لحية، وعن قتادة والحسن أيضًا: كان حكيمًا من أهلها.

وروىٰ ابن أبي شيبة من مرسل هلال بن يساف مثل حديث ابن عباس، إلا أنه لم يذكر ابن الماشطة.

وفي «صحيح مسلم» من حديث صهيب في قصة أصحاب الأخدود أن امرأة جيء بها لتقلىٰ في النار، أو لتكفر، ومعها صبي فتقاعست، فقال: يا أمه! اصبري فإنك علىٰ الحق[1]، واللَّه أعلم.

* * *

• **ومن «الأجوبة المرضية» للسخاوي[2]:**

الحمد للَّه؛ اختلف في سن عيسىٰ - صوات اللَّه عليه وسلامه - حين رفع:

قال الإمام أبو جعفر بن جرير الطبري في «تاريخه»: إن عيسىٰ بن مريم -

---

(١) أخرجه: مسلم (٨/ ٢٢٩-٢٣١).

(٢) «الأجوبة المرضية» (٢/ ٧٥٢-٧٥٤).

عليه الصلاة والسلام - أنزل عليه وهو ابن ثلاثين سنة، ومكث حتىٰ رفع إلىٰ السماء، وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة. انتهىٰ.

وقيل: كان يوم رفع ابن أربعٍ وثلاثين سنة، جاء عن الحسن البصري، لكن يؤيد الأول قول حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب أنه قال: رفع وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، بل في حديث مرفوع: «**إن أهل الجنة يدخلونها جردًا مردًا مكحلة أبناء ثلاث وثلاثين علىٰ ميلاد عيسىٰ، وحسن يوسف**» زاد في رواية: «**وقلب أيوب، وعلىٰ خلق آدم طولهم ستون ذراعًا عرض سبعة أذرع**».

ويمكن الجمع بينهما بأن أحدهما ألغىٰ الكسر والآخر جبره.

نعم رُوي من حديث يحيىٰ بن جعدة قال: قالت فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إن عيسىٰ مكث في بني إسرائيل أربعين سنة**»(١) وكذا جاء عن النخعي: أنه مكث في قومه أربعين عامًا.

وأغرب من هذا كله: ما رواه الحاكم في «مستدركه» وآخرون من حديث عائشة أن فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أخبرتها عن النبي ﷺ أنه قال: «**إنه لم يكن نبي بعده إلا عاش بعده نصف عمر الذي كان قبله، وإن عيسىٰ عاش عشرين ومائة سنة، فلا أراني إلا ذاهب علىٰ رأس سنتين**»(٢) وهو غريب جدًا.

ولذا قال ابن عساكر: الصحيح أن عيسىٰ لم يبلغ هذا العمر، وإنما

---

(١) راجع: «تاريخ الطبري» (١/ ٥٩٨).

(٢) أخرجه: الطحاوي في «مشكل الآثار» (١٩٣٧)، والطبراني في «الكبير» (٢٢/ ١٠٣٠).

أراد مدة مقامه في أمته، وساق حديث يحيىٰ بن جعدة عن فاطمة: «**إن اللَّه لم يبعث نبيًا إلا وقد عمر نصف عمر الذي قبله، وإن عيسىٰ لبث في بني إسرائيل أربعين سنة، وهذه توفي لي عشرين**» وهو منطقع. واللَّه أعلم.

* * *

صعود السيد المسيح إلىٰ السماء

● ومن «فتاوىٰ المنار»[1]:

سؤال: حضرة العلامة الأستاذ السيد محمد رشيد رضا حفظه اللَّه.

هل صعد السيد المسيح إلىٰ السماء بجسمه أم بروحه؟

هل نزوله في آخر الزمان إلىٰ الأرض، وحكمه بالشريعة المحمدية مأخوذ من القرآن الكريم، والأحاديث النبوية الصحيحة؟ أفيدونا نفعنا اللَّه بعلمكم.

الجواب:

أما الصعود فلم يذكر في القرآن، وإنما جاء فيه لفظ الرفع قال تعالىٰ: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٧-١٥٨] كما قال في إدريس: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٧] وقد أسند الرفع إلىٰ اللَّه تعالىٰ للإشارة إلىٰ أنه ليس للمرفوع فيه كسب ولا اختيار، و هو يحتمل الرفع

(١) «المنار» (١٤/ ٥٠٨-٥٠٩).

المعنوي كقوله تعالىٰ في الذي آتاه آياته فانسلخ من : ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٧٦]. ولم يقل أحد : إن المراد لرفعناه بجسمه. والجمهور يقولون : إن عيسىٰ رفع بروحه وجسده. قيل: بعد وفاته، وقيل: قبلها. واللَّه أعلم.

وأما نزوله في آخر الزمان وحكمه بالشريعة المحمدية، وكسره للصليب، وقتله للخنزير فليس لها نص في القرآن، وإنما وردت بذلك أحاديث روىٰ بعضها الشيخان. واللَّه أعلم.

* * *

● ومن «فتاوىٰ اللجنة الدائمة»[1]:

سؤال: ورد خبر إلينا أن ستطبع ترجمة القرآن الكريم بيد محمد أسد في إيرلندا (دبلن) قريبًا، وسوف تنشر هنا، وقد شكلت لجنة لنشر هذه الترجمة، ومن بينهم أساتذة مسلمون من الهند، ويدعي محمد أسد في ترجمته: أن نبي اللَّه عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ قد مات، وأن اعتقاد المسلمين في عودته خطأ، وفي ضوء هذا الزعم أقدم إليكم الأسئلة الآتية:

١- ما هو حال النبي عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ وفق الكتاب والسنة الشريفة الثابتة؟

الجواب:

خلق اللَّه تعالىٰ نبيه عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ من أم وبلا أب، كما قال تعالىٰ:

---

(١) فتاوىٰ اللجنة (٣/ ٢٩٠-٢٩٤).

﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ ۖ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ﴾ [مريم ١٦-٢٧].

فدل ذلك علىٰ أنه من أمه مريم فقط بإذن اللَّه، وكلمته لا من أب ليكون آية للناس، ومع ذلك اتهمها اليهود بأنها جاءت به من الزنا، فأنطق اللَّه تعالىٰ ابنها عيسىٰ وهو في المهد ببراءتها، قال تعالىٰ: ﴿قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [مريم: ٢٧-٣٥].

فبرأه اللَّه بهذه المعجزة أن يكون له أب من الزنا، ونزه سبحانه نفسه أن يكون له و لد، وإذن فليس عيسىٰ ولد اللَّه، وأخبرت مريم عن نفسها أنها لم يمسسها بشر، وصدقها اللَّه في ذلك.

ونسبه سبحانه إلىٰ أمه في أكثر من موضع في القرآن، وله كان من أب لنسبه إلىٰ أبيه، كما هي سنته تعالىٰ في كلامه، فدل ذلك علىٰ أنه من أم فقط، وهو نبي اللَّه ورسوله، كما دلت عليه الآيات السابقة وغيرها.

٢- ما حكم من قال: إن عيسىٰ قد مات؟

الجواب:

ثبت بالأدلة من الكتاب والسنة الصحيحة أن عيسىٰ ابن مريم عليه السلام، لم يقتل ولم يمت، بل رفعه اللَّه إليه حيًا، وأنه سينزل آخر الزمان حكمًا عدلًا في هذه الأمة، فمن قال: إن عيسىٰ بن مريم قد مات وأنه لا ينزل آخر الزمان فقد خالف كتاب اللَّه وسنة نبيه محمد ﷺ، وأخطأ خطأ فاحشًا، ويحكم بكفره بعد البلاغ، وإقامة الحجة عليه لتكذيبه للَّه ورسوله.

٣- هل توجد أدلة تدل علىٰ أن عيسىٰ قد نشر دعوته لأناس في الهند وأفغانستان والسند وإيران؟

الجواب:

الأصل الذي يعتمد عليه في مثل ذلك كتاب اللَّه وسنة رسوله ﷺ الصحيحة لا العقل؛ لأن المسألة خبرية محضة، ولا التاريخ، لأنه غير مأمون لعدم نقله بالأسانيد المتصلة الموثوق برواتها، ولذا كثر فيه الكذب.

ولم يوجد في القرآن ما يدل علىٰ أن عيسىٰ عليه السلام نشر دينه في البلاد المذكورة، ولم يثبت عن رسول اللَّه ﷺ فيما نعلم حديث يدل علىٰ ذلك، وإنما الذي ثبت فيهما أن اللَّه بعثه إلىٰ بني إسرائيل وأنه بلغهم رسالة ربه.

والذي اشتهر أن الديانة المسيحية كانت مهددة بخطر من اليهود بعد أن رفع اللَّه المسيح ابن مريم إليه، وأنه ما كتب لها الانتشار إلا عن طريق حكومة الرومان، وهذه مسألة تاريخية لا يترتب علىٰ العلم بها فائدة ذات أهمية.

٤- لماذا طبعت الترجمة المذكورة في دولة إسلامية علمًا أن محمدًا أسد مستوطن في المملكة المغربية علىٰ علمنا، ولم أجد شيئًا في الكتاب أو السنة المعروفة لدي مثبًا للأسئلة أعلاه، وسوف تقوي فتواكم يدي، والرد علىٰ هذه الأمور وسد نشر الترجمة هنا؟

الجواب:

في ترجمته أخطاء فاحشة وكفريات فاضحة من أجلها قرر المجلس التأسيسي لرابطة العالم بمكة المكرمة أنه يحرم طبعها ونشرها.

وباللَّه التوفيق، وصلىٰ اللَّه علىٰ نبينا محمد، وآله وصحبه وسلم.

* * *

- **ومن «فتاوىٰ اللجنة» الدائمة»[1]:**

سؤال: هل عيسىٰ حي أو ميت في نظر القرآن الكريم والسنة المطهرة؟

(١) فتاوىٰ اللجنة (٣/ ٢٩٩-٣٠٥).

الجواب:

ذهب أهل السنة والجماعة إلىٰ أن المسيح عيسىٰ - عليه الصلاة والسلام - لم يزل حيًّا، وأن اللَّه رفعه إلىٰ السماء، وأنه سينزل آخر الزمان عدلًا يحكم بشريعة نبينا محمد ﷺ، ويدعو إلىٰ ما جاء به من الحق.

وعلىٰ ذلك دلت نصوص القرآن، والأحاديث الصحيحة، قال اللَّه تعالىٰ في فرية اليهود والرد عليها: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٥٧-١٥٨].

فأنكر سبحانه علىٰ اليهود زعمهم أنهم قتلوه أو صلبوه، وأخبر أنه رفعه إليه رحمة به وتكريمًا له، وجعل ذلك آية من آياته التي يؤتيها من شاء من رسله، وما أكثر آيات اللَّه في عيسىٰ بن مريم أولًا وآخرًا.

ومقتضىٰ الإضراب في قوله تعالىٰ: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ﴾ [النساء: ١٥٨]، أن يكون اللَّه قد رفع عيسىٰ بدنًا وروحًا حتىٰ يتحقق به الرد علىٰ زعم اليهود أنهم قتلوه أو صلبوه؛ لأن القتل والصلب إنما يكون للبدن أصالة. ولأن رفع الروح وحدها لا ينافي دعواهم الصلب والقتل، فلا يكون رفعها وحدها ردًّا عليهم. ولأن ذلك مقتضىٰ كمال عزته، وقوته، وتكريمه، ونصره من شاء من رسله حسبما قضىٰ به قوله تعالىٰ في ختام الآية: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٥٨].

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ

يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٥٩]، فأخبر سبحانه بأن جميع أهل الكتاب سوف يؤمنون بعيسىٰ قبل موته - أي: موت عيسىٰ - وذلك عند نزوله آخر الزمان حكمًا عدلًا داعيًا إلىٰ الإسلام، كما سيجيء بيانه في حديث نزوله.

وهذا المعنىٰ هو المتعين، فإن الكلام سيق لبيان موقف اليهود من عيسىٰ، وصنيعهم معه، ولبيان سنة اللَّه في إنجائه ورد كيد أعدائه، فيتعين رجوع الضميرين المجرورين إلىٰ عيسىٰ رعاية لسياق الكلام، وتوحيدًا لمرجع الضميرين.

وثبت في الحديث الصحيح عن أبي هريرة: أن النبي ﷺ قال: «**والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكمًا مقسطًا، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتىٰ لا يقبله أحد**» قال أبو هريرة: اقرءوا إن شئتم: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ الآية [النساء: ١٥٩] (١).

وفي رواية عنه عن النبي ﷺ قال: «**كيف أنتم إذا نزل فيكم ابن مريم وإمامكم منكم**».

وثبت في «الصحيح» أيضًا: أن جابر بن عبد اللَّه سمع النبي ﷺ يقول: «**لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون علىٰ الحق ظاهرين إلىٰ يوم القيامة**» قال: «**فينزل عيسىٰ بن مريم ﷺ فيقول أميرهم: تعالىٰ صل لنا، فيقول: لا، إن بعضكم علىٰ بعض أمراء تكرمة اللَّه هذه الأمة**» (٢).

---

(١) أخرجه: البخاري (٣/ ١٠٧، ١٧٨) (٤/ ٢٠٤)، ومسلم (١/ ٩٣، ٩٤).
(٢) أخرجه: مسلم (١/ ٩٥) (٦/ ٥٣)، وأحمد (٣/ ٣٨٤).

فدلت الأحاديث علىٰ نزوله آخر الزمان، وعلىٰ أنه يحكم بشريعة نبينا محمد ﷺ، وعلىٰ أن إمام هذه الأمة في الصلاة وغيرها أيام نزول عيسىٰ من هذه الأمة، وعلىٰ ذلك لا تكون هناك منافاة بين نزوله وبين ختم النبوة بنبينا محمد ﷺ، حيث لم يأت عيسىٰ برسالة جديدة، ولله الحكم أولًا وآخرًا يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، ولا معقب لحكمه، وهو العزيز الحكيم.

فمن زعم أن عيسىٰ - عليه الصلاة والسلام - صلب أو قتل فهو كافر؛ لمخالفته لصريح القرآن، ولما ثبت من الأحاديث عن النبي ﷺ، ومن قال من المسلمين: إن الله تعالىٰ أمات - عيسىٰ عليه الصلاة والسلام - موتًا حقيقيًا، ثم رفعه إليه حينما كاد له اليهود، وعزموا علىٰ صلبه وقتله، فقد شذ عن جماعة المسلمين، وضل عن سواء السبيل؛ لمخالفته ظواهر نصوص القرآن والسنة الصحيحة الثابتة عن النبي ﷺ.

والذي حداهم إلىٰ هذا فهمهم الخاطئ لقوله تعالىٰ: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [آل عمران: ٥٥]، حيث فسر التوفي بالإماته، فخالف بذلك ما صح عن السلف من تفسيره بقبض الله إياه من الأرض، ورفعه إليه حيًا، وتخليصه بذلك من الذين كفروا، جمعًا بين نصوص الكتاب والسنة الصحيحة علىٰ رفعه حيًا، وعلىٰ نزوله آخر الزمان، وإيمان أهل الكتاب جميعًا وغيرهم به.

وما روي عن ابن عباس من تفسير التوفي هنا بالإماتة، فغير صحيح لانقطاع سنده؛ إذ هو من رواية علي بن أبي طلحة عنه، وعلي لم يسمع

منه ولم يره، وإنما رُوىٰ عنه بواسطة، ولم يصح أيضًا ما روي عن وهب ابن منبه اليماني من تفسير التوفي بالإماتة؛ لأنه من رواية ابن إسحاق عمن لا يتهم عن وهب، ففيه عنعنة ابن إسحاق وهو مدلس، وفيه مجهول.

ثم هذا التفسير لا يزيد عن كونه احتمالًا في معنىٰ التوفي، فإنه قد فسر بأن اللَّه قد قبضه من الأرض بدنًا وروحًا ورفعه إليه حيًّا، وفسر بأنه أنامه ثم رفعه، وبأنه يميته بعد رفعه ونزوله آخر الزمان، إذ الواو لاتقتضي الترتيب، وإنما تقتضي جمع الأمرين له فقط.

وإذا اختلفت الأقوال في معنىٰ الآية وجب المصير إلىٰ القول الذي يوافق ظواهر الأدلة الأخرىٰ جمعًا بين الأدلة، وردًّا للمتشابه منها إلىٰ المحكم، كما هو شأن الراسخين في العلم دون أهل الزيغ الذين يتبعون ما تشابه من التنزيل ابتغاء الفتنة، وابتغاء تأويله.

وكذلك القول في اختلافهم في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ [النساء: ١٥٩] ، فيجب المصير فيه إلىٰ معنًى يتفق مع سياق الكلام، وما ثبت من أحاديث نزول عيسىٰ آخر الزمان، وإيمان أهل الكتاب جميعًا وغيرهم به؛ جمعًا بين الأدلة، ومحافظةً علىٰ مقصد المتكلم من كلامه، فمن نظر إلىٰ هذه الأية مجردة عما قبلها، وعن القصد الذي سيقت له، وعن الأدلة الأخرىٰ التي وردت في موضوعها، وتأولها علىٰ معنىٰ: لا أحد من من أهل الكتاب إلا ليؤمن باللَّه أو بعيسىٰ قبل موته، أي الكتابي؛ فقد خالف ظاهر الآية وسياق الكلام، وما ثبت من الأدلة الأخرىٰ في شأن عيسىٰ، وكان بذلك ممن

اتبع ما تشابه من المنزل، ولم يرده إلىٰ المحكم منه، ابتغاء الفتنة، وابتغاء تأويله، فحق عليه وعيد من [في] قلوبهم زيغ.

قال اللَّه تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [آل عمران: ٧].

ثم إن من يقول بإماته اللَّه لعيسىٰ حين كاد له اليهود، إما أن يعترف بنزول عيسىٰ عليه السلام آخر الزمان عملا بما ورد من الأحاديث الصحيحة في ذلك. وإما أن ينكر نزوله.

فإن اعترف به لزمه أن يثبت لعيسىٰ موتًا، ثم حياة في الدنيا، ثم موتًا عند الكيد والرفع، ثم حياة، ثم موتًا بعد النزول، ثم حياة عن البعث.

وهذا مخالف بلا دليل لقوله تعالىٰ: ﴿كَيۡفَ تَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا فَأَحۡيَٰكُمۡۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [البَقَرَة: ٢٨]، ولقوله تعالىٰ: ﴿قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثۡنَتَيۡنِ وَأَحۡيَيۡتَنَا ٱثۡنَتَيۡنِ فَٱعۡتَرَفۡنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلۡ إِلَىٰ خُرُوجٖ مِّن سَبِيلٖ﴾ [غافر: ١١].

وإن أنكر نزوله بعد رفعه كان رادًّا للأحاديث الصحيحة المتلقاة بالقبول عند علماء المسلمين الشاهدة شهادة صريحة بنزوله، ودعوته إلىٰ الحق، وحكمه به، وقتله الخنزير، وكسره الصليب... إلخ ما ثبت من أحواله بعد نزوله.

وكلا الأمرين لا مخلص منه إلا بالقول بما قال به أهل السنة والجماعة

من إنجاء اللَّه عيسىٰ من كيد اليهود، ورفعه إليه بدنًا وروحًا، وإنزاله آخر الزمان حكمًا عدلًا.

وباللَّه التوفيق، وصلىٰ اللَّه علىٰ نبينا محمد، وآله وصحبه وسلم.

* * *

● ومن «فتاوىٰ اللجنة الدائمة»[1]:

سؤال: مع هذه المسألة نصوص يستدل بها القاديانيون علىٰ موت عيسىٰ ودفنه، أرجو بيان تلك النصوص للرد عليهم؟

الآية الأولىٰ: قوله تعالىٰ: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ﴾ **الآية** [المائدة: ٧٥].

الجواب:

القصد من هذه الآية الرد علىٰ من قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ﴾ [المائدة: ١٧]، ومن قالوا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ﴾ [المائدة: ٧٣]، ومن قال: إنه ابن اللَّه ببيان أن عيسىٰ المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ ليس ربًّا ولا إلها يعبد، بل رسول كرمه اللَّه بالرسالة، شأنه شأن الرسل الذين مضوا من قبله أجله محدود، لكن لم تبين هذه الآية متىٰ يموت.

وقد بينت الأدلة الماضية من الكتاب والسنة أنه رفع حيًّا، وأنه سينزل حكمًا عدلًا، ثم يموت بعد نزوله آخر الزمان، وحكمه بين الناس.

---

(١) فتاوىٰ اللجنة (٣/ ٣١٠-٣٢٢).

ثم ذكر تعالىٰ أن عيسىٰ وأمه عَلَيْهِمَا السَّلَامُ كانا يأكلان الطعام، فدل بذلك علىٰ أنهما ليسا إلهين مع اللَّه لحاجتهما إلىٰ ما يحفظ عليهما حياتهما من الطعام. واللَّه تعالىٰ فرد صمد له الغنىٰ المطلق، يحتاج إليه كل ما عداه ولا يحتاج هو إلىٰ أحد سواه.

يؤيد أن المراد بالآية هو ما ذكر سابقها ولاحقها من الآيات، فقد سبقها آية: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ٧٢]: وآية: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَـٰثَةٍ﴾ [المائدة: ٧٣].

وقد ذكر بعدهما النهي عن الغلو في الدين، وإنكار عبادة غير اللَّه، ولعن من فعل ذلك أو سكت عنه، ولم ينكره.

ويوضح ذلك أيضًا قوله تعالىٰ في سورة الأنعام: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾ الآية [الأنعام: ١٤].

الآية الثانية: قوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾ **الآية** [الفرقان: ٢٠].

الجواب:

القصد من الآية الرد علىٰ من كفر برسالة محمد ﷺ لزعمه أن الرسول إنما يكون من الملائكة لا من البشر، فرد اللَّه عليهم زعمهم ببيان أن سننه سبحانه في إرسال رسل إلىٰ البشر أن يصطفيهم من البشر. وأنهم يأكلون الطعام، ويمشون في الأسواق شأنهم في ذلك شأن البشر، وليس في الآية تحديد لأجل عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقد بينت الآيات الأخرىٰ والأحاديث رفعه حيًّا، ثم نزوله وحكمه بعد نزوله آخر الزمان ثم موته كما تقدم.

الآية الثالثة: قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُوا۟ خَٰلِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٨].

الجواب:

ليس في هذه الآية أي دلالة علىٰ موت عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ حينما تآمر اليهود علىٰ قتله وصلبه، وإنما فيها الدلالة علىٰ أن الأنبياء والمرسلين، ومنهم عيسىٰ ليسوا أجسادًا لا تأكل، بل يأكلون كما يأكل الناس، وفيها الحكم بأنهم لا يخلدون في الدنيا، وأهل السنة يؤمنون بذلك، وأن عيسىٰ كغيره من المرسلين يأتي عليه الموت كغيره إلا أن الكتاب والسنة دلَّا علىٰ أن ذلك بالنسبة له لا يكون إلا بعد نزوله من السماء حكمًا عدلًا فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، كما تقدم.

الآية الرابعة: قوله تعالىٰ: ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٦٢].

الجواب:

هذه الجملة، وإن كانت عامة إلا أنها خصصت بالآيات والمعجزات التي أجراها اللَّه علىٰ أيدي رسله، وكانت حجة لهم علىٰ أممهم في إثبات الرسالة؛ كانفلاق البحر لموسىٰ اثني عشر طريقًا يبسًا بضربة عصا، وكإبراء عيسىٰ الأكمه والأبرص وإحيائه الموتىٰ بإذن اللَّه، إلىٰ غير هذا مما هو كثير معلوم، فرفع عيسىٰ حيًّا، وإبقاؤه قرونًا، ونزوله بعد ذلك مما استثني من هذا العموم كغيره من خوارق العادات التي هي سنة اللَّه مع رسله، ولا غرابة في ذلك.

الآية الخامسة: قوله تعالىٰ: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الزخرف: ٥٩].

الجواب:

هذه الآية تثبت العبودية لعيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وأن اللَّه أنعم عليه بالرسالة، وليس ربًّا، ولا إلها، وأنه آية علىٰ كمال قدرة اللَّه، ومثل أعلىٰ في الخير يقتدىٰ به، ويهتدىٰ بهديه، فهي شبيهة في مغزاها بالآية الأولىٰ، وليس فيها أي دلالة علىٰ تحديد لأجل عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وإنما يؤخذ بيان ذلك، وتحديده من نصوص أخرىٰ، كما تقدم.

الآية السادسة: قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ **الآية** [المَائدة: ١٧].

الجواب:

جاء في صدر الآية: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ [المَائدة: ١٧]، فكان قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ الآية [المَائدة: ١٧]: ردًّا علىٰ زعمهم أن عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ هو اللَّه ببيان أن عيسىٰ وأمه عبدان ضعيفان كسائر خلق اللَّه، ولو شاء اللَّه أن يهلكه وأمه ومن في الأرض جميعًا من المخلوقات لفعل، ولكنه لم يعمهم بالهلاك، بل أجرىٰ فيهم سنته بالإهلاك في مواقيت محدودة اقتضتها حكمته سبحانه، وكان من حكمته أنه لم يهلك عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ حينما تآمر عليه اليهود ولا بعد رفعه، وإنما رفعه حيًّا، وأبقاه حيًّا حتىٰ ينزل ويحكم بين الناس بشريعة محمد ﷺ، ثم يميته بعد ذلك، كما تقدم.

الآية السابعة: قوله تعالىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ [المؤمنون: ٥٠].

الجواب:

حمل مريم بعيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ بلا أب علىٰ خلاف السنة الكونية في غيرهما من الآيات البينات الدالات علىٰ كمال قدرة اللَّه سبحانه، وقد آواهما اللَّه إلىٰ ربوة مكان مرتفع خصيب فيه استقرار وماء معين ظاهر تراه العيون.

والمراد بذلك بيت المقدس من فلسطين رحمة من اللَّه بهما ونعمة من اللَّه عليهما، وكان ذلك في فلسطين لا في بلد من بلاد باكستان، وكان ذلك قبل نبينا ﷺ بأكثر من خمسمائة عام لا بعد هجرة نبينا محمد ﷺ بأكثر من اثني عشر قرنًا، فمن حمل الربوة علىٰ مكان بباكستان أو تأول ابن مريم علىٰ غلام أحمد فقد حرف الآية، وافترىٰ علىٰ اللَّه كذبًا، وخرج عن واقع التاريخ.

الآية الثامنة: قوله تعالىٰ: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ **الآية** [آل عمران: ٥٥] **الآية**.

الجواب:

استدلال القاديانيين بهذه الآية علىٰ موت عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ فيما مضىٰ مبني علىٰ تفسير التوفي بالإماتة، وهو مخالف لما صح عن السلف من تفسيره بقبض اللَّه رسوله عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ من الأرض، ورفعه إليه حيًّا، وتخليصه بذلك من الذين كفروا، جمعًا بين نصوص الكتاب والسنة الصحيحة الدالة

على رفعه حيًّا وعلى نزوله آخر الزمان، وعلى إيمان أهل الكتاب جميعًا وغيرهم به حين نزوله.

أما ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما من تفسير التوفي هنا بالإماتة، فلم يصح سنده؛ لانقطاعه، إذ هو من رواية علي بن أبي طلحة عنه، وعلي لم يسمع منه، ولم يره، ولم يصح أيضًا ما روي عن وهب بن منبه اليماني من تفسير التوفي بالإماتة؛ لأنه من رواية محمد بن إسحاق عمن لم يسمهم عن وهب بن منبه، وابن إسحاق مدلس وفيه مجهول.

ثم هذا التفسير لا يزيد عن كونه احتمالًا في معنى التوفي فإنه قد فسر بمعان، ففسر بأن اللَّه قد قبضه من الأرض بدنًا وروحًا، ورفعه إليه حيًّا، وفسر بأنه أنامه ثم رفعه، وبأنه يميته بعد رفعه ونزوله آخر الزمان، إذ الواو لا تقتضي الترتيب، وإنما تقتضي جمع الأمرين له فقط.

وإذا اختلفت الأقوال في معنى الآية وجب المصير إلى القول الذي يوافق ظواهر الأدلة الأخرى، جمعًا بين الأدلة، وردًا للمتشابه منها إلى المحكم كما هو شأن الراسخين في العلم دون أهل الزيغ الذين يتبعون ما تشابه من التنزيل ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، وقانا اللَّه شرهم.

الآية التاسعة: قوله تعالى: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ **الآية** [المائدة: ١١٧].

الجواب:

الاستدلال بالآية على موت عيسى عليه السلام قبل رفعه إلى السماء، أو بعد رفعه، وقبل نزوله آخر الزمان مبني على تفسير التوفي بالإماتة كما

سبق في الكلام على الآية الثامنة، وقد تقدم أن هذا التفسير غير صحيح، وأنه على خلاف ما فسره به السلف، جمعًا بين نصوص الأدلة من الكتاب والسنة الصحيحة.

الآية العاشرة: قوله تعالى: ﴿وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [مريم: ٣١].

الجواب:

هذه الكلمة مما حكاه اللَّه سبحانه في القرآن من كلام عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في المهد، وفيها أنه سبحانه أمره بالصلاة والزكاة ما دام حيًّا، وليس فيها تحديد لحياته، ولا بيان لوقت مماته، وقد بينت ذلك الأدلة التي تقدم ذكرها، فيجب حمل المجمل على المفصل من النصوص، وألا يضرب بعضها ببعض ولا يوقف منها عند المتشابه، فإن جميع ذلك من عند اللَّه يبين بعضه بعضًا، ويصدق بعضه بعضًا.

الآية الحادية عشرة: قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم: ٣٣] .

الجواب:

هذه كالتي قبلها فيها إثبات السلام والأمن له من اللَّه في كل أحواله، وليس فيها تحديد لمدة حياته، ولا لوقت موته، فيجب الرجوع إلى النصوص الأخرى التي تبين ذلك، كما تقدم بيانه.

الآية الثانية عشرة: قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ۝٢٠ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ﴾ **الآية** [النحل: ٢٠-٢١].

الجواب:

هذه الآية سيقت للرد علىٰ من عبد غير اللَّه من الملائكة، وعزير، وعيسىٰ، واللات والعزىٰ، ومناة، ولبيان أنهم لا يخلقون شيئًا ما ولو ذبابًا، بل هم مخلوقون مربوبون أموات غير أحياء، لكن الأدلة الأخرىٰ دلت علىٰ بقاء عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ حيًا حتىٰ ينزل، ويحكم بين الناس بشريعة محمد ﷺ ثم يموت.

الآية الثالثة عشرة: قوله تعالىٰ: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦].

الجواب:

هذه الآية أمر اللَّه فيها بالإيمان بجميع الأنبياء وما أنزل إليهم من ربهم، وبين أنه سبحانه لا يفرق بينهم في وجوب الإيمان بهم، وبما أنزل إليهم من اللَّه، وفي هذا رد علىٰ اليهود والنصارىٰ الذين قالوا ﴿كُونُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ تَهۡتَدُواْۗ﴾ [البقرة: ١٣٥]، وبيان لما أجمل من الرد عليهم في قوله تعالىٰ لنبيه محمد ﷺ: ﴿قُلۡ بَلۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِـۧمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [البَقَرَة: ١٣٥] .

وليس المراد الأمر بعدم التفريق بينهم في الموت والحياة، فإن هذا لا يرشد إليه سياق الكلام، بل يرشد إلىٰ ما ذكرنا، كما أن ذلك مما لم تدع إليه الرسل، فحمل الآية علىٰ تحريف لها عما سيقت له من المعنىٰ.

وعلىٰ تقدير حمل قوله: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾ [البَقَرَة: ١٣٦] علىٰ عمومه حتىٰ يشمل عدم التفريق بينهم في جنس الموت والحياة، فدليل الواقع والنصوص يدل علىٰ التفاوت بينهم في كثير من صفات الموت والحياة وأنواعها وزمنها ومكانها وطول العمر وقصره إلىٰ غير ذلك، فلتكن حياة عيسىٰ وامتدادها طويلًا ومكانها وموته بعد ذلك مما اختلف فيه عن إخوانه النبيين بدليل النصوص السابقة.

الآية الرابعة عشرة: قوله تعالىٰ: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٣٤].

الجواب:

القصد من هذه الآية بيان أن كل إنسان مجزي بعمله لا يتجاوزه إلىٰ غيره ولا يسأل عنه سواه، كما في قوله تعالىٰ: ﴿كُلُّ ٱمْرِيٍٕ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطُّور: ٢١]، وقوله: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعَام: ١٦٤]، فعليه أن يسعىٰ جهده في كسب الخير واجتناب الشر، وألا يتعلق علىٰ غيره فخرًا به أو أملًا في النجاة من العذاب يوم القيامة بقرابته منه أو صلته به وتعظيمه له في دنياه.

وعيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وإن دخل في عموم الأمة الماضية إلا أن الأدلة من الكتاب والسنة قد خصصته برفعه إلىٰ السماء، وإبقائه حيًا، ثم إنزاله آخر الزمان، إلىٰ آخر ما تقدم بيانه، ومن الأصول المعلومة في الشريعة الإسلامية أن النصوص الخاصة يقضي بها علىٰ النصوص العامة فتخصصها، والنصوص التي نحن بصددها من ذلك.

الآية الخامسة عشرة: قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٥٧-١٥٨].

الآية السادسة عشرة: قوله تعالىٰ: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النِّساء: ١٥٩].

الجواب:

تقدم الكلام علىٰ هاتين الآيتين في الكلام علىٰ الآية الأولىٰ والثانية والثالثة والرابعة.

وبالجملة، فما يتعلق به القاديانيون من الآيات القرآنية لإثبات ما زعموا من أن عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ قد مات ودفن:

١- إما عمومات خصصتها أدلة أخرىٰ من الآيات والأحاديث، دلت علىٰ رفع عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ حيًّا وبقائه كذلك حتىٰ ينزل آخر الزمان، ويحكم بشريعة القرآن، ووقف القاديانيون عند عموم الآيات بعد تخصيصها، وذلك باطل؛ لمخالفته للقواعد والأصول الإسلامية.

٢- وإما آيات مجملة فسرتها نصوص أخرىٰ يجب المصير إليها، فوقف القاديانيون عند المجمل يتعللون به لباطلهم دون أن يرجعوا إلىٰ المحكم الذي فسره؛ وهذا شأن من في قلوبهم زيغ ونفاق، الذين يتبعون ما تشابه من نصوص الكتاب والسنة ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله علىٰ ما يوافق هواهم.

٣- وإما كلمات اعتمدوا في تفسيرها علىٰ آثار لم تصح نسبتها إلىٰ السلف، وقد تقدم بيان ذلك عند الكلام علىٰ الآية الثامنة: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾ [آل عمران: ٥٥].

ففرح هؤلاء بهذه الآثار لموافقتها لهواهم وموهوا بها على الجهال، ولم ينظروا إلى أسانيدها، إما لجهلهم، وإما تدليسًا وخداعًا، وترويجًا لباطلهم، وما ذلك إلا لزيفهم ورغبتهم في الفتنة.

قال اللَّه تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: ٧].

وروى البخاري وغيره عن عائشة رضي الله عنها قالت: تلا رسول اللَّه ﷺ هذه الآية: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ إلى قوله: ﴿أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: ٧] قالت: قال رسول اللَّه ﷺ: «**فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى اللَّه فاحذروهم**»(١).

وعلى هذا يتضح للسائل بأن يرجع فيما بقي من الآيات إلى ما مضى شرحه منها من جنسها، والكلام فيها على نسق ما تقدم.

وباللَّه التوفيق. وصلى اللَّه على نبينا محمد، و آله وصحبه وسلم.

* * *

---

(١) أخرجه: البخاري (٦/ ٤٢)، ومسلم (٨/ ٥٦).

خالد بن سنان

● ومن «الأجوبة المرضية» للسخاوي[١]:

الحمد للَّه . وسئلت عن خالد بن سنان الذي أدركت ابنته النبي ﷺ، وآمنت به أكان نبيًّا أم لا؟ وهل كان بين عيسىٰ ومحمد ﷺ نبيٌّ أم لا؟

فقلت:

اختلف في ذلك، وحجة المثبتين حديث ليس بحجة؛ لأن يدور علىٰ راوٍ كان رديء الحفظ، وكان له ابن يدخل في أحاديثه ما ليس منها.

ورواه شخص من الحفاظ الأثبات فأرسله بحذف ابن عباس، ولفظ الحديث المشار إليه: جاءت ابنة خالد بن سنان إلىٰ النبي ﷺ فبسط لها قوبه وقال: «**إنه نبي ضيعه قومه**»[٢].

علىٰ أنه جاء عن ابن عباس من قوله بسند ضعيف أيضًا: كان خالد بن سنان بعث مبشرًا بمحمد ﷺ، فلما حضرته الوفاة قال: (إذا أنا مت فادفنوني في حقف من هذه الأحقاف) وهذا مع ضعفه ليس صريحًا في المراد.

وكذا ما روي عن ابن عباس أيضًا رفعه: «**إن اللَّه عز وجل خلق طائرًا**

---

(١) «الأجوبة المرضية» (٢/ ٦٩٥-٦٩٨).

(٢) أخرجه: البزار (٢٣٦١-كشف)، وابن عدي (٦/ ٢٠٦٩)، والطبراني في «الكبير» (١٢٢٥٠)، وأبو نعيم في «أخبار أصبهان» (٢/ ١٧٨)، وراجع: الضعيفة (٢٨١).

في الزمن الأول يقال له : العنقاء، فكثر نسله ببلاد الحجاز، فكانت تخطف الصبيان، فشكوا ذلك لخالد بن سنان - وهو نبي ظهر بعد عيسىٰ من بني عبس - فدعا عليها أن يقطع نسلها».

ولو صح هذا طرقه احتمال الإدراج في قوله: «**وهو نبي**».

وقال أبو يونس [قال] سماك بن حرب: سئل عنه النبي ﷺ فقال: «**ذاك نبي ضيعه قومه**». أخرجه الحاكم في «صحيحه»[1]، وهو موقوف ومع ذلك فسنده ضعيف أيضًا.

ومثله في الضعف، بل أشد ما رُوي عن سباع بن زيد أنهم وفدوا علىٰ رسول اللَّه ﷺ فذكروا له قصة خالد فقال: «**ذاك نبي ضيعه قومه**».

ولأجل ذلك كله قال شيخي رحمه الله[2]: إن أصح ما وقفت عليه في ذلك الرواية المرسلة - يعني التي صدرت بها - وكذا سبقه للإشارة إلىٰ إنكار ذلك أبو حمزة السكري، فروىٰ الحاكم في «تاريخ نيسابور» من طريق الفضل بن موسىٰ أنه دخل عليه فحدثه عن الكلبي عن أبي صالح، عن ابن عباس قال: دخلت ابنة خالد بن سنان علىٰ النبي ﷺ فقال: «**مرحبًا**» - فذكره. فقال أبو حمزة: أستغفر اللَّه أستغفر اللَّه.

---

(١) «المستدرك» (٢/ ٥٩٨-٥٩٩).

والزيادة من «المستدرك»، لكن هي كما ترىٰ مرفوعة، وليست موقوفة كما قال المؤلف، فلعله يقصد أصل الحديث، فإنه يرويه أبو يونس عن عكرمة عن ابن عباس موقوفًا مطولًا، وهو في «المستدرك» قبل هذه الرواية. واللَّه أعلم.

(٢) «الإصابة» (٢/ ٣٧٠).

وممن جزم بإثباتها متمسكًا بما أسلفته أبو عبيدة معمر بن المثنىٰ فقال: إنه لم يكن في بني إسماعيل نبي غيره قبل محمد ﷺ.

وأما القاضي عياض فإنه أورده في «الشفا» بصيغة التمريض، وذلك أنه قال في سياق من اختلف في نبوته: وخالد بن سنان المذكور يقال: إنه نبي أهل الرس.

وقال العماد بن كثير[1] عقب إيراد بعض الموقوفات في ذلك: فهذا السياق موقوف، وليس فيه أنه كان نبيًا، والمرسلات التي فيها أنه كان نبيًا لا يحتج بها هاهنا، والأشبه أنه كان رجلًا صالحًا له أحواله وكرامات، فإنه إن كان في زمن الفترة فقد ثبت في «صحيح البخاري» رضي الله عنه رسول اللَّه ﷺ أنه قال: «**أنا أولىٰ الناس بعيسىٰ بن مريم، إنه ليس بيني وبينه نبي**»[2]. وإن كان قبلها فلا يمكن أن يكون نبيًا؛ لأن اللَّه تعالىٰ قال: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ [القَصَص: ٤٦].

وقال غير واحد من العلماء: إن اللَّه تعالىٰ لم يبعث بعد إسماعيل نبيًا في العرب إلا محمدًا ﷺ خاتم الأنبياء الذي دعا به إبراهيم الخليل، باني الكعبة المكية، جعلها اللَّه عز وجل قبله لأهل الأرض شرعًا، وبشرت به الأنبياء قومهم، حتىٰ كان آخر من بشر به عيسىٰ بن مريم عليه السلام.

وبهذا المسلك بعينه يرد ما ذكره السهيلي، وغيره من إرسال نبي من العرب يقال له: شعيب بن ذي مهذم غير شعيب صاحب مدين، وبعث

(١) راجع: «البداية والنهاية» (٢/ ٢١٢).
(٢) أخرجه: البخاري (٤/ ٢٠٣)، من حديث أبي هريرة.

إلىٰ العرب أيضًا حنظلة بن صفوان فكذبوهما، فسلط اللَّه علىٰ العرب بخت نصر فنال منهم من القتل والسبي، نحو ما نال من بني إسرائيل، وذلك في زمن معد بن عدنان، والظاهر أن هؤلاء كانوا قومًا صالحين يدعون إلىٰ الخير. وباللَّه التوفيق. وكان يمكن بسط ذلك في كراسة لكن قد حصل فوق الغرض إن شاء اللَّه.

* * *

حنظلة بن صفوان

● ومن «فتاوىٰ اللجنة الدائمة»[1]:

سؤال: بناء علىٰ ما جاء في كتاب «قصص الأنبياء» لابن كثير، أنه يوجد نبي من أنبياء اللَّه اسمه: حنظلة بن صفوان، مع العلم أنه سبق أن نشرت عدة كتب ومؤلفات لم تتضمن اسم هذا النبي، فالرجاء منكم أن تتفضلوا علينا بالإجابة الصحيحة. وكذلك إرشادنا إلىٰ اي مؤلف، أو كتاب ذكر فيه اسم هذا النبي.

كما نطلب منكم توضيح من هو العبد الأسود الذي سيدخل الجنة هو الأول، وطبعًا إن الحافظ ابن كثير أشار إليه في نفس الكتاب المذكور «قصص الأنبياء» الجزء الأول الصفحة ٢٣٩ في باب: أصحاب الرس، المجلد الصادر عن دار مصر للطباعة.

---

(١) فتاوىٰ اللجنة (٤/ ٤٤٨-٤٤٩).

الجواب:

ما ذكر من أن اللّٰه تعالىٰ بعث نبيًّا يسمىٰ: حنظلة بن صفوان، وأن قومه قتلوه، نقله ابن كثير عن السهيلي في كتاب «البداية»، ولم يذكر السهيلي، ولا ابن كثير له سندًا، ولم ينسبه لأحد، ومثل هذا لا يعتمد عليه.

وحديث: «**إن أول الناس يدخل الجنة يوم القيامة العبد الأسود**» غير صحيح فيما نعلم، وقد ذكره ابن كثير في «البداية»، وقال: إنه مرسل؛ لأن محمد بن كعب القرظي لم يدرك النبي ﷺ.

وباللّٰه التوفيق. وصلىٰ اللّٰه علىٰ نبينا محمد، وآله وصحبه وسلم.

* * *

هل بين عيسىٰ ومحمد - صلىٰ اللّٰه عليهما وسلم - نبي؟

● *ومن «الفتاوىٰ الحديثية» للهيتمي*[1]:

وسئل - نفع اللّٰه بعلومه - عن قوله ﷺ: «إن عيسىٰ أخي، ليس بيني وبينه نبي»[2] أو كما قال كما في «الشفاء» عن مسلم، ونقل البيضاوي في «تفسيره» أنه كان بينه وبين عيسىٰ - عليهما الصلاة والسلام - نبيان فما الجمع بينهما؟

(١) الفتاوىٰ الحديثية للهيتمي (ص٨٦).

(٢) أخرجه: البخاري (٤/٢٠٣)، ومسلم (٧/٩٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ولفظه: «**أنا أولىٰ الناس بعيسىٰ، الأنبياء أبناء علَّات، ولي بيني وبين عيسىٰ نبي**».

فأجاب بقوله:

خبر مسلم أصح من هذا القول، فليقدم عليه، وعلىٰ التنزل فيجمع بحمل النفي فيه علىٰ أنه لم يكن بينهما نبي مشهور يعرفه كل أحد.

ولا خصوصية لمسلم بذلك فقد روىٰ البخاري أيضًا، وأحمد، وأبو داود عن أبي هريرة أنه ﷺ قال: «**أنا أولىٰ الناس بعيسىٰ بن مريم في الدنيا والآخرة، وليس بيني وبينه نبي، والأنبياء أولاد علات أمهاتهم شتىٰ ودينهم واحد**» أي فروع شرائعهم مختلفة، وأصولها متحدة، وباللَّه التوفيق، واللَّه أعلم.

* * *

أصحاب الكهف وأصحاب الصخرة

● ومن «فتاوىٰ ابن باز»[1]:

سؤال: ما هو القول الصحيح في عدد أهل الكهف؟ وهل هم أصحاب الصخرة؟ أم أنهم غيرهم؟ فإن كان كذلك، فمن هم إذن أصحاب الصخرة، وما هي قصتهم؟

الجواب:

أهل الكهف بينهم اللَّه في كتابه العظيم، والأقرب ما قاله جماعة من أهل العلم: أنهم سبعة، وثامنهم كلبهم، هذا هو الأقرب والأظهر، وهم أناس مؤمنون، فتية آمنوا بربهم وزادهم اللَّه هدًى، فلما أيقظهم اللَّه بعد أن ناموا

(١) «فتاوىٰ ابن باز» (٦/١٩٨-٢٠١).

المدة الطويلة، توفاهم اللّٰه بعد ذلك علىٰ دينهم الحق، هؤلاء هم أهل الكهف كما بينهم اللّٰه في كتابه الكريم، فتية آمنوا بربهم فزادهم اللّٰه هدىٰ، وناموا النومة الطويلة بإذن اللّٰه، ثم ماتوا بعد ذلك، وبنىٰ عليهم بعض أهل الغلبة هناك من الأمراء والرؤساء مسجدًا، وقد أخطئوا وغلطوا في ذلك؛ لأن القبور لا يجوز أن تبنىٰ عليها المساجد.

وقد نهىٰ رسول اللّٰه ﷺ عن ذلك، ولعن من فعله فقال: «**لعن اللّٰه اليهود والنصارىٰ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»(١)، وحذر من البناء علىٰ القبور وتجصيصها، واتخاذ المساجد عليها، كل هذا نهىٰ عنه النبي ﷺ ولعن من فعله، فلا يجوز للمسلمين أن يبنوا علىٰ القبور مساجد، ولا قبابًا ولا غير ذلك، بل تكون القبور ضاحية مكشوفة غير مرفوعة ليس عليها بناء، لا قبة ولا مسجد ولا غير ذلك، هكذا كانت قبور المسلمين في عهد النبي ﷺ، وفي عهد الخلفاء الراشدين حتىٰ غير الناس بعد ذلك، وبنوا علىٰ القبور، وهذا من الجهل، والغلط، ومن وسائل الشرك، قال النبي ﷺ: «**لعن اللّٰه اليهود والنصارىٰ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**». قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: (يحذر ما صنعوا).

وقال - عليه الصلاة والسلام - لما أخبرته أم حبيبة، وأم سلمة أن في أرض الحبشة عدة كنائس فيها تصاوير قال: «**أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا علىٰ قبره مسجدًا، وصوروا فيه تلك الصور**» ثم قال: «**أولئك**

(١) أخرجه: البخاري (٢/ ١١١، ١٢٨) (٦/ ١٣)، ومسلم (٢/ ٦٧) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

شرار الخلق عند اللَّه»(١) متفق علىٰ صحته، فأخبر أنهم شرار الخلق بسبب بنائهم علىٰ القبور، واتخاذهم الصور عليها، أسأل اللَّه السلامة.

وقال عليه الصلاة والسلام فيما رواه عنه جندب بن عبد اللَّه البجلي رضي الله عنه : «**إن اللَّه قد اتخذني خليلًا كما اتخذ إبراهيم خليلًا، ولو كنت متخذًا من أمتي خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلًا، ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك**»(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه»، فنهىٰ ﷺ في هذا الحديث العظيم عن اتخاذ القبور مساجد، وحذر من هذا، وبين أنه عمل من كان قبلنا من المغضوب عليهم والضالين، وهو عمل مذموم، وما ذاك إلا؛ لأنه من وسائل الشرك والغلو في الأنبياء والصالحين، فلا يجوز للمسلمين أن يتخذوا قبابًا ولا مساجد علىٰ قبور أمواتهم، بل هذا منكر ومن وسائل الشرك.

وهكذا لا يجوز تجصيص القبور والبناء عليها والقعود عليها؛ لما ثبت في «صحيح مسلم» عن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ نهىٰ عن ذلك، كما نهىٰ رسول اللَّه ﷺ عن الكتابة عليها أو إسراجها في أحاديث أخرىٰ، وكل ذلك من باب سد الذرائع المفضية إلىٰ الشرك والغلو، واللَّه المستعان، ولما في القعود عليها من الإهانة لأهلها.

---

(١) أخرجه: البخاري (١/ ١١٦، ١١٨) (٢/ ١١٤)، ومسلم (٢/ ٦٦، ٦٧) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) أخرجه: مسلم (٢/ ٦٧).

أما أصحاب الصخرة فكما جاء في الحديث عن عبد اللَّه بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**انطلق ثلاثة رهط ممن كان قبلكم حتىٰ أووا المبيت إلىٰ غار فدخلوه، فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار فقالوا: إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا اللَّه بصالح أعمالكم.**

فقال رجل منهم: اللَّهم كان لي أبوان شيخان كبيران، وكنت لا أغبق قبلهما أهلًا ولا مالًا، فنأىٰ بي في طلب شيء يومًا، فلم أرح عليهما حتىٰ ناما، فحلبت لهما غبوقهما، فوجدتهما نائمين، وكرهت أن أغبق قبلهما أهلًا أو مالًا، فلبثت والقدح علىٰ يدي أنتظر استيقاظهما حتىٰ برق الفجر، فاستيقظا فشربا غبوقهما، اللَّهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك، ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة، فانفرجت شيئًا لا يستطيعون الخروج».

قال النبي ﷺ: «**وقال الآخر: اللَّهم كانت لي بنت عم كانت أحب الناس إليَّ فأردتها عن نفسها، فامتنعت مني حتىٰ ألمت بها سنة من السنين، فجاءتني فأعطيتها عشرين ومائة دينار علىٰ أن تخلي بيني وبين نفسها، ففعلت حتىٰ إذا قدرت عليها قالت: لا أحل لك أن تفض الخاتم إلا بحقه، فتحرجت من الوقوع عليها، فانصرفت عنها وهي أحب الناس إليَّ، وتركت الذهب الذي أعطيتها، اللَّهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها**».

قال النبي ﷺ: «**قال الثالث: اللَّهم إني استأجرت أجراء فأعطيتهم**

أجرهم غير رجل واحد ترك الذي له وذهب، فثمرت أجره حتىٰ كثرت منه الأموال، فجاءني بعد حين فقال: يا عبد اللَّه أدِّ إليَّ أجري، فقلت له: كل ما ترىٰ من أجرك من الإبل والبقر والغنم والرقيق، فقال يا عبد اللَّه: لا تستهزئ بي، فقلت: إني لا استهزئ بك، فأخذه كله، فاستاقه فلم يترك منه شيئًا، اللَّهم فإن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك، فافرج عنا ما نحن فيه، فانفجرت الصخرة فخرجوا يمشون»(١).

في هذا الحديث موعظة، وذكرىٰ، ودلالة علىٰ أن اللَّه سبحانه علىٰ كل شيء قدير، وأنه سبحانه يبتلي عباده في السراء، والضراء، والشدة، والرخاء؛ ليمتحن صبرهم، وشكرهم، ويبين آياته لعباده، وقدرته العظيمة.

وهذا حديث صحيح، رواه مسلم والبخاري في «الصحيحين» عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي ﷺ، وفيه عبرة وإرشاد إلىٰ الضراعة إلىٰ اللَّه، وإلىٰ سؤاله عند الكرب والشدة، وأنه سبحانه قريب مجيب يسمع دعاء الداعي، ويجيب دعوته إذا شاء سبحانه وتعالىٰ، وفيه دلالة علىٰ أن الأعمال الصالحات من أسباب تيسير الأمور، وإزالة الشدائد، وتفريج الكروب، وفيه دليل علىٰ أنه ينبغي للمؤمن إذا وقع في الشدة أن يضرع إلىٰ اللَّه، ويفزع إليه ويسأله ويتوسل بأعماله الصالحة كإيمانه باللَّه ورسوله وتوحيده وإخلاص العبادة له، وكبر الوالدين وأداء الأمانة، والعفة عن الفواحش.

هذه وأمثالها هي الأسباب والوسائل الشرعية، واللَّه سبحانه من فضله

---

(١) أخرجه: البخاري (٣/ ١١٩)، ومسلم (٨/ ٩١).

وإحسانه يجيب دعوة المضطر، ويرحم عبده المؤمن ويجيب سؤاله، كما قال سبحانه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦]، وقال سبحانه: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠] ، وقال سبحانه: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ [النمل: ٦٢].

وهؤلاء الثلاثة مضطرون نزل بهم أمر عظيم،وكربة شديدة، فسألوا اللَّه بصالح الأعمال، فأجاب اللَّه دعاءهم، وفرج كربتهم. وفيه من الفوائد بيان فضل بر الوالدين، وهو من أفضل القربات، ومن أسباب تيسير الأمور، وهكذا العفة عن الزنا، والحذر منه من جملة الأعمال الصالحات، ومن أسباب النجاة من كل سوء، وهكذا أداء الأمانة والنصح فيها من أعظم الأسباب في تيسير الكروب ومن أفضل الأعمال الصالحات، ولعظم فائدة هذا الحديث أخبر النبي ﷺ أمته ليستفيدوا ويعتبروا ويتأسوا بمن قبلهم في الأعمال الصالحة. واللَّه المستعان.

❊ ❊ ❊

● ومن «الفتاوىٰ السعدية»[١]:

إشكال وجوابه في أصحاب الغار

وقع إشكال في قصة أحد الثلاثة أصحاب الغار[٢]: لما عف عن بنت عمه للَّه تعالىٰ في تلك الحالة التي منعه خوف اللَّه

(١) فتاوىٰ السعدي (ص٧٣).

(٢) هو في «الصحيحين»، وقد تقدم لفظه بتمامه في الفتوىٰ السابقة.

تعالىٰ من وقوع المحظور، كيف لم يتزوجها مع أن الظاهر أنها ليست بذات زوج؟

وأشكل منه في الآخر الذي لما وجد والديه نائمين، وقد حلب لهما غبوقهما كره أن يوقظهما، وكره أن يعطي أحدًا من أهله وأولاده والصبية يتضاغون من الجوع، كيف لم يدفع حاجة هؤلاء المضطرين مع وجوب ذلك؟ وأنه لا ينافي البر للوالدين.

فجاء الجواب لذلك:

بأن النبي ﷺ إنما ذكر في قصة كل واحد من الثلاثة أعلىٰ حالة في نيل ذلك الخلق الفاضل، فذكر أعظم عفة تقدر، وأعظم بر، وأعظم وفاء بقطع النظر عما يقترن بتلك القضايا من الأمور الأخر، إذ ليست مقصودة ولا مرادة، وقد يكون ثم موانع، وأعذار تعلم، أو لا تعلم، والله أعلم.

* * *

أجساد الأنبياء والصالحين بعد موتهم

• ومن «فتاوىٰ المنار»(١):

سؤال: أتأكل الأرض أجساد الأنبياء، والأولياء، وحفاظ القرآن الكريم، أم لا كما هو مشهور عند العامة بعدم أكلها، وقد روىٰ الفقيه أبو الليث السمرقندي في كتابه «تنبيه الغافلين» في «باب فضل الجمعة» حديثا مسندًا بهذا الشأن.

---

(١) «المنار» (٣٢/ ٢٤-٣١).

الجواب:

إن سنة اللَّه تعالىٰ في أجساد البشر واحدة في حياتهم، وموتهم وإنما يمتاز الأنبياء علىٰ غيرهم بما هو خاص بمعنىٰ النبوة وما يتعلق بها، لقوله تعالىٰ لرسوله: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَاْ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ الآية [الكهف: ١١٠]، وقوله له تلقينًا لجواب طلاب الآية منه: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾ [الإسراء: ٩٣]، ومن ثم يذكر العلماء في كتب العقائد أنه يجوز علىٰ الأنبياء طروء الأعراض البشرية عليهم من المرض، والتعب، والجوع، والعطش، والنوم، والموت، والقتل، لأن ذلك لا يخل بوظيفة الوحي ولا بالتبليغ له، ومثلها فناء الجسد.

ولكن ورد في غير الصحاح أحاديث أحادية في أن أجساد الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - لا تأكلها الأرض، أمثلها حديث أوس بن أوس في فضل يوم الجمعة الذي فيه أن الصلاة عليه ﷺ تعرض عليه، قال أوس: قالوا يا رسول اللَّه: كيف تعرض صلاتنا عليك، وقد أرمت؟ يعني بليت قال: «**إن اللَّه عز وجل حرم علىٰ الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء**»[1] رواه أحمد في «مسنده»، وأبو داود، والنسائي، والبيهقي في «الشعب»، وفي رسالته «حياة الأنبياء» وغيرهم، وقد صححه بعضهم، وحسنه آخرون منهم المنذري.

لكن قال الحافظ السخاوي بعد أن أورد تصحيحهم وتحسينهم ما نصه:

---

(١) أخرجه: أحمد (٤/ ٨)، وأبو داود (١٠٤٧، ١٥٣١)، وابن ماجه (١٠٨٥، ١٦٣٦)، والنسائي (٣/ ٩١)، وابن خزيمة (١٧٣٣، ١٧٣٤).

(قلت: ولهذا الحديث علة خفيفة، وهي أن حسينًا الجعفي راويه أخطأ في اسم جد شيخه عبد الرحمن بن يزيد حيث سماه جابرًا، وإنما هو تميم كما جزم به أبو حاتم. وغيره، وعلىٰ هذا فابن تميم منكر الحديث. ولهذا قال أبو حاتم: إن الحديث منكر، وقال ابن العربي: إنه لم يثبت.

لكن رد هذه العلة الدارقطني وقال: إن سماع حسين من جابر ثابت، وإلىٰ هذا جنح الخطيب، والعلم عند اللّٰه تعالىٰ.

وهناك أحاديث أخرىٰ ثلاثة منها بمعنىٰ هذا الحديث، ولكنها دونه في السند، ومنها ما هو في تبليغ الملائكة إياه ﷺ صلاة من يصلي عليه، وقد تكلمنا عليها أواخر المجلد الثامن من المنار (صفحة ٩٠٣-٩٠٩) وقد قلت فيها: إنها في مجموعها تدل علىٰ أن الأنبياء أحياء في البرزخ، ولكن هذه الحياة غيبية لا نعرف حقيقتها، وليست هي كالحياة في هذه الدنيا كما حققه ابن القيم في كتاب «الروح» وغيره من المحققين. إلخ.

وجملة القول: إن هذه المسألة ينظر فيها من وجهين.

أحدهما: أنها من مسائل الإيمان بعالم الغيب فهي اعتقادية، وما يجب اعتقاده والإيمان به لا يثبت إلا بالنصوص القطعية الرواية والدلالة، وليس فيها نص ظني راجح، فضلًا عن القاطع.

وثانيهما: أنها من مسائل المناقب والفضائل التي يقبلون فيها الروايات الظنية، ولا يأبون إثباتها بما دونها من الضعاف.

وبهذا النظر قبل بعض العلماء ما روي فيها، وإن كان معلولًا، وحينئذ يقال في كون معناها مخالفًا لسنن اللّٰه تعالىٰ في الأجساد، إنها تنظم في

سلك خوارق العادات، وإذا كانت ليست بعقيدة واجبة، ولا يترتب عليها عمل فلا حرج علىٰ من صدقها، ولا علىٰ من أنكرها.

ولكن بعض العلماء أدخلوا فيها القياس، وهي مما لا يقاس عليه، ولو ثبت، فقالوا: إن جميع الأولياء والشهداء كالأنبياء في هذه المنقبة، وزاد آخرون العلماء المؤذنين المحتسبين، ويتساهل في كتبة هذا المؤلفون المقلدون السطحيون، والخرافيون كأبي الليث السمرقندي، وينقلون فيها حكايات سبقهم إلىٰ مثلها النصارىٰ في شهدائهم، وقديسيهم، وإن التسليم بهذا الخرافات، وعدم إنكار العلماء لها قد كان فتنة للعقلاء المستقلين، منفرًا لهم عن الدين.

وقد نبش بعض رجال الحكومة التركية اللادينية الحاضرة بعض قبور الأولياء المعتقدين عند العامة أمام الجماهير منهم فأروهم بأعينهم أنه ليس فيها إلا عظام نخرة، واستدلوا بهذا علىٰ أن الدين كله خرافات باطلة. فما يتساهل فيه الخرافيون لتقوية إيمان العوام، قد يفضي إلىٰ هدم إيمان الخواص والعوام.

* * *

● ومن «فتاوىٰ اللجنة الدائمة»[1]:

سؤال: الأنبياء جميعهم ماتوا، ولكن الرسول عليه السلام يوم أسري به، وعرج به إلىٰ السماء رأىٰ في كل سماء أحد الأنبياء، والرسل، وصلىٰ بهم، فهل يعني هذا أن الأولياء الصالحين كذلك يرفعون إلىٰ السماء؟

---

(١) فتاوىٰ اللجنة الدائمة (٣/ ٢٦٥-٢٦٦).

وقبل أيام قرأت في كتاب لا أذكر اسمه بالضبط أن الرسل عندما يموتون تبقىٰ أجسامهم حية لا تفنىٰ، أقصد أن الدود لا يأكلها كما يأكل باقي الأجساد، فما رأيكم؟

الجواب:

إذا مات الإنسان وليًا أو غير ولي فإن جسمه لا يرفع إلىٰ السماء، وإنما تصعد روح المؤمن إلىٰ السماء، وأما الأجساد فإنها تبقىٰ في الأرض؛ لقوله تعالىٰ: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ [طه: ٥٥]، كما أن الأجساد تفنىٰ.

ويأكلها الدود حاشا أجساد الأنبياء، فقد ثبت من حديث أوس بن أوس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه قبض، وفيه النفخة، وفيه الصعقة، فأكثروا علي من الصلاة فيه، فإن صلاتكم معروضة علي**» فقالوا: يا رسول الله، وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت؟ قال: يقولون: بليت، قال: «**إن الله حرم علىٰ الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء**»[(١)] رواه أبو داود والنسائي.

مع العلم بأن عيسىٰ بن مريم - عليه الصلاة والسلام - لم يمت، وإنما رفع إلىٰ السماء، وسينزل في آخر الزمان ثم يموت، كما تواترت بذلك الأحاديث عن رسول الله ﷺ.

وبالله التوفيق. وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد، وآله وصحبه وسلم.

* * *

(١) أخرجه: أحمد (٤/ ٨)، وأبو داود (١٠٤٧، ١٥٣١)، وابن ماجه (١٠٨٥، ١٦٣٦)، والنسائي (٣/ ٩١)، وابن خزيمة (١٧٣٣، ١٧٣٤).

• ومن «فتاوىٰ اللجنة الدائمة»(١):

سؤال: في حياة النبي ﷺ، أكان النبي ﷺ حيًا في قبره الشريف بإعادة الروح في الجسد والبدن (العنصرية) بحياة دنيوية حسية أو حيًا في أعلىٰ عليين بحياة أخروية برزخية بلا تكليف، كما قال النبي ﷺ حين حضره الموت: اللَّهم بالرفيق الأعلىٰ وجسده المنور الآن كما وضع في قبر بلا روح، والروح في أعلىٰ عليين، واتصال الروح بالبدن والجسد المعطر عند يوم القيامة كما قال اللَّه تعالىٰ: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ﴾ [التكوير: ٧].

الجواب:

إن نبينا محمدًا ﷺ حي في قبره حياة برزخية يحصل بها التنعم في قبره بما أعده اللَّه له من النعيم جزاء له علىٰ أعماله العظيمة الطيبة التي قام بها في دنياه - عليه من ربه أفضل الصلاة والسلام -، ولم تعد إليه روحه ليصير حيًا كما كان في دنياه، ولم تتصل به وهو في قبره اتصالًا يجعله حيًا كحياته يوم القيامة، بل هي حياة برزخية وسط بين حياته في الدنيا وحياته في الآخرة.

وبذلك يعلم أنه قد مات كما مات غيره ممن سبقه من الأنبياء وغيرهم، قال اللَّه تعالىٰ: ﴿وَمَا جَعَلۡنَا لِبَشَرٖ مِّن قَبۡلِكَ ٱلۡخُلۡدَۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلۡخَٰلِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٤]، وقال: ﴿كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ ۝٢٦ وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ﴾ [الرحمٰن: ٢٦-٢٧]، وقال: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٞ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠]، إلىٰ أمثال

(١) فتاوىٰ اللجنة (١/ ٤٧٠-٤٧١)، (٣/ ٢٢٧-٢٢٩).

ذلك من الآيات الدالة علىٰ أن اللَّه قد توفاه إليه؛ ولأن الصحابة ﷺ قد غسلوه وكفنوه وصلوا عليه ودفنوه، ولو كان حيًّا حياته الدنيوية ما فعلوا به ما يفعل بغيره من الأموات.

ولأن فاطمة رضي الله عنها قد طلبت إرثها من أبيها ﷺ لاعتقادها بموته ولم يخالفها في ذلك الاعتقاد أحد من الصحابة، بل أجابها أبو بكر رضي الله عنه بأن الأنبياء لا يورثون.

ولأن الصحابة ﷺ قد اجتمعوا لاختيار خليفة للمسلمين يخلفه، وتم ذلك بعقد الخلافة لأبي بكر رضي الله عنه، ولو كان حيًّا كحياته في دنياه لما فعلوا ذلك، فهو إجماع منهم علىٰ موته.

ولأن الفتن والمشاكل لما كثرت في عهد عثمان وعلي رضي الله عنهما وقبل ذلك وبعده لم يذهبوا إلىٰ قبره لاستشارته، أو سؤال في المخرج من تلك الفتن والمشاكل وطريقة حلها، ولو كان حيًّا كحياته في دنياه لما أهملوا ذلك، وهم في ضرورة إلىٰ من ينقذهم مما أحاط بهم من البلاء.

أما روحه فهي في أعلىٰ عليين لكونه أفضل الخلق، وأعطاه اللَّه الوسيلة، وهي أعلىٰ منزلة في الجنة؛ عليه الصلاة والسلام.

* * *

● **ومن «فتاوىٰ اللجنة الدائمة»**[١]:

سؤال: هل يسمع النبي ﷺ كل دعاء ونداء عند قبره

---

(١) «فتاوىٰ اللجنة» (٣/ ٢٩٩-٢٣٠).

الشريف أو صلوات خاصة حين يصلىٰ عليه كما في الحديث: «من صلىٰ علي عند قبري سمعته. . . » إلىٰ آخر الحديث. أهذا الحديث صحيح أو ضعيف أو موضوع علىٰ رسول اللَّه ﷺ؟

الجواب:

الأصل أن الأموات عمومًا لا يسمعون نداء الأحياء من بني آدم، ولا دعاءهم كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ﴾ [فاطر: ٢٢]، ولم يثبت في الكتاب، ولا في السنة الصحيحة ما يدل علىٰ أن النبي ﷺ يسمع كل دعاء، أو نداء من البشر حتىٰ يكون ذلك خصوصيَّةً له.

وإنما ثبت عنه ﷺ أنه يبلغه صلاة وسلام من يصلي ويسلم عليه فقط، سواء كان من يصلي عليه عند قبره، أو بعيدًا عنه كلاهما سواء في ذلك، لما ثبت عن علي بن الحسين بن علي رضي الله عنهم أنه رأىٰ رجلًا يجيء إلىٰ فرجة كانت عند قبره النبي ﷺ فيدخل فيها فيدعو فنهاه، وقال: ألا أحدثكم حديثًا سمعته من أبي عن جدي عن رسول اللَّه ﷺ أنه قال: «**لا تتخذوا قبري عيدًا، ولا بيوتكم قبورًا، وصلوا علي فإن تسليمكم يبلغني أين كنتم**»(١).

أما حديث: «**من صلىٰ علي عند قبري سمعته ومن صلىٰ علي بعيدًا بلغته**»(٢) فهو حديث ضعيف عند أهل العلم، قال ابن تيمية: هذا حديث موضوع علىٰ الأعمش بإجماعهم.

---

(١) أخرجه: أبو يعلىٰ (٤٦٩)، وابن أبي شيبة (٢/ ١٥٠).

(٢) أخرجه: الخطيب في «تاريخه» (٣/ ٢٩١-٢٩٢)، وابن الجوزي في «الموضوعات» (٥٦٢). وراجع: «الصحيحة» (٢٠٣).

وأما ما رواه أبو داود بإسناد حسن عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**ما من أحد يسلم علي إلا رد الله عليه روحي حتىٰ أرد عليه السلام**»[(١)] فليس بصريح أنه يسمع سلام المسلم، بل يحتمل أنه يرد عليه إذا بلغته الملائكة ذلك، ولو فرضنا سماعه سلام المسلم لم يلزم منه أن يلحق به غيره من الدعاء، والنداء.

* * *

خصائص النبي ﷺ

● ومن «الأجوبة المرضية» للسخاوي[(٢)]:

سئلت عن حديث «أوتيت جوامع الكلم واختصر لي الكلام اختصارًا».

الجواب:

روىٰ أبو أحمد العسكري في كتاب «الأمثال» له من طريق سليمان بن عبد الله النوفلي، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، أن النبي ﷺ قال: «**أوتيت جوامع الكلم واختصرت لي الأمور اختصارًا**».

وهذا مرسل، وفي سنده من لم أعرفه.

وفي: «مسند الفردوس» تبعهًا لأبيه بلا إسناد عن ابن عباس: «**أعطيت جوامع الكلم، واختصر لي الحديث اختصارًا**».

---

(١) أخرجه: أحمد (٢/ ٥٢٧)، وأبو داود (٢٠٤١).
(٢) «الاجوبة المرضية» (٢/ ٥٩٤-٥٩٨).

وعند البيهقي في «الشعب» من طريق عبد الرزاق، عن معمر، عن أيوب، عن أبي قلابة: أن عمر مر برجل يقرأ كتابًا من التوراة، فذكر الحديث، وقوله ﷺ: «**إنما بعثت فاتحًا وخاتمًا، وأعطيت جوامع الكلم وخواتمه، واختصر لي الحديث اختصارًا**»[1].

وللطبراني، من طريق أبي الدرداء قال: جاء عمر، وذكر نحوه.

ولأبي يعلىٰ من طريق خالد بن عرفطة قال: كنت عند عمر فجاءه رجل فذكره، وفيه قوله ﷺ: «**يا أيها الناس: إني قد أوتيت جوامع الكلم وخواتمه، واختصر لي اختصارًا**».

وأصل الحديث من طريق ابن سيرين عن أبي هريرة بلفظ: «**أعطيت فواتح الكلم**» وفي لفظ: «**مفاتيح الكلم**»، وفي أخرىٰ: «**جوامع الكلم، ونصرت بالرعب**»[2].

ومن حديث سعيد بن المسيب، وأبي سلمة بن عبد الرحمن كلاهما عن أبي هريرة بلفظ: «**أعطيت جوامع الكلم**». وفي لفظ: «**بعثت بجوامع الكلم**».

ومن طريق أبي يونس مولىٰ أبي هريرة عن أبي هريرة: «**أوتيت جوامع الكلم**»[3].

---

(١) أخرجه: البيهقي في «الشعب» (٥٢٠٢)، وهو عند عبد الرزاق في «مصنفه» (٢٠٠٦٢).

(٢) أخرجه: البخاري (٩/ ٤٣).

(٣) أخرجه: مسلم (٢/ ٦٤).

ومن طريق العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة: «**أعطيت جوامع الكلمة الكلم**»[١].

ومن حديث عطاء بن السائب، عن أبي جعفر، عن أبيه، عن علي بن أبي طالب في حديث: «**أعطيت خمسًا**»، وفيه: «**وأعطيت جوامع الكلم**»[٢].

وفي حديث أبي موسىٰ الأشعري: «**أعطيت فواتح الكلم وخواتمه**»، قلنا: يا رسول اللَّه! علمنا مما علمك اللَّه، فعلمنا التشهد[٣].

وفي حديث هند بن أبي هالة الطويل: كان ﷺ يتكلم بجوامع الكلم، قال ابن شهاب، فيما نقله البخاري في «الصحيح»[٤]: بلغني في جوامع الكلم: أن اللَّه يجمع له الأمور الكثيرة التي كانت تكتب في الكتب قبله في الأمر الواحد والأمرين ونحو ذلك. انتهىٰ.

وحاصله: أنه ﷺ كان يتكلم بالقول الموجز، القليل اللفظ الكثير المعاني.

وقال سليمان بن عبد اللَّه النوفلي: كان ﷺ يتكلم بالكلام القليل يجمع به المعاني الكثيرة.

وقال غيره: يعني القرآن بقرينة قوله: «**بعثت**»، والقرآن هو الغاية في إيجاز اللفظ، واتساع المعاني.

---

(١) أخرجه: اللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (١٤٤٨).
(٢) أخرجه: أبو يعلىٰ (٧٢٣٨)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٤٣٨).
(٣) «صحيح البخاري» (٩/ ٤٧). (٤) «فتح الباري» (١/ ٤٣٩).

وقال آخر: القرآن وغيره مما أوتيه في منطقه، فبان به من غيره بالإيجاز والإبلاغ والسداد، ودليل هذا: «كان يعلمنا جوامع الكلم وفواتحه».

والحديث في «البخاري» في أوائل «الاعتصام»، وقبل ذلك في موضعين من «التعبير».

وقد راجعت ذلك من «فتح الباري»، ولم أره تعرض للحديث الأول.

وهذه جملة الخصال التي وقف عليها شيخنا.

نصره بالرعب مسيرة شهر، جعل الأرض له مسجدًا وطهورًا، حل الغنائم له، الشفاعة، عموم البعثة، جوامع الكلم، كونه خاتم النبيين، جعل صفوف أمته كصفوف الملائكة، إعطاؤه خواتم البقرة من كنز تحت العرش، يشير إلى ما حطه اللَّه تعالى عن أمته من الإصر، وتحميل ما لا طاقة لهم به، ورفع الخطأ والنسيان، وإعطاؤه مفاتيح الأرض، تسميته أحمد، جعل أمته خير الأمم، غفران ما تقدم من ذنبه وما تأخر، إعطاؤه الكوثر، كونه صاحب لواء الحمد يوم القيامة تحته آدم فمن دونه، كون شيطانه كان كافرًا فأعانه اللَّه عليه فأسلم.

الحمد للَّه، وما توفيقي إلا باللَّه، عليه توكلت.

* * *

- **ومن «الفتاوى الفقهية» للهيتمي[1]:**

وسئل رضي الله عنه: هل تحريم الشعر خاص بنبينا ﷺ؟

(١) فتاوى الهيتمي (٤/ ٨١).

فأجاب بقوله :

زعم بعضهم عدم الخصوصية، وظاهر كلامه أنه قال ذلك بحثًا ، بدليل تعليله لما قاله بقوله : إذ المعنىٰ الذي حرم لأجله الشعر عليه ﷺ موجود في بقية الأنبياء فلا فارق بينه وبينهم في ذلك اهـ.

وما ادعاه ممنوع؛ بل ادعاؤه لذلك عجيب، فإن المعنىٰ الذي حرم علىٰ نبينا ﷺ لأجله التوصل إلىٰ تعلم الشعر، وروايته، هو أن أهل زمن بعثته كانوا فصحاء العرب، وفرسان ميادين بلاغتها، وكان الشعر من أعلىٰ فخرهم؛ إذ يتوصل به صاحبه إلىٰ كل كمال عندهم، وكانوا لا يعدون فصيحًا وبليغًا غير مجيده ، فاقتضت الحكمة الإلهية تحريم هذا عليه ﷺ ، وأن يكون أميًا محضًا ، لا يقرأ ولا يكتب حتىٰ تنقطع قالة الناس أي: العقلاء الذين لم يسبلوا مشاعر الهداية فيه، وفيما أتىٰ به من القرآن، وتتمحض معجزته وفصاحته التي قهرت سائر الفصحاء، وجميع البلغاء والشعراء، ولو جاز له ﷺ الشعر ما تمت تلك الكلمات الباهرات، وهذا كله لا يوجد في غيره من الأنبياء - صلىٰ اللّٰه عليه وعليهم وسلم - فكيف يلحقون به في ذلك ؛ فتأمله؟

* * *

• **ومن «مجموع الفتاوىٰ» لابن تيمية[1]:**

وقال شيخ الإسلام :

قال ﷺ: «**أعطيت جوامع الكلم**» وروي «**وخواتمه**»، وروي

(١) «فتاوىٰ ابن تيمية» (١٨-٣٠٨-٣٠٩).

«**وفواتحه، وخواتمه**»، وقال في حديث: «**أعطي نبيكم جوامع الكلم وفواتحه وخواتمه**»[(١)].

وهذا حديث شريف جامع، وذلك أن الكلم نوعان: إنشائية فيها الطلب، والإرادة، والعمل. وإخبارية فيها الاعتقاد والعلم، وكل واحد من العلم والإرادة الذي هو الخبر والطلب فيه فروع كثيرة، وله أصول محيطة.

وهي نوعان: كلية جامعة عامة وأولية علية، فالعلوم الكلية والأولية، والإرادات، والتدابير، والأوامر الكلية والأولية هي جماع أمر الوجود كله. والخبر المطلوب كله الحق الموجود، والحق المقصود.

ولهذا كان القياس العقلي والشرعي وغيرهما نوعين: قياس شمول. وقياس تعليل. فإن قياس التمثيل مندرج في أحدهما؛ لأن القدر المشترك بين المثلين إن كان هو محل الحكم فهو قياس شمول، وإن كان مناط الحكم فهو قياس تعليل.

وذلك أن العلوم والإرادات، وما يظهر ذلك من الكلمة الخبرية والطلبية إذا كانت عامة جامعة كلية فقد دخل فيها كل مطلوب، فلم يبق مما يطلب علمه شيء، وكل مقصود من الخبر، فلم يبق فيها مما يطلب قصده شيء، ثم ذلك علم وإرادة لنفسها وذاتها، سواء كانت مفردة أو مركبة.

---

(١) أخرجه: البخاري (٩/ ٤٣)، ومسلم (٢/ ٦٤)، وأحمد (٢/ ٣٩٥) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ثم لا بد أن يتعلق بها علتان: إحداهما: السبب، وهي العلة الفاعلة، والثاني: الحكمة: وهي العلة الغائية. فذلك هو العلم والإرادة للأمور الأولية. فإن السبب والفاعل أدل في الوجود العيني. والحكمة والغاية أدل في الوجود العلمي الإرادي، ولهذا كانت العلة الغائية علة فاعلية للعلة الفاعلية، وكانت هي في الحقيقة علة العلل لتقدمها علمًا وقصدًا، وأنها قد تستغني عن المعلول، والمعلول لا يستغني عنها، وأن الفاعل لا يكون فاعلًا إلا بها، وأنها هي كمال الوجود وتمامه؛ ولهذا قدمت في قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفَاتِحَة: ٥]، فإذا كانت الحكم المظهرة للعلم، والطلب فيها الفواتح، وفيها الخواتم، جمعت نوعي العلتين الأوليين، وإذا كانت جامعة كانت علة عامة.

* * *

• ومن «الفتاوىٰ الحديثية» للهيتمي[(١)]:

وسئل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عما صورته: ذكر الدميري في «شرح المنهاج» في الكلام علىٰ قوله «ويرسل المسبحة» أن سبابته ﷺ أطول من الوسطىٰ، والوسطىٰ أطول من البنصر، والبنصر أطول من الخنصر، وأورد فيه حديثًا، هل ذكره غيره؟

فأجاب بقوله:

ذكره شيخ الإسلام ابن حجر في «أسد الغابة»، والقرطبي في تفسير سورة البقرة.

* * *

(١) الفتاوىٰ الحديثية للهيتمي (ص٢٧٩).

• ومن «الفتاوىٰ الفقهية» للهيتمي[(١)]:

وسئل - نفع اللَّه به - عن أول ما نطق به النبي ﷺ، وآخر ما نطق به.

فأجاب بقوله:

أول ما نطق به ﷺ: «**اللَّه أكبر**» كما قال شيخ الإسلام الحافظ الشهاب ابن حجر العسقلاني، وأما آخر ما نطق به فهو «**اللَّهم الرفيق الأعلىٰ**»[(٢)] كما في «الصحيح» قيل: وهو أعلىٰ المنازل كالوسيلة التي هي أعلىٰ الجنة فمعناه أسألك يا اللَّه أن تنيلني أعلىٰ مراتب الجنة، وقيل معناه: أريد ألقاك يا رفيق يا أعلىٰ، والرفيق من أسمائه تعالىٰ للحديث الصحيح «**إن اللَّه رفيق**»[(٣)] فكأنه طلب لقاء اللَّه تعالىٰ علىٰ أعلىٰ صفات الرفق واللطف به، وقد حقق اللَّه له ذلك، جعلنا اللَّه من وارثيه، وحشرنا معه بمنه وكرمه آمين.

* * *

• ومن «الفتاوىٰ الحديثية» للهيتمي[(٤)]:

وسئل - نفع اللَّه به -: أخذ ابن حبان من حديث: «إني أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني»[(٥)] بطلان حديث أنه ﷺ كان يضع

---

(١) فتاوىٰ الهيتمي (١/ ١٤٨).

(٢) أخرجه: البخاري (٤/ ٩٩) (٦/ ١٢، ١٥، ١٦) (٨/ ١٣٣)، ومسلم (٧/ ١٣٧) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) أخرجه: أحمد (٤/ ٨٧)، وأبو داود (٤٨٠٧)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٤٧٢) من حديث عبد اللَّه بن مغفل رضي الله عنه.

(٤) الفتاوىٰ الحديثية للهيتمي (ص١٦٠).

(٥) أخرجه: البخاري (٣/ ٤٨)، ومسلم (٣/ ١٣٤) من حديث عائشة رضي الله عنها.

الحجر علىٰ بطنه من الجوع[(١)]؛ لأنه إذا أطعم وسقي مع المواصلة فكيف يترك جائعًا مع عدمها؟ قال: والصواب أنه الحجز بالزاي، وهو طرف الإزار فتصحف بالراء، صحيح أم لا؟

فأجاب بقوله:

ليس ماقاله بصحيح؛ إذ لا منافاة بين الحديثين، وأي جامع بين حالة الوصال وحالة غيرها حتىٰ يستدل بتلك علىٰ هذه؛ إذ للصائم تكرمات علىٰ غيره، ولا مانع من حصول الجوع له في بعض الأحيان علىٰ قضية الابتلاء الذي يحصل للأنبياء تعظيمًا لهم كما قال في الحديث الآخر: «**أجوع يومًا وأشبع يومًا**»[(٢)]، وكما قال جابر في حديثه لامرأته: سمعت صوت رسول اللَّه ﷺ ضعيفًا أعرف فيه الجوع[(٣)].

* * *

خاتم النبوة

● ومن «فتاوىٰ اللجنة الدائمة»[(٤)]:

سؤال: لي أخ يعمل بهذا الرسم الموضح أعلاه بالكتابة التالية: قال المؤلف: هذا مثال خاتم النبوة - يعني: الرسم

---

(١) أخرجه: البخاري (٥/ ١٣٨)، وأحمد (٣/ ٣٠٠، ٣٠١).

(٢) أخرجه: الترمذي (٢٣٤٧)، وأحمد (٥/ ٢٥٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه: البخاري (١/ ١١٥) (٤/ ٢٣٤) (٧/ ٨٩) (٨/ ١٧٤)، ومسلم (٦/ ١١٨) من حديث أنس رضي الله عنه قال: قال أبو طلحة لأم سليم: قد سمعت صوت رسول اللَّه ﷺ ضعيفًا أعرف فيه الجوع . . .

(٤) فتاوىٰ اللجنة (٤/ ٣٨٤-٣٨٥).

أعلاه - الذي كان بين كتفي النبي ﷺ، قال: ومن خواصه فيما نقله الترمذي: أن من توضأ ونظر إليه. وقت الصبح حفظه اللّٰه تعالىٰ إلىٰ وقت المغرب، ومن نظر إليه وقت المغرب حفظه اللّٰه تعالىٰ إلىٰ وقت الصبح، ومن نظر إليه في أول الشهر يحفظه إلىٰ آخره، ومن نظر إليه أول السنة يحفظه اللّٰه إلىٰ آخرها من البلاء والآفات، ومن نظر إليه أول السفر يصير مباركًا عليه، وإن مات في تلك السنة يختم له بالإيمان، وقال: أرقم هذا وأرجو اللّٰه تعالىٰ أن من نظر إليه يصدق المحبة والإيمان فمره مرة واحدة يحفظه اللّٰه تعالىٰ من جميع ما يكره إلىٰ أن يلقىٰ اللّٰه تعالىٰ، هل هذا صحيح يستحب أن يعمل به المسلمون؟ أم هو باطل وبدعة يجب علىٰ أخي ترك العمل به؟

الجواب:

عمل الرسم المذكور في الاستفتاء والكتابة عليه غير صحيح، فقد نقل الزرقاني في «شرح المواهب اللدنية» عن الحكيم الترمذي عند ذكر خاتم النبوة أنه (كبيضة حمامة مكتوب في باطنها اللّٰه وحده لا شريك له، وفي ظاهرها توجه حيث كنت فإنك منصور)، ورواه أبو نعيم وقال: إنه غير ثابت، وقال في «المورد»: إنه حديث باطل.

وبذلك نعرف أن العمل بالرسم المذكور لا يجوز، ويجب علىٰ من يفعل ذلك أن يتركه ويتوب إلىٰ اللّٰه مما وقع منه، وثبت في «صحيح مسلم» صفة خاتمة ﷺ، حيث روي عن جابر بن سمرة في باب خاتم النبوة أنه قال: (رأيت خاتمًا في ظهر رسول اللّٰه ﷺ كأنه بيضة حمام)[1].

(١) أخرجه: مسلم (٧/ ٨٦).

وباللَّه التوفيق. وصلىٰ اللَّه علىٰ نبينا محمد، وآله وصحبه وسلم.

* * *

دعاء النبي ﷺ

• ومن «الحاوي للفتاوي» للسيوطي[(١)]:

مسألة: هل ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «اللَّهم من دعوت عليه بشيء، أو سببته - أو نحو ذلك - فاجعله رحمة له» وما التوفيق بينه وبين قوله ﷺ: «اللَّهم من ولي من أمر أمتي شيئًا فشق عليهم فاشقق اللهم عليه» فإنه ينحل ويئول إلىٰ الدعاء لهم لا عليهم، وهو لا يدعو لمن يؤذي المسلمين ويشق عليهم؟[(٢)].

الجواب:

الحديث صحيح أخرجه الشيخان بلفظ «**اللَّهم إني أتخذ عندك عهدًا أن لا تخلفنيه؛ فإنما أنا بشر، فأي المؤمنين آذيته أو سببته أو لعنته أو جلدته فاجعلها له زكاة وصلاة وقربة تقربه بها إليك يوم القيامة**»[(٣)].

وأخرج أحمد في «مسنده» بسند صحيح عن أنس، أن رسول اللَّه ﷺ دفع إلىٰ حفصة رجلًا وقال: «**احتفظي به**» فغفلت عنه ومضىٰ، فقال لها رسول اللَّه ﷺ: «**قطع اللَّه يدك**» ففزعت فقال: «**إني سألت**

---

(١) فتاوىٰ السيوطي (١/ ٣٨٥).

(٢) انظر «سير أعلام النبلاء» (٣/ ١٢٣-١٢٤).

(٣) أخرجه: البخاري (٨/ ٩٦)، ومسلم (٨/ ٢٥، ٢٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ربي تبارك وتعالىٰ أيما إنسان من أمتي دعوت اللَّه عليه أن يجعلها له مغفرة»(١).

قال ابن القاص: من أصحابنا، وتبعه إمام الحرمين: من خصائصه ﷺ أنه يجوز له الدعاء علىٰ من شاء بغير سبب، ويكون فيه من الفوائد ما أشار إليه في الحديث.

وبهذا يعرف أنه لا تنافي بين هذا الحديث، والحديث المذكور في السؤال؛ لأن الدعاء علىٰ الوالي إذا شق ونحوه دعاء بسبب، فلم يدخل في ذلك الحديث. وأيضًا فالمقصود بالأول الدعاء علىٰ معين، وهذا علىٰ مبهم.

* * *

● ومن «الفتاوىٰ الحديثية» للهيتمي(٢):

وسئل - نفع اللَّه بعلومه -: عن الجمع بين قوله ﷺ: «اللَّهم إني أتخذ عندك عهدًا لا تخلفنيه فإنما أنا بشر، فأي المؤننين آذيته، أو سببته، أو لعنته، أو جلدته، فاجعلها له صلاة وزكاة وقربة تقربه بها إليك يوم القيامة» وصح أنه ﷺ دفع إلىٰ حفصة رجلًا وقال: احتفظي به، فغفلت عنه ومضىٰ فقال لها ﷺ: «قطع اللَّه يدك» ففزعت فقال: «إني سألت ربي تبارك وتعالىٰ أيما إنسان من أمتي دعوت اللَّه عليه أن يجعلها له مغفرة، وبين قوله: «اللَّهم من ولي من أمر أمتي شيئًا فشق

(١) أخرجه: أحمد (٣/ ١٤١).
(٢) الفتاوىٰ الحديثية للهيتمي (ص١٦٤).

عليهم فاشقق اللَّهم عليه» فإنه بالنظر للحديثين الأولين دعاء له لا عليه فينا في المراد؟

فأجاب بقوله:

لا منافاة؛ لأن الأولين في الدعاء بغير سبب، والأخير دعاء بسبب. وأيضًا فالأولان في دعاء علىٰ معين والأخير دعاء علىٰ مبهم، وقد صرح ابن القاص، وإمام الحرمين بأن من خصائصه ﷺ أنه يجوز له الدعاء علىٰ من شاء بغير سبب، و يكون فيه من الفوائد ما أشار إليه في الحديثين الأولين.

* * *

هل ورد أنه ﷺ شمتته الملائكة عند ولادته لعطاسه حينئذ؟

● ومن «الفتاوىٰ الحديثية» للهيتمي[1]:

وسئل - نفع اللَّه به -: هل ورد أنه ﷺ شمتته الملائكة عند ولادته لعطاسه حينئذ؟

فأجاب بقوله:

الوارد في ذلك حديث أبي نعيم عن الشفاء أم عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما أنه ﷺ لما ولد وقع علىٰ يدها فاستهل فسمعت قائلًا يقول: «**رحمك اللَّه أو رحمك ربك**» الحديث.

---

(١) الفتاوىٰ الحديثية اللهيتمي (ص١٦١).

والاستهلال صياح المولود أول ما يولد، فإن أريد به هنا العطاس فمحتمل، وحمل القائل المذكور علىٰ الملك ظاهر.

* * *

هل النبي ﷺ حي في قبره؟

● ومن «الدرر السنية»(١):

وسئل الشيخ عبد الله أبا بطين: هل النبي ﷺ حي في قبره؟

فأجاب:

الله سبحانه وتعالىٰ أخبر بحياة الشهداء، ولا شك أن الأنبياء أعلىٰ رتبة من الشهداء، وأحق بهذا؛ وأنهم أحياء في قبورهم؛ ونحن: نرىٰ الشهداء رميمًا، وربما أكلتهم السباع؛ ومع ذلك هم: ﴿أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٩-١٧٠]، فحياتهم حياة برزخية، الله أعلم بحقيقتها.

والنبي ﷺ قد مات بنص القرآن والسنة، ومن شك في موته فهو كافر، وكثير من الناس خصوصًا في هذه الأزمنة يدعون أنه ﷺ حي كحياته لما كان علىٰ وجه الأرض بين أصحابه وهذا غلط عظيم، فإن الله سبحانه أخبر بأنه ميت. وهل جاء أثر صحيح: أنه باعثه لنا في قبره؟ كما كان قبل موته؟

---

(١) الدرر السنية (١/ ٣٦٥-٣٦٧).

وقد قام البرهان القاطع: أنه لا يبقىٰ أحد حي، حين يقول اللَّه سبحانه وتعالىٰ: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ [غافر: ١٦] فيكون ﷺ قد مات، ثم بعثه في قبره، ثم مات، فيكون له ثلاث موتات! ولغيره موتتان؛ وقد قال أبو بكر رضي الله عنه: لما جاءه بعد موته، أما الموتة التي كتبت عليك فقد متها، ولن يجمع اللَّه عليك موتتين(١)؛ وقال سبحانه عن أهل الجنة: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الدخان: ٥٦] يعني: التي كانت في الدنيا، أفيكون الرسول ﷺ قد مات موتة ثانية، بعد الموتة الأولىٰ؟

وأيضًا: لو كان في قبره حيًّا، مثل حياته علىٰ ظهر الأرض، لسأله أصحابه عما أُشكل عليهم؛ قال عمر رضي الله عنه: ثلاث وددت أني سألت رسول اللَّه ﷺ عنهن: الجد، والكلالة، وأبواب من الربا؛ فهلا جاء إلىٰ قبره؟ واستسقىٰ بالعباس، ولم يجئ إلىٰ قبره يستسقي به.

ومعلوم: ما صار بعده ﷺ من الاختلاف العظيم، ولم يجئ أحد إلىٰ قبره ﷺ يسأله عما اختلفوا فيه؛ وفي الحديث المشهور: «**ما من مسلم يسلم علي إلا رد اللَّه علي روحي حتىٰ أرد عليه السلام**»(٢). فهذا: يدل علىٰ أن روحه ﷺ ليست دائمة في قبره؛ ومعرفة الميت زائره، ليست مختصًا به ﷺ.

والذين يظنون: أن حياته في قبره، كحياته قبل موته، يقرءون في: كتاب «الشفاء»، وغيره، الحكاية المشهورة عندهم: أن الإمام مالكًا،

(١) أخرجه: البخاري (٥/٧) من حديث عائشة رضي الله عنها.
(٢) أخرجه: أحمد (٢/٥٢٧)، وأبو داود (٢٠٤١).

قال للمنصور، لما رفع صوته في مسجد النبي ﷺ: لا ترفع صوتك في مسجد رسول اللَّه ﷺ، فإن حرمته ميتًا، كحرمته حيًّا؛ وقد عقد ابن القيم رحمه الله في «النونية»، فصلًا علىٰ من ادعىٰ هذه الدعوىٰ، وأجاد رحمه الله.

والحديث الذي: «**أنا مدينة العلم وعلي بابها**»(١) ليس أصل.

وأما قوله لعلي رضي الله عنه: «**أنت مني بمنزلة هارون من موسىٰ**» فهو: حديث صحيح؛ وسببه: أن النبي ﷺ لما تجهز لغزوة تبوك، لم يأذن لعلي في الغزو، واستخلفه علىٰ أهله، فقال علي: يا رسول اللَّه تخلفني مع النساء، والصبيان؟ فقال ﷺ: «**أما ترضىٰ أن تكون مني بمنزلة هارون من موسىٰ؟**»(٢).

قال العلماء: يشير إلىٰ قوله: ﴿**وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى**﴾ [**الأعراف: ١٤٢**] فالمراد: استخلافه ﷺ عليًّا علىٰ أهله في سفر غزوه.

وأما من قال: إن النبي ﷺ يشفع للمشركين يوم القيامة، فهذا كذب، يرده: قول النبي ﷺ، لما سأله أبو هريرة رضي الله عنه: من أحق الناس بشفاعتك يا رسول اللَّه؟ قال: «**من قال لا إله إلا اللَّه، يبتغي بذلك وجه اللَّه**»(٣) فشفاعته ﷺ لأهل التوحيد، لا للمشركين؛ وقال ﷺ: «**إني اختبأت**

---

(١) راجع لبيان بطلان: «الفوائد المجموعة» (٣٤٨)، و«كشف الخفاء» (١/ ٢٣٤)، و«الضعيفة» (٢٩٥٥).

(٢) أخرجه: مسلم (٧/ ١١٩، ١٢٠)، وأحمد (١/ ١٧٣، ١٧٥، ١٧٧، ١٧٩)، والترمذي (٣٧٣١) من حديث سعد رضي الله عنه.

(٣) أخرجه: البخاري (١/ ٣٥) (٨/ ١٤٦)، وأحمد (٢/ ٣٧٣).

دعوتي شفاعة لأهل الكبائر من أمتي، فهي نائلة إن شاء اللّٰه تعالىٰ، من مات لا يشرك باللّٰه شيئًا»[(١)].

* * *

● ومن «الدرر السنية»[(٢)]:

سئل الشيخ إسحاق بن عبد الرحمن بن حسن: عن كيفية حياة الرسول في قبره؟ وهل هي كحياة الشهداء؟ أم أعلىٰ عند اللّٰه؟

فأجاب:

الجواب، وباللّٰه التوفيق، قال الحافظ الحجة شمس الدين: ابن القيم رحمه اللّٰه تعالىٰ -: لم يرد حديث صحيح أنه ﷺ حي في قبره، لكن نقطع أن الأنبياء، لا سيما خاتمهم، وأفضلهم محمد ﷺ أعلىٰ مرتبة من الشهداء.

وقد قال سبحانه وبحمده عن الشهداء، إنهم: ﴿أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عِمرَان: ١٦٩] فالأنبياء أولىٰ بذلك، قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عِمرَان: ١٦٩].

ومع ذلك، فالشهداء داخلون في قوله تعالىٰ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [آل عِمرَان: ١٨٥]، ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزُّمَر: ٣٠].

فأثبت سبحانه للشهداء موتًا، بدخولهم في العموم، كالأنبياء، وهو

---

(١) أخرجه: الترمذي (٣٦٠٢)، وابن ماجه (٤٣٠٧)، وأحمد (٢/ ٤٢٦).
(٢) الدرر السنية (١/ ٥٤٤-٥٤٨).

الموت المشاهد، ونفىٰ عنهم موتًا، فالموت المثبت غير الموت المنفي؛ فالموت المثبت، هو: فراق الروح الجسد، وهو مشاهد محسوس؛ والمنفي: زوال الحياة بالجملة من الروح والبدن.

وقال البيضاوي، علىٰ قوله سبحانه: «بل أحياء» فيه تنبيه علىٰ أن حياتهم ليست بالجسد، ولا بجنس ما يحس به من الحيوانات، وإنما هي أمر لا يدرك بالعقل، بل بالوحي. انتهىٰ.

وقال الشيخ: عبد اللَّه بن عبد الرحمن أبو بطين رَحِمَهُ اللَّهُ في رده علىٰ العراقي:

ويدل علىٰ بطلان دعوىٰ من ادعىٰ: أن اللَّه حي في قبره، كحياته، لما كان علىٰ وجه الأرض، ما رواه أبو داود عنه ﷺ **«ما من مسلم يسلم علي إلا رد اللَّه علي روحي، حتىٰ أرد عليه السلام»**[1].

فهذا يدل علىٰ أن روحه الشريفة ليست في بدنه، وإنما هي في أعلىٰ عليين، ولها اتصال بالجسد، واللَّه أعلم بحقيقته، لا يدركه الحس ولا العقل.

وليس ذلك خاصًا به ﷺ، لحديث تقدم عنه أنه ﷺ قال: **«ما من مسلم يمر بقبر أخيه كان يعرفه في الدنيا، فيسلم عليه إلا رد اللَّه عليه روحه، حتىٰ يرد عليه السلام»**[2].

---

(١) أخرجه: أحمد (٢/ ٥٢٧)، وأبو داود (٢٠٤١) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) راجع «السلسلة الضعيفة» (٤٤٩٣).

وفي «صحيح مسلم» عنه ﷺ: «**إن أرواح الشهداء في حواصل طير خضر، تسرح في رياض الجنة حيث شاءت؛ ثم تأوي إلىٰ قناديل معلقة تحت العرش**» الحديث[١].

وقد أخبر اللَّه سبحانه أنهم في البرزخ: ﴿أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عِمرَان: ١٦٩]، وقال أبو بكر الصديق: أما الموتة التي كتبت عليك، فقدمتها؛ ولن يجمع اللَّه عليك موتتين؛ وقد قام الدليل القاطع: أنه عند النفخة في الصور، لا يبقىٰ أحد حيًّا، فلو كان الأمر كما يزعمون، لكان اللَّه قد يجمع عليه موتتين.

ولما قال ﷺ: «**أكثروا علي من الصلاة يوم الجمعة، فإن صلاتكم معروضة علي**» قالوا: كيف تعرض عليك، وقد أرمت - يعني بليت - قال: «**إن اللَّه حرم علىٰ الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء**»[٢]، ولم يقل لهم: أنا حي في قبري، كحياتي الآن، صلوات اللَّه وسلامه عليه، انتهىٰ كلامه رحمه الله.

* * *

● **ومن «الأجوبة المرضية» للسخاوي[٣]:**

مسألة: ما قولكم في قول صاحب «العلم المنشور في فضل الأيام والشهور»: أولعت فسقة القصاص بأن رسول اللَّه ﷺ

---

(١) أخرجه: مسلم (٦/ ٣٨-٣٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه: أحمد (٤/ ٨)، وأبو داود (١٠٤٧)، والنسائي (٣/ ٩١)، وابن ماجه (١٠٨٥، ١٦٣٦) من حديث أوس رضي الله عنه.

(٣) «الاجوبة المرضية» (٣/ ٩٢٨-٩٣٤).

يسمع من يصلي عليه، ثم أبطل ما احتجوا به، وفي حديث: «ما من أحد يسلم علي...» إلىٰ آخره وهل تعم الصلاة أم لا؟

وهل في الحاضر عند الحجرة الشريفة أو يعم وإن بعدت المسافة أم لا؟

وقول بعض الخطباء في الثانية: فإنه في هذا اليوم يسمع بأذنيه صلاة من يصلي عليه، ومعنىٰ «لتعرض» في حديث أنس «وتبلغني» في غيره، وهل هذا الكتاب مشهور، أو عليه العمل أم لا؟

وفي مسألة في «فتاوىٰ النووي»، وهي: رجل حلف بالطلاق الثلاث، أن رسول اللَّه ﷺ يسمع الصلاة عليه، وفي الجواب لا يحكم بالحنث للشك في ذلك، والورع أن يلتزم الحنث؛ بينوا لنا ذلك مبسوطًا.

الجواب:

نعم، قد جاء أنه ﷺ يسمع الصلاة والسلام ممن يصلي ويسلم عليه عند قبره الشريف خاصة، ومن كان بعيدًا عنه يبلغه، ومما ورد في ذلك ما رواه أبو الشيخ الحافظ في كتاب «الثواب» له بسند جيد كما قال شيخنا رحمه الله عن أبي هريرة قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**من صلىٰ علي عند قبري سمعته، ومن صلىٰ علي من بعيد أعلمته**»(١).

ولا ينافيه ما روي عنه ﷺ بلفظ: «**أكثروا الصلاة علي فإن اللَّه عز وجل**

(١) أخرجه: الخطيب (٣/ ٢٩١-٢٩٢)، وابن الجوزي في «الموضوعات» (٥٦٢)، وانظر: «السلسلة الضعيفة» (٢٠٣).

وكل بي ملكًا عند قبري، فإذا صلىٰ علي رجل من أمتي قال لي ذلك الملك: يا محمد إن فلان بن فلان صلىٰ عليك الساعة»[١]، فإنه علىٰ تقدير مقاومته للأول يحمل علىٰ المصلي عليه من بعد.

ونحوه ما روي عنه أيضًا أنه قال: «**سلموا علي حيث ما كنتم فسيبلغني صلاتكم وسلامكم**»[٢] ثم إنه لا فرق في عدم سماعه لمن يكون بعيدًا عنه بين يوم الجمعة وغيرها، وإن اختصت الجمعة بمزيد فضل في ذلك وغيره.

وقد روينا عن يزيد الرقاشي قال: إن ملكًا موكل يوم الجمعة بمن صلىٰ علىٰ النبي ﷺ يبلغه ذلك فيقول: إن فلانًا من أمتك يصلي عليك.

نعم، يروىٰ عن الزهري مما أرسله مرفوعًا: «**أكثروا علي من الصلاة في الليلة الغراء، واليوم الأزهر فإنهما - أي: اليوم الأزهر الذي هو يوم الجمعة، والليلة الغراء التي هي ليلته - يؤديان عنكم**».

وعلىٰ كل حال، فقول الخطباء أو بعضهم فإنهم في هذا اليوم أي يوم الجمعة يسمع بأذنيه من يصلي عليه لا أعلم له إن حمل علىٰ ظاهره، مستندًا.

ويمكن الاستئناس لهم بظاهر رواية عند الطبراني في «معجمه الكبير» لفظها: «**أكثروا الصلاة علي يوم الجمعة؛ فإنه يوم مشهود تشهده**

---

(١) أخرجه: البزار (٣١٦٢-كشف) الحارث أو ابن أبي أسامة (١٠٦٩-زوائد)، وانظر: «السلسلة الصحيحة» (١٥٣٠).

(٢) أخرجه: الضياء في «المختارة» (٤٢٨).

الملائكة، ليس من عبد يصلي علي إلا بلغني صوته حيث كان». قلنا: وبعد وفاتك؟ قال: «**وبعد وفاتي، إن اللَّه حرم علىٰ الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء**»[(١)].

ولكن المعتمد الأول، وقوله: «**بلغني صوته**» لا تقتضي كونه بلا واسطة إذا كان بعيدًا، ومما قاله بعضهم:

تراني أراني عند قبرك واقفًا ... يناديك عبد ما له غيركم مولىٰ
وتسمع عن قرب صلاتي كمثلما ... تبلغ عن بعد صلاة الذي صلىٰ

وإذا تقرر هذا، فما نقله السائل عن صاحب «العلم المنشور في فضل الأيام والشهور» أنه قال: أولعت فسقه القصاص بأن رسول اللَّه ﷺ يسمع من يصلي عليه، فيشبه أن يكون إنكارًا منه لمن يقول بسماعه له بلا واسطة عن بعد.

وإذا كان كذلك فهو إنكار صحيح، وأما مطلقًا بحيث يتناول القريب فلا، و«العلم المنشور» وإن كان مشهورًا ففي مصنفه وهو الإمام أبو الخطاب بن دحية - مع كونه موصوفًا بالمعرفة، وسعة العلم - مقال وفي تواليفه أشياء تنقم عليه من تصحيح وتضعيف، عفا اللَّه عنَّا وعنه.

وحديث: «**ما من أحد يسلم عليَّ**» خاص بالسلام؛ لأن لفظه: «**ما من أحد يسلم علي إلا رد اللَّه تعالىٰ إليَّ روحي - أي نطقي علىٰ أحد التوجيهات - حتىٰ أرد عليه السلام**»[(٢)].

---

(١) أخرجه: ابن ماجه (١٦٣٧).

(٢) أخرجه: أبو داود (٢٠٤١)، وأحمد (٢/ ٥٢٧).

ومع ذلك فالظاهر حمله علىٰ القريب، بل قد زاد الشيخ موفق الدين ابن قدامة الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الحديث حين إيراده له بعد قوله: «**يسلم علي عند قبري**» غير أني ما وقفت علىٰ هذه الزيادة فيما رأيت من طرق الحديث.

ولكن قد روينا عن أبي عبد الرحمن المقرئ، أن رده ﷺ السلام مختص بمن سلم عليه حال زيارته، وتوقف أبو اليمن ابن عساكر، وقال: إنه إذا جوز رده ﷺ علىٰ من يسلم عليه من الزائرين لقبره جوز رده علىٰ من يسلم عليه من جميع الآفاق، يعني عندما يبلغه كما تبلغ الصلاة.

ويشهد لما قاله أبو اليمن: حديث: «**ما من مسلم يسلم علي في شرق ولا غرب إلا أنا وملائكة ربي نرد عليه السلام**»[1]. لكن قد وهي الحافظ هذا الحديث جدًا.

والفرع المنقول عن «فتاوىٰ النووي» رَحِمَهُ ٱللَّهُ في عدم الحكم بالحنث فيمن حلف بالطلاق الثلاث أنه ﷺ يسمع الصلاة عليه للشك في ذلك صحيح، ولكن الورع كما قال: أن يلتزم الحنث.

وقد صرح النووي في مقدمة «شرح مسلم» بأنه لو حلف في غير أحاديث «الصحيحين» بالطلاق أنها من قول النبي ﷺ أنا لا نحنثه، لكن

---

(١) أخرجه: أبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٣٤٩).
ومذهب المؤلف هنا في التفريق بين الصلاة علىٰ النبي ﷺ من قريب ومن بعيد مذهب باطل، انظر كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في ذلك في «الرد علىٰ الإخنائي» (ص٢١٠-٢١١)، وابن عبد الهادي في «الصارم المنكي» (ص١٦٧-١٨٧)، و«السلسلة الضعيفة» (١/ ٢٤١).

تستحب له الرجعة احتياطًا لاحتمال الحنث، وهو احتمال ظاهر، فهذا يوافق ما في الفتاوىٰ بخلاف ما لو حلف في أحاديث «الصحيحين»؛ لأن احتمال الحنث فيهما هو في غاية من الضعف، ولذلك لا يستحب له المراجعة، لضعف احتمال موجبها، والله الموفق.

* * *

• **ومن «الفتاوىٰ الفقهية» للهيتمي**[١]:

وسئل رضي الله عنه: عن حديث أحمد وأبي داود والبيهقي: «ما من أحد يسلم علي إلا رد الله إلي» - وفي رواية «علي - روحي حتىٰ أرد عليه السلام»[٢] ما الجواب عنه مع الإجماع علىٰ حياة الأنبياء كما تواترت به الأخبار، وهل علىٰ تفسير الروح بالنطق الذي قيل فيه: إنه أحسن الأجوبة اعتراض.

فأجاب بقوله:

الجواب عن ذلك مع بيان ما فيه، ذكرته في كتابي «الجوهر المنظم في زيادة القبر المكرم» وكتابي «الدر المنضود في الصلاة والسلام علىٰ صاحب المقام المحمود» وحاصل الأجوبة عن ذلك أن قوله: «**رد الله عليَّ**» جملة حالية، فيقدر فيها «قد» علىٰ القاعدة في وقوع الماضي حالًا، فيكون الرد سابقًا علىٰ السلام الواقع من كل أحد، و«حتىٰ» ليست تعليلية بل عاطفة والتقدير ما من أحد يسلم علي إلا قد رد الله علي روحي قبل

---

(١) فتاوىٰ الهيتمي (٢/ ١٣٥-١٣٦).

(٢) أخرجه: أحمد (٢/ ٥٢٧)، وأبو داود (٢٠٤١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ذلك وأرد عليه، وقد صرح بـ« قد» في رواية البيهقي، فمراد الحديث الإخبار بأن اللَّه تعالىٰ يرد إليه روحه بعد الموت فيصير حيًّا علىٰ الدوام، حتىٰ لو سلم عليه أحد رد عليه لوجود الحياة فيه دائمًا.

وإنما جاء الإشكال من ظن أن «حتىٰ» تعليلية، وجملة «رد» بمعنىٰ الحال أو الاستقبال الذي يلزم عليه تكرر الرد عند تكرر السلام عليه، ويلزم من تكرار الرد تكرار المفارقة الموجب لنوع ألم، والمخالف للفظ القرآن أنه ليس إلا موتتان، أو لفظ الرد ليس للمفارقة، بل كناية عن مطلق الصيرورة كما في ﴿إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم﴾ [الأعراف: ٨٩] أي: صرنا، لاستحالة الكفر علىٰ الأنبياء.

أو ليس المراد برد الروح عودها بعد مفارقة البدن، وإنما هو ﷺ مشغول في البرزخ بأحوال الملكوت، مستغرق في شهود ربه، فعبر عن إفاقته من ذلك بالرد ونظيره جوابهم عما وقع في بعض أحاديث الإسراء: «**فاستيقظت وأنا بالمسجد الحرام**»، فإنه ليس المراد الاستيقاظ من نوم، لأن الإسراء لم يكن منامًا بل الإفاقة مما خامره من عجائب الملكوت.

أو الرد يستلزم الاستمرار إذ لا يخلو من مسلم عليه في أقطار الأرض، أو المراد بالروح هنا: النطق مجازًا، ولا يلزم من حياته علىٰ الدوام نطقه، وعلاقة المجاز استلزام النطق للروح وعكسه بالفعل، أو القوة، فعبر بأحد المتلازمين عن الآخر، واعترض بأن ظاهره أنه ﷺ مع كونه حيًّا يمنع عنه النطق في بعض الأوقات، ويرد عليه عند سلام المسلم، وهو مخالف للنقل، لما في الأخبار أن كل مؤمن في قبره ينطق بما

شاء ،لما ورد أنه لا يمنع النطق في قبره إلا من مات عن غير وصية ، وللعقل ؛ لأن الحصر عن النطق ، وإن قل زمنه نوع حصر وهو ﷺ مبرأ عن ذلك ، وأجيب بأن المراد بالرد الاستمرار من غير مفارقة فالمجاز في لفظ الرد والروح . فالأول : استعارة تبعية، والثاني : مجاز مرسل .

أو المراد بالروح السمع الخارق للعادة بحيث يسمع المسلم عليه من غير واسطة وإن بعد أو الموافق للعادة ، ويكون المراد برده إفاقته من الاستغراق الملكوتي أو المراد بالروح الفراغ من الشغل مما هو بصدده في البرزخ من النظر في أعمال أمته ، والاستغفار لمسيئهم ، والدعاء بكشف البلاء عنهم ، والتردد في أقطار الأرض بحلول البركة فيها أو حضور جنازة صالحي أمته ، كما وردت بذلك الأحاديث والأخبار ، فلما كان السلام عليه من أجل الأعمال خص المسلم عليه بأن يفرغ له من أشغاله المهمة لحظة يرد عليه فيها تشريفًا له ومجازاة .

أو المراد بالروح : الارتياح أو الرحمة علىٰ حد قراءة « فرُوح وريحان » بضم الراء أي يحصل له بسلام المسلم عليه ارتياح وفرحة لحبه لذلك من أمته أو منه رحمة له ، فيحمله ذلك علىٰ أن يرد عليه ردًا مخصوصًا .

تنبيه: رواية «علي» بمعنىٰ «إليَّ» ، فإن «رد» يعدَّىٰ بعلىٰ في الإهانة وبإلىٰ في الإكرام كما في «الصحاح» و«النهاية» وغيرهما ، واللّه سبحانه وتعالىٰ أعلم بالصواب .

* * *

• **ومن «فتاوىٰ عبد اللَّه الغماري»**[(١)]:

سؤال: ما معنىٰ حديث: «ما من أحد يسلم علي إلا رد اللَّه إلي روحي حتىٰ أرد عليه السلام»[(٢)].

الجواب:

حديث «**ما من أحد يسلم علي**» حديث صحيح صححه جماعة منهم: ابن تيمية في كتابه «اقتضاء الصراط المستقيم». وإن خالف في تصحيحه ابن عبد الهادي المقدسي فلا عبرة بخلافه، لتعنته وتعصبه، فإن سند الحديث علىٰ شرط الصحيح كما قال ابن تيمية، وقد أطال ابن القيم في الرد علىٰ من أعلَّ الحديث، وأتىٰ بوجوه حسنة في بيان اتصال سنده وصحته.

وأما معنىٰ الحديث فقد اختلف العلماء في فهم معنىٰ قوله: «**إلا رد اللَّه إلي روحي**» وأبدوا في شرحه وجوهًا سردها الحافظ السيوطي في كتابه «أنباء الأذكياء بحياة الأنبياء» فبلغت خمسة عشر وجهًا.

منها: أن الروح كناية عن النطق، والمعنىٰ أن اللَّه يرد عليه النطق ليرد السلام؛ لأنه لا داعي لنطقه إلا حين يسلم عليه المسلم.

ومنها: أن رد الروح كناية عن التفات روحه الشريفة من الاستغراق في حضرة الملكوت إلىٰ هذا العالم لرد سلام المسلم.

والأول رأي ابن المنير. والثاني: رأي تقي الدين السبكي.

---

(١) فتاوىٰ الغماري (٢٣-٢٤).

(٢) أخرجه: أحمد (٢/٥٢٧)، وأبو داود (٢٠٤١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ومنها : أن هذا الحديث كناية عن دوام الحياة له ؛ لأن الوجود لا يخلو من مسلم يسلم عليه في لحظة من ليل أو نهار.

وهذا الوجه ذكره القسطلاني في «المواهب» وأطال في تقريره.

والمقصود أن حياة النبي ﷺ في قبره هو وسائر الأنبياء ثابتة بالكتاب والسنة المتواترة والإجماع.

أما الكتاب فقد أثبت حياة الشهداء، والأنبياء أفضل من الشهداء بالإجماع، مع أن نبينا ﷺ مات شهيدًا بأكلة خيبر كما في «الصحيح».

وأما السنة فقد تواتر الحديث عن النبي ﷺ بأن «**الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون**» نص علىٰ تواتره غير واحد من الحفاظ آخرهم الحافظ السيوطي.

وأما الإجماع فقال الحافظ السخاوي في «القول البديع» ما نصه: ونحن نؤمن ونصدق بأنه حي يرزق في قبره الشريف، وأن جسده لا تأكله الأرض، والإجماع علىٰ هذا.

وقد سبقه إلىٰ حكاية الإجماع الإمام الحافظ أبو محمد بن حزم الأندلسي في كتابه «المحلىٰ» وكتابه «الفصل». والله أعلم.

* * *

- **ومن «فتاوىٰ اللجنة الدائمة»[١]:**

سؤال: هل يسمع النبي ﷺ كل دعاء ونداء عند قبره

(١) فتاوىٰ اللجنة الدائمة (١/ ٤٧٢-٤٧٣).

الشريف، أو صلوات خاصة حين يصلىٰ عليه، كما في الحديث: «من صلىٰ علي عند قبري سمعته» إلىٰ آخر الحديث. أهذا الحديث صحيح أو ضعيف أو موضوع علىٰ رسول اللّٰه ﷺ.

الجواب:

الأصل: أن الأموات عمومًا لا يسمعون نداء الأحياء من بني آدم، ولا دعاءهم، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ﴾ [فَاطِر: ٢٢].

ولم يثبت في الكتاب ولا في السنة الصحيحة ما يدل علىٰ أن النبي ﷺ يسمع كل دعاء أو نداء من البشر حتىٰ يكون ذلك خصوصية له، وإنما ثبت عنه ﷺ أنه يبلغه صلاة وسلام من يصلي ويسلم عليه فقط، سواء كان من يصلي عليه عند قبره أو بعيدًا عنه كلاهما سواء في ذلك؛ لما ثبت عن علي بن الحسين بن علي رضي الله عنهم: (أنه رأي رجلًا يجيء إلىٰ فرجة كانت عند قبر النبي ﷺ فيدخل فيها فيدعو، فنهاه، وقال: ألا أحدثكم حديثًا سمعته من أبي عن جدي عن رسول اللّٰه ﷺ أنه قال: «**لا تتخذوا قبري عيدًا ولا بيوتكم قبوًا، وصلوا عليَّ فإن تسليمكم يبلغني أين كنتم**»[١].

أما حديث: «**من صلىٰ علي عند قبري سمعته، ومن صلىٰ علي بعيدًا بلغته**»[٢] فهو حديث ضعيف عند أهل العلم.

---

(١) أخرجه: أبو يعلىٰ (٤٦٩)، وابن أبي شيبة (٢/ ١٥٠).
(٢) أخرجه: الخطيب (٣/ ٢٩١-٢٩٢)، وابن الجوزي في «الموضوعات» (٥٦٢).
وانظر: «الصحيحة» (٢٠٣).

وأما ما رواه أبو داود بإسناد حسن عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**ما من أحد يسلم عليَّ إلَّا رد اللَّه علي روحي حتىٰ أرد عليه السلام**»[1] فليس بصريح أنه يسمع سلام المسلم، بل يحتمل أنه يرد عليه إذا بلغته الملائكة ذلك، ولو فرضنا سماعه سلام المسلم لم يلزم منه أن يلحق به غيره من الدعاء والنداء.

* * *

- ومن «فتاوىٰ اللجنة الدائمة»[2]:

سؤال: إن رجلًا يؤمن بضروريات الإيمان يعني: تمام عقيدته مطابق لكتاب اللَّه وسنة نبيه ﷺ ومع هذا فهو يعتقد أن رسول اللَّه ﷺ يسمع صوته بالصلاة والسلام عليه ﷺ حينما يصلي ويسلم عليه عند قبره ﷺ، فهل هو بهذه العقيدة مسلم من أهل السنة والجماعة، أم هو مبتدع من أهل الهوىٰ؟

الجواب:

أولًا: لا يشرع للمسلم كلما دخل المسجد النبوي التردد إلىٰ قبر النبي ﷺ والدعاء عنده، ولا اتخاذه عيدًا يعود إليه المرة بعد المرة؛ لما رواه أبو داود بإسناد حسن رواته ثقات عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**لا تجعلوا بيوتكم قبورًا، ولا تجعلوا قبري عيدًا، وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم**»[3].

---

(١) أخرجه: أحمد (٢/ ٥٢٧)، وأبو داود (٢٠٤١).

(٢) فتاوىٰ اللجنة الدائمة (١/ ٤٧٩-٤٨١).

(٣) أخرجه: أحمد (٢/ ٣٦٧)، وأبو داود (٢٠٤٢).

ولما رواه أبو يعلىٰ والقاضي إسماعيل والحافظ الضياء محمد بن عبد الواحد المقدسي في «المختارة» عن علي بن الحسين أنه رأىٰ رجلًا يجيء إلىٰ فرجة كانت عند قبر النبي ﷺ فيدخل فيها فيدعو فنهاه، وقال: ألا أحدثكم حديثًا سمعته من أبي عن جدي عن رسول اللَّه ﷺ قال: «**لا تتخذوا قبري عيدًا، ولا بيوتكم قبورًا، وصلوا عليَّ فإن تسليمكم يبلغني أين كنتم**»(١) وإسناده جيد.

وكان الصحابة ﷺ أحرص علىٰ الخير منا، وأحب لرسول اللَّه ﷺ وأعرف بحقه علىٰ الأمة وبآداب زيارته منا، ومع ذلك لم ينقل عن أحد منهم أنه كان يتردد علىٰ قبره ﷺ، والدعاء عنده؛ لكن ثبت عن ابن عمر ﷺ أنه كان إذا حضر إلىٰ المدينة من سفر فقط جاء إلىٰ قبر النبي ﷺ فقال: (السلام عليك يا رسول اللَّه، السلام عليك يا أبا بكر، السلام عليك يا أبتاه)، ثم ينصرف.

ولهذا كره مالك بن أنس رحمه الله لأهل المدينة أن يأتي أحدهم إلىٰ قبر النبي ﷺ كلما دخل المسجد، وقال: (لن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها).

ثانيًا: النبي ﷺ حي في قبره الحياة البرزخية التي يتهيأ له معها أن يتنعم بما يفيض اللَّه تعالىٰ عليه من أنواع النعيم والكرامة، وليس حيًّا الحياة التي كانت له في الدنيا؛ لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ [الزمر: ٣٠-٣١].

---

(١) أخرجه: أبو يعلىٰ (٤٦٩)، وابن أبي شيبة (٢/ ١٥٠).

وقد صلىٰ عليه الصحابة ﷺ صلاة الجنازة ووضعوه في لحده - عليه الصلاة والسلام - ، ولا يكون ذلك وهو حي الحياة الدنيوية، وقد نزلت بهم أحداث ومشكلاتهم ولم يستفتوه في أحداثهم ، ولا استشاروه في حل مشكلاتهم وهم في أشد الحاجة إلىٰ ذلك، فدل علىٰ أن أجله قد انتهىٰ، وأن الموت قد نزل به كغيره من البشر.

وقد علم الصحابة ﷺ ذلك، فأقاموا الخلفاء عنه تباعًا واجتهدوا في شئون دينهم ودنياهم علىٰ ضوء كتاب اللَّه، وسنة نبيهم ﷺ دون رجوع إليه واستشارة له وهو في قبره.

والأصل في الأموات أنهم لا يسمعون كلام الناس، لكن روىٰ الإمام أحمد وأبو داود بإسناد حسن عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**ما من أحد يسلم علي إلا رد اللَّه علي روحي حتىٰ أرد عليه السلام**»(١).

وبذلك تعلم أن الرجل الذي سألت عنه لا حرج عليه فيما ذهب إليه؛ عملًا بهذا الحديث الشريف.

وباللَّه التوفيق. وصلىٰ اللَّه علىٰ نبينا محمد، وآله وصحبه وسلم.

* * *

● **ومن «فتاوىٰ اللجنة الدائمة»(٢):**

سؤال: ما حكم من يعتقد حياة الرسول والأولياء

---

(١) أخرجه: أحمد (٢/ ٥٢٧)، وأبو داود (٢٠٤١).

(٢) فتاوىٰ اللجنة الدائمة (١٢٠-١٢٨).

والمشايخ، أو يعتقد أن أرواح المشايخ حاضرة تعلم، وكذلك ما حكم من يعتقد أن الرسول نور وينفي عنه البشرية؟

الجواب:

أولًا: الدعاء عبادة من العبادات، والعبادات من حقوق اللّٰه جل وعلا المختصة به، وصرفها إلىٰ غيره شرك به، وقد دل الكتاب والسنة والإجماع علىٰ تحريم دعاء غير اللّٰه.

فأما الأدلة من القرآن: فمنها قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [يونس: ١٠٦] ففي هذه الآية وأمثالها بيان أن دعوة غير اللّٰه كفر وشرك وضلال.

وأما الأدلة من السنة: فمنها ما ثبت في السنن، عن النعمان بن بشير أن النبي ﷺ قال: «**الدعاء هو العبادة**»(١)، وقرأ قوله سبحانه: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠].

وما رواه الطبراني بإسناده أنه كان في زمن النبي ﷺ منافق يؤذي المؤمنين، فقال بعضهم: قوموا بنا نستغيث برسول اللّٰه ﷺ من هذا المنافق، فقال النبي ﷺ: «**إنه لا يستغاث بي، وإنما يستغاث باللّٰه**»(٢).

ففي هذا الحديث النص علىٰ أنه لا يستغاث بالنبي ﷺ ولا بمن دونه، كره ﷺ أن يستعمل هذا اللفظ في حقه، وإن كان مما يقدر عليه في

---

(١) أخرجه: أحمد (٤/٢٦٧، ٢٧١، ٢٧٦، ٢٧٧)، وأبو داود (١٤٧٩)، والترمذي (٢٩٦٩)، وابن ماجه (٣٨٢٨).

(٢) أخرجه: الطبراني في «المجمع» (١٠/٢٤٦).

حياته؛ حماية لجناب التوحيد، وسدًّا لذرائع الشرك، وأدبًا وتواضعًا لربه، وتحذيرًا للأمة من وسائل الشرك في الأقوال والأفعال.

فإذا كان هذا فيما يقدر عليه ﷺ في حياته فكيف يجوز أن يستغاث به بعد وفاته ويطلب منه أمور لا يقدر عليها إلا اللَّه عز وجل.

وإذا كان هذا في الرسول ﷺ فكيف بمن دونه؟! وأما الإجماع فالأمة مجمعة علىٰ أن الدعاء من خصائص اللَّه جل وعلا، وصرفه لغيره شرك.

ثانيًا: سماع الأصوات من خواص الأحياء، فإذا مات الإنسان ذهب سمعه فلا يدرك أصوات أهل الدنيا، ولا يسمع حديثهم، قال اللَّه تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ﴾ [فَاطِر: ٢٢].

فأكد تعالىٰ لرسوله ﷺ عدم سماع من يدعوهم إلىٰ الإسلام بتشبيههم بالموتىٰ، والأصل في المشبه به أنه أقوىٰ من المشبه في الاتصاف بوجه الشبه.

وإذًا فالموتىٰ أدخل في عدم السماع، وأولىٰ بعدم الاستجابة من المعاندين الذين صموا آذانهم عن دعوة الرسول - عليه الصلاة والسلام - وعموا عنها، وقالوا: قلوبنا غلف، وفي هذا يقول تعالىٰ: ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فَاطِر: ١٤].

وأما سماع قتلىٰ الكفار - الذين ألقوا في القليب يوم بدر - نداء رسول اللَّه ﷺ إياهم وقوله لهم: «**هل وجدتم ما موعد ربكم حقًّا، فإنا وجدنا ما وعدنا ربنا حقًّا**» وقوله لأصحابه: «**ما أنتم بأسمع لما أقول**

منهم»[(١)]، حينما استنكروا نداءه أهل القليب؛ فلذلك من خصوصياته التي خصه اللَّه بها، فاستثنيت من الأصل العام بالدليل.

ثالثًا: دل القرآن على أن الرسول ﷺ ميت، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزُّمَر: ٣٠]، وقوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [آل عِمرَان: ١٨٥]، وهو ﷺ داخل في هذا العموم.

وقد أجمع الصحابة ﷺ وأهل العلم بعدهم على موته، وأجمعت عليه الأمة، وإذا انتفى ذلك عنه ﷺ فانتفاؤه عن غيره من الأولياء والمشايخ أولى.

والأصل في الأمور الغيبية: اختصاص اللَّه بعلمها، قال اللَّه تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩].

وقال تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النمل: ٦٥]، لكن اللَّه تعالى يطلع من ارتضى من رسله على شيء من الغيب، قال اللَّه تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾ [الجن: ٢٦-٢٧].

وقال تعالى: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الأحقاف: ٩].

---

(١) أخرجه: مسلم (٥/ ١٧٠) (٨/ ١٦٣) من حديث أنس ﷺ.

وثبت في حديث طويل من طريق أم العلاء أنها قالت: (لما توفي عثمان ابن مظعون أدرجناه في أثوابه، فدخل علينا رسول اللَّه ﷺ، فقلت: رحمة اللَّه عليك أبا السائب، شهادتي عليك فقد أكرمك اللَّه عز وجل، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**وما يدريك أن اللَّه أكرمه؟**» فقلت: لا أدري بأبي أنت وأمي، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**أما هو فقد جاءه اليقين من ربه، وإني لأرجو له الخير، واللَّه ما أدري وأنا رسول اللَّه ما يفعل بي**» فقلت: واللَّه لا أزكي بعده أحدًا أبدًا)(١) رواه أحمد، وأورده البخاري في كتاب «الجنائز» من «صحيحه»، وفي رواية له: «**ما أدري وأنا رسول اللَّه ما يفعل به**».

وقد ثبت في أحاديث كثيرة أن النبي ﷺ قد أعلمه اللَّه بعواقب بعض أصحابه فبشرهم بالجنة.

وفي حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ المخرج في «صحيح مسلم» أن جبريل سأل النبي ﷺ عن الساعة، فقال: «**ما المسئول عنها بأعلم من السائل**»(٢)، ثم لم يزد علىٰ أن أخبره بأماراتها، فدل علىٰ أنه علم من الغيب ما أعلمه اللَّه به دونما سواه من المغيبات، وأخبره به عند الحاجة. كما أن اللَّه سبحانه أخبر نبيه ﷺ أنه مغفور له في سورة الفتح.

وصح عنه ﷺ أنه قال: «**النبي في الجنة، وأبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في**

(١) أخرجه: البخاري (٢/ ٩١) (٣/ ٢٣٨) (٥/ ٨٥) (٩/ ٤٤)، وأحمد (٦/ ٤٣٦).
(٢) أخرجه: مسلم (١/ ٢٨، ٢٩، ٣٠).

الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وسعد بن مالك في الجنة - وهو ابن أبي وقاص - وسعيد بن زيد في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة»(١) رضي اللَّه عنهم جميعًا وهذا كله من علم الغيب الذي أطلع اللَّه نبيه عليه.

رابعًا: وصف الرسول ﷺ بأنه نور من نور اللَّه، إن أريد به أنه نور ذاتي من نور اللَّه فهو مخالف للقرآن الدال علىٰ بشريته، وإن أريد بأنه نور باعتبار ما جاء به من الوحي الذي صار سببًا لهداية من شاء من الخلق فهذا صحيح.

وقد صدر منا فتوىٰ في ذلك هذا نصها:

للنبي ﷺ نور هو نور الرسالة، والهداية التي هدىٰ اللَّه بها بصائر من شاء من عباده، ولا شك أن نور الرسالة والهداية من اللَّه، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾ [الشورى: ٥١-٥٣].

وليس هذا النور مكتسبًا من خاتم الأولياء كما يزعمه بعض الملاحدة، أما جسمه ﷺ فهو دم ولحم وعظم... إلخ، خلق من أب وأم ولم يسبق له خلق قبل ولادته.

---

(١) أخرجه: أبو داود (٤٦٤٩)، وأحمد (١/ ١٨٨) من حديث سعيد بن زيد رضي الله عنه.

وما يُروىٰ أن أول ما خلق اللَّه نور النبي محمد ﷺ، أو أن اللَّه قبض قبضة من نور وجهه، وأن هذه القبضة هي محمد ﷺ، ونظر إليها فتقاطرت فيها قطرات، فخلق من كل قطرة نبيًا، أو خلق الخلق كلهم من نوره ﷺ، فهذا وأمثاله لم يصح منه شيء عن النبي ﷺ. (ص٣٦٦ وما بعدها من [مجموع الفتاوىٰ] لابن تيمية، الجزء الثامن عشر).

خامسًا: القول بأن الرسول ﷺ ليس بشرًا مثلنا يحتمل حقًّا وباطلًا، وقد صدر منا فتوىٰ في ذلك هذا نصها:

هذه الكلمة مجملة تحتمل حقًّا وباطلًا فإن أريد بها إثبات البشرية للنبي ﷺ وأنه ليس مماثلًا للبشر من كل وجه، بل يشاركهم في جنس صفاتهم فيأكل و يشرب، ويصح ويمرض، ويذكر وينسىٰ، ويحيا ويموت، ويتزوج النساء ونحو ذلك.

ويختص بما حباه اللَّه به من الإيحاء إليه وإرساله إلىٰ الناس بشيرًا ونذيرًا وداعيًا إلىٰ اللَّه بإذنه وسراجًا منيرًا؛ فهذا حق، وهو الذي شهد به الواقع وأخبر به القرآن، قال اللَّه تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠]، فأمره أن يخبر أمته بأنه بشر مثلهم إلا أن اللَّه اصطفاه لتحمل أعباء الرسالة، وأوحىٰ إليه بشريعة التوحيد والهداية... إلخ.

وقال تعالىٰ في بيان ما جرىٰ من تحاور بين الرسل وأممهم: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن

ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ قَالُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [إبراهيم: ١٠-١١].

فأقر الرسل بأنهم بشر مثلنا، ولكن اللَّه من عليهم بالرسالة، فإن اللَّه سبحانه يمن علىٰ من يشاء من عباده بما شاء، ويصطفي منهم من أراد؛ ليخرج به الناس من الظلمات إلىٰ النور ومثل هذا في القرآن كثير.

وإن أريد به أن الرسول ليس بشرًا أصلًا، أو أنه بشر لكنه لا يماثل البشر في جنس صفاتهم، فهذا باطل يكذبه الواقع، وكفر صريح؛ لمناقضته لما صرح به القرآن من إثبات بشريتهم، ومماثلتهم للبشر فيما عدا ما اختصهم اللَّه به من الوحي والنبوة والرسالة والمعجزات.

وعلىٰ كل حال لا يصح إطلاق هذه الكلمة نفيًا ولا إثباتًا إلا مع التفصيل والبيان لما فيها من اللبس والإجمال؛ ولذا لم يطلقها القرآن إثباتًا إلا مع بيان ما خص به رسله كما في الآيات المتقدمة، كما في قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾ [فصلت: ٦-٧].

وكما يخشىٰ من التعبير بمماثلتهم للبشر بإطلاق انتقاص الرسل والتذرع إلىٰ إنكار رسالتهم يخشىٰ من النفي للمماثلة بإطلاق الغلو في الرسل، وتجاوز

الحد بهم إلىٰ ما ليس من شأنهم، بل من شئون اللَّه سبحانه، فالذي ينبغي للمسلم التفصيل والبيان لتمييز الحق من الباطل والهدىٰ من الضلال.

وباللَّه التوفيق. وصلىٰ اللَّه علىٰ نبينا محمد، وآله وصحبه وسلم.

* * *

● ومن «الحاوي للفتاوي» للسيوطي[١]:

مسألة: في قوله ﷺ، وشرف وكرم: «حياتي خير لكم وموتي خير لكم»[٢] فقد أشكل من جهة تنزيل المقصود منه علىٰ القواعد النحوية بناء علىٰ أن أفعل التفضيل يوصل بمن عند تجرده ووصله بها غير متأت بحسب الظاهر؛ إذ يصير الكلام حياتي خير لكم من مماتي، ومماتي خير لكم من حياتي، وهو مشكل؟

الجواب:

إنما حصل الإشكال من ظن أن خيرًا هنا أفعل تفضيل وليس كذلك؛ فإن لفظة «خير» لها استعمالان:

أحدهما: أن يراد بها معنىٰ التفضيل لا الأفضلية وضدها الشرّ وهي كلمة باقية علىٰ أصلها لم يحذف منها شيء.

والثاني: أن يراد بها معنىٰ الأفضلية وهي التي توصل بمن، وهذه أصلها أخير حذفت همزتها تخفيفا ويقابلها شر التي أصلها أشر.

---

(١) «فتاوىٰ السيوطي» (١/ ٣٧٦-٣٧٧).

(٢) أخرجه: البزار في «مسنده» (١٩٢٥)، والحارث (٩٥٣- زوائده).

قال في: «الصحاح»: الخير ضد الشر قال الشاعر:

فما كنانة في خير مخامرة ولا كنانة في شر بأشرار

وتأنيث هذه خيرة وجمعها خيرات؛ وهي الفاضلات من كل شيء، قال تعالىٰ: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ﴾ [الرحمٰن: ٧٠]، ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ﴾ [التوبة: ٨٨] ولم يريدوا به معنىٰ أفعل، فلو أردت معنىٰ التفضيل قلت: فلانة خير الناس، ولم تقل خيرة ولا تُثنىٰ ولا تجمع؛ لأنه في معنىٰ أفعل. انتهىٰ كلام «الصحاح».

وقال الراغب في «مفردات القرآن»: الخير والشر يقالان علىٰ وجهين:

أحدهما: أن يكونا اسمين كقوله تعالىٰ: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

الثاني: أن يكونا وصفين، وتقديرهما تقدير أفعل من نحو هذا خير من ذاك وأفضل، وقوله تعالىٰ: ﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ﴾ [البقرة: ١٠٦] ويحتمل الاسمية والوصفية معًا قوله تعالىٰ: ﴿وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البَقَرَة: ١٨٤].

وقال أبو حيان في «تفسيره»: الكثير في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ﴾ [البقرة: ١٠٣]: ليس «خير» هنا أفعل تفضيل، بل هي للتفضيل لا للأفضلية كما في قوله تعالىٰ: ﴿أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ﴾ [فُصّلَت: ٤٠]، و﴿خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا﴾ [الفُرقان: ٢٤] وفي قول حسان: فشركما لخيركما الفداء انتهىٰ.

إذا عرف ذلك فخير في الحديث من القسم الأول، وهي يراد بها

التفضيل لا للأفضلية، فلا توصل بمن وليست بمعنىٰ أفعل، وإنما المقصود: أن في كل من حياته ومماته ﷺ خير، لا أن هذا خير من هذا، ولا أن هذا خير من هذا.

* * *

● ومن «الفتاوىٰ الحديثية» للهيتمي[1]:

وسئل رضي الله عنه: ما معنىٰ حديث: «حياتي خير لكم وموتي خير لكم؟»[2].

فأجاب بقوله:

الإشكال إنما يأتي علىٰ تقدير «خير» أفعل تفضيل وليس كذلك، وإنما هي للتفضيل لا للأفضلية نحو ﴿أَفَمَن يُلْقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيْرٌ﴾ [فصلت: ٤٠]، ﴿خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا﴾ [الفرقان: ٢٤]، ففي كل من حياته وموته ﷺ خير إلا أن أحدهما أخير من الآخر، و«خير» يراد بها كل من الأمرين، فإن أريد بها مجرد التفضيل فضدها الشر، ولا حذف فيها، وتأنيثها خيرة، وجمعها خيرات وهي الفاضلات من كل شيء، وإن أريد بها الأفضلية وصلت بمن وكان أصلها أخير، حذفت همزتها تخفيفا ويقابلها شر التي أصلها أشر، ولا تؤنث ولا تُثنىٰ ولا تجمع.

* * *

(١) الفتاوىٰ الحديثية (ص١٦٢).

(٢) أخرجه: البزار في «مسنده» (١٩٢٥)، والحارث (٩٥٣ - زوائده).

عرض أعمال الأمة علىٰ النبي ﷺ

• ومن «فتاوىٰ المنار»(١):

سؤال: أرفع لفضيلتكم هذا السؤال وهو أني سمعت فقيهًا يقول: إن أعمال الأمة المحمدية تعرض علىٰ الحضرة المصطفوية كل أسبوع، وبالسؤال منه عن الكيفية أجابني بأنها تعرض عليه مقيدة في كشف، فلم أرتح لجوابه، وطالبته بزيادة الإيضاح بكل احترام فما كان منه إلا أن رماني بالكفر، ونهرني (وأنا السائل) وشتمني.

وصاحب الشريعة - عليه الصلاة والسلام - يقول: ما بعثت سبابًا، ولكن بعثت رحمة للعالمين». حصل بيني وبينه ما حصل ولم استفد منه شيئًا غير ما تقدم، ولما كنتم فضيلتكم من الذين يجب علينا أن نأخذ الدين عنهم لا عن سواهم عولت علىٰ أن أستفهم من سيادتكم عن صحة ما سمعته من الفقيه راجيًا إجابتي بجواب مؤيد بالدليل كما هي عادتكم مع بسط الكلام عن حكمة العرض وكيفيته، ولكم من اللّه الأجر، ومن المؤمنين الشكر.

الجواب:

إن هذا الذي قاله لك من سميته فقيهًا غير صحيح علىٰ أنه من أمور الآخرة أي من عالم الغيب الذي لا يبيح الدين لأحد أن يقول فيه برأيه واجتهاده،

(١) المنار (٧/ ٧٣٣-٧٣٥).

وإنما يجب الوقوف فيه عند النصوص الثابتة عن الشارع ، فإذا كانت هذه النصوص قطعية كآيات القرآن العظيم ، كان الإيمان بما ورد فيها حكاية عن عالم الغيب واجبًا ، وتكذيبها كفرًا ، وإذا لم تكن قطعية كأحاديث الآحاد، ولو صحيحة السند لا يكون التسليم بها واجبًا بأن تعد من أركان الإيمان التي يكفر منكرها ، فكيف يكفر من يسأل عن كيفيتها وبيانها؟

نعم، إن من ثبت عنده حديث في ذلك لا بد أن يصدقه ويسلم بمضمونه إذا كان ممكنًا شرعًا وعقلًا أو يحمله علىٰ وجه ممكن، ثم إن ما ثبت من النصوص عن عالم الغيب يجب أن تؤخذ علىٰ ظاهرها أي من غير اجتهاد فيها ، ولا بحث عن كيفية ما لم يرد في النصوص ولا بيان كيفيته .

فإذا فرضنا أن عندنا آية علىٰ أن الأعمال تعرض علىٰ النبي ﷺ بعد موته لم يكن لنا أن نسأل عن كيفية العرض؛ لأنه من عالم الغيب الذي لا نعرفه ، وإنما نؤمن بما جاء فيه عن اللَّه تعالىٰ؛ لأنه جاء عن اللَّه تعالىٰ، وهذا لا يمنعنا عن البحث في فائدة إخبار اللَّه تعالىٰ به؛ إذ ليس في الدين شيء إلا وهو لمنفعة الناس وإصلاح حالهم.

ولو كانت مسألة عرض الأعمال علىٰ النبي ﷺ بعد موته من قواعد الإيمان التي يكفر منكرها لما خلت كتب العقائد من ذكرها، ولكن هؤلاء الشيوخ قد تعودوا علىٰ تكفير كل من يعارضهم في مسألة دينية كأن الدين من مقتنياتهم يهبونه لمن شاءوا ويمنعونه من أرادوا، وقد يكون بعضهم أجدر بالكفر لكذبه علىٰ اللَّه وتكفير المؤمنين.

هذه المسألة لم ترد في كتاب اللَّه تعالىٰ، ولا في أحاديث الصحيحين أو السنن أو المسانيد، وإنما ورد فيها خبر آحادي مرسل عن بكر بن عبد اللَّه المزني عند ابن سعد وهو : «**حياتي خير لكم ووفاتي خير لكم تحدثون فيحدث لكم، فإذا أنا مت عرضت علي أعمالكم ، فإن رأيت خيرًا حمدت اللَّه تعالىٰ ، وإن رأيت شرًّا استغفرت اللَّه لكم**»[(١)].

وورد بلفظ آخر، وقد اختلف العلماء في الاحتجاج بالحديث المرسل في الأحكام العملية فذهب بعضهم كالشافعية إلىٰ أنه لا يحتج به ، فكيف يُجعل حجة في العقائد وأصول الإيمان علىٰ أن هذا معارض بمثل حديث عائشة عند البخاري إذ قالت: وارأساه فقال النبي ﷺ : «**ذاك لو كان وأنا حي فأستغفر لك وأدعو لك**» الحديث[(٢)].

وهو أصح سندًا ومسند لا خلاف في الاحتجاج به، ثم إن الرواية المرسلة ليس فيها بيان للكيفية التي ذكرها فقيه السؤال، ولا للتوقيت بالأسبوع فهو مفتات علىٰ الدين وعلىٰ عالم الغيب.

أما حكمة الإخبار بعرض الأعمال - علىٰ تقدير سلامته من المعارضة وما يمنع الاحتجاج به - فهي أن المؤمن بذلك إذا تذكره يكون من أسباب إحجامه عن السيئات حياء من الرسول مع الحياء من اللَّه تعالىٰ.

* * *

(١) سبق مسندًا .

(٢) أخرجه : البخاري (٧/ ١٥٥) .

فهرس

* * *